

كتاب

﴿ درة التنزيل . وغرة التأويل ﴾

في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز

للشيخ الامام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي
المتوفي سنة ٤٣١ رواية الامام ابراهيم بن علي بن محمد المعروف
بابن أبي الفرج الاردستاني

﴿ الطبعة الاولى ﴾

(سنة ١٣٢٧ هـ سنة ١٩٠٩ م)

(تنبيه) صحح هذا الكتاب على ثلاث نسخ الاولى محفوظه برواق السادة الاتراك : والثانية بالكتبخانة الخديوية بمصر : والثالثة منسوخة من نسخة من المكتبة الحنبلية بالقدس الشريف

(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخيه)

طبع بمطبعة محمد محمد مطر الوراق بالحمزاوي بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال) ابراهيم بن على بن محمد المعروف بابن أبي الفرج الاردستانى رحمه الله .. هذه المسائل بيان الآيات المتشابهة لفظا بأعلام نصبت عليها من المعنى أملاها أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب رحمه الله تعالى في القلعة الفخرية إملاء لما خلا فيها ولم يحضره غيري ممن يسوغ له حمل مايكتب فيه ويكتب به فكتبت عن لفظه المسائل والاجوبة وسألته أن يصدرها بخطبة فارتجلها كارتجاله سائر الكلام بعدها والله أعان وبيسر وله الحمد

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ أما بعد ﴾ فاعلموا حملة الكتاب المتين الحكيم * وحفظة القرآن المبين الكريم * وفقكم الله تعالى لحق علمه بعد حق تلاوته * وأذاقكم من لذة قراءته * وبرد شراب معرفته * مايشغف قلوبكم بحلاوته * أني مذ خصني الله باكرامه وعنايته * وشرفني باقراء كلامه ودرايته * تدعوني دواع قوية * يبعثها نظر وروية * في الآيات المتكررة * بالكلمات المتفقة والمختلفة * وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة * تطلبا لعلامات ترفع لبس إشكالها * وتخص الكلمة بآيتها دون أشكالها * فعزمت عليها بعد ان تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين * وفتشت عن أسرارها معاني المتأولين المحققين المتبحرين * فما وجدت أحداً من أهلها بلغ غاية كنهها * كيف ولم يقرع بابها ولم يفتر لهم عن نابها * ولم يسفر عن وجهها * ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقانا *

وصار المبهم المتشابه وتكرار المتكرر تبيانا * ولطعن الجاحدين رداً * ولمسلك الملحدين سدا * وسميته ﴿ درة التنزيل * وغرة التأويل ﴾ وليس لله بمنكر مستبدع أن يعثر خاطر عبد ربىء * على كنز حكمة في القرآن خبيء * أو يبلغه فى لطيف من لطائف كلامه حداً * لا يبلغه أحداً وان كان أوحداً * فاذا عرفتم ما نحونا اليه من سنن الآثار * أمنتم عند القراءة مخوف العثار * ثم تطلعون بعده على علوم تبدو للنفس * وتحتقرون معها بيان اللبس * وترون ممالك لم يملكها قبلكم أمة * ومسالك لم يجل فى مدارجها همة * فتعلمون أن كلام الله جل ذكره * وعلا شأنه وأمره * بحر لا تستنفد جواهره * وذو عجائب لا تستدرك بواطنه وظواهره * وذو عمق لا يبلغ آخره * وذو طول وعرض لا تقطع مزاخره * وهو الغنم الذى من حازه ظفرت يداه * ولم يجزع لفوت ماعداه * فالدنيا قد تبرج بزخارفها * وتخدع نفس عارفها * الا نفسا غلب نور قلبها ضياء بصرها وتصور العواقب من ثمرها * لا البوادي من زهرها * وساءه ما تناضر منها بالفكر فى قوله تعالى * قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * فلا تحزن ان أجدبت مراعيها المنجعة * ولا إن زويت عنه عواريها المرتجعة * فحق من دلكم عليه أن تدعوا له بالمغفرة والرحمة * والمعونة على شكر ما أولى من النعمة * وتبلغه من حسن الجزاء غاية * بأن يقرأ له في كل يوم آية * يفيء أجرها ولا يبخسك * ويزيده ثوابها فلا ينقصك * شغلنا الله بالحق عما يلهي من أحوال العاجلة * وبالعمل على ما يهون أهوال الآجلة * انه لطيف قريب سميع مجيب

ومن الآن أبين الطريق الذى سلكته وأفضى به الى علم ماعرفته وأذكر ما نبهني على ما أدعيته لأريكم مثل مارأيته وبالله أستعين وهو حسبي ونعم المعين

ثم اعلموا ان الأحسن والاولى أن تكون المسألة الاولى من هذا الكتاب مسألة من الحروف المقطعة لأن الاسئلة عليها متفرعة مفرعه* لكني قد أفردت لها كتابا مفرداً*جردت لحرف إشكالها مبرداً* والاسئلة عليها تربو على مائة*والاجوبة عنها تغنى عن فئه*فأردت ان تكون مميزة عن أخواتها*مخلصة من الآفة تخليص التمرة عن نواتها*وسترونها بعد ان شاء الله ولاقوة الا بالله

فأول آية ابتدأت بها قوله تعالى ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ وقال فى سورة الاعراف ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ فعطف (كلا) على قوله (اسكن) بالفاء فى هذه السورة وعطفها عليه فى سورة البقرة بالواو والاصل فى ذلك ان كل فعل عطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتداء وكان الاول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء فالاصل فيه عطف الثاني على الاول بالفاء دون الواو كقوله تعالي واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً فعطف كلوا على ادخلوا بالفاء لما كان وجود الاكل منها متعلقا بدخولها فكأنه قال إن دخلتموها أكلتم منها فالدخول موصل الى الاكل والاكل متعلق وجوده بوجوده : يبين ذلك قوله تعالى فى مثل هذه الآية من سورة الاعراف وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة : فعطف كلوا على قوله اسكنوا بالواو دون الفاء لان اسكنوا من السكنى وهي المقام مع طول لبث والاكل لايختص وجوده بوجوده لان من يدخل بستانا قد يأكل منه وان كان مجتازاً فلما لم يتعلق الثاني بالاول تعلق الجواب بالابتداء وجب العطف

بالواو دون الفاء وعلى هذا قوله تعالى فى الآية التى بدأت بذكرها وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا: وبقي أن نبين المراد بالفاء في قوله تعالى فكلا من حيث شئتما من سورة الاعراف مع عطفه على قوله اسكن وهو أن اسكن يقال لمن دخل مكاناً ويراد به الزم المكان الذى دخلته ولا تنتقل عنه ويقال أيضا لمن لم يدخله اسكن هذا المكان يعنى ادخله واسكنه كما تقوله لمن تعرض عليه داراً ينزلها سكنى فتقول اسكن هذه الدار واصنع ماشئت فيها من الصناعات معناه ادخلها ساكنا لها فافعل فيها كذا وكذا فعلى هذا الوجه قوله تعالى فى سورة الاعراف وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا بالفاء الحمل على هذا المعنى فى هذه الآية أولى لانه عز من قائل لما قال لابليس اخرج منها مذؤما مدحورا فكانه قال لآدم ادخل أنت وزوجك الجنة فقال اسكن يعنى ادخل ساكنا ليوافق الدخول الخروج ويكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول والآخر بعده مبالغة فى الاعذار وتوكيداً للانذار وتحقيقا لمعنى قوله عز وجل ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين .

﴿ الآية الثانية ﴾

قوله تعالى ﴿ واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾ وقال فى هذه السورة بعد العشرين والمائة ﴿ واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولاهم ينصرون ﴾ فقدم فى الاول قبول الشفاعة على أخذ الفدية وفى الثانى قبول الفدية على نفع الشفاعة : والوجه فى الاول أنه لما قال لاتجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى لايغني أحد عن أحد شيئا فيما يلزمه من العقاب ولا يكفر سيئاته ماله من الثواب وهو كقوله عز من قائل

واخشوا يوما لايجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا فهذه الاشياء التي ذكر في الآية امتناع وقوعها في الآخرة أربعة أنواع يتلقى بها المكاره ويداوى بها الشدائد : ألا ترى العرب اذا دفع أحدهم الى كريهة وارتهنت نفسه بعظيمة وحاولت أعزته دفاع ذلك عنه وتخليصه منه بذلت مافي نفوسها الأبية من مقتضى الحمية فذبت عنه كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته وجلده فان رأى من لاقبل له بممانعته ولا بد له من مدافعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف المسألة والشفاعة فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم تغن عنه الحالتان ولم تنجه الخلتان من الخشونة والليان لم يبق بعدهما إلا فداء الشيء بمثله وفكه من الاسر بعدله إما بمال واما غيره فان لم تغن هذه الثلاثة في العاجلة تعلل بما يرجوه من نصرفى الآجلة ودالة في الخاتمة كما قال تعالى ثم (بغي عليه لينصرنه الله) وقال تعالى (فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً) على أحد وجوه التفسير فاخبر الله تعالى ان ما يغني في هذه الدنيا عن المجرمين وترتب هذه المراتب بين العالمين لايغنى شيء منه في الآخرة عن الظالمين .

والفائدة في قوله تعالى في الآية الثانية وتقديم قبول الفدية على نفع الشفاعة هي أنه لما قال واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ومعناه ما ذكرنا عقيبه بنفي الفداء لان النفس لاتجزي عن النفس بفداء موقت يرتهن عنها مدة معلومة ويكون بعد ذلك فداء يفك الرهن ويخلصه من التبعات فيكون معنى لاتجزي نفس عن نفس شيئا لاتغني عنها بفداء محصور بوقت ولا بفداء يخلصه على وجه الرهن ويكون بعد ذلك ولا تنفعها شفاعة معناه ولا تخفف مسئلة من عذابها ولا ينقص شفيع من عقابها ولا هم ينصرون وهو الوجه الرابع الذي ذكرناه أخيراً في شرح الآية المتقدمة

﴿ الآية الثالثة ﴾

قوله تعالى ﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ﴾ وقوله عز من قائل في سورة ابراهيم عليه السلام ﴿ وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ﴾ فأدخل الواو فى قوله ويذبحون أبناءكم فى سورة ابراهيم وحذفها منه فى سورة البقرة جعل يذبحون بدلا من قوله يسومونكم سوء العذاب (فالقول) في ذلك انه اذا جعل يذبحون بدلا من قوله يسومونكم سوء العذاب لم يحتج الى الواو واذا جعل يسومونكم سوء العذاب عبارة عن ضروب من المكروه هي غير ذبح الابناء لم يكن الثاني الا بالواو وفى الموضعين يحتمل الوجهين الا ان الفائدة التي يجوز أن تكون خصصت لها الآية فى سورة ابراهيم بالعطف بالواو هي أنها وقعت هنا فى خبر قد ضمن خبراً متعلقاً به لانه قال قبله ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان أخرج قومك من الظلمات الي النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ثم قال واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم فضمن إخباره عن ارسال موسى بآياته اخباره عن تنبيهه قومه على نعمة الله ودعائهم الى شكرها فكان قوله ويذبحون في هذه السورة في قصة مضمنة قصة يتعلق بها هي قوله تعالي ولقد أرسلنا موسى بآياتنا والقصة المعطوفة على مثلها تقوي معنى العطف فيها فنختار فيما كان يجوز فيه العطف فيه على سبيل الايثار لا على سبيل الجواز وليس كذلك موقع يذبحون في الآية التي في سورة البقرة لانه تعالى أخبر عن نفسه بانجائه بني اسرائيل وهناك أخبر عن موسى عليه السلام انه قال لقومه كذا بعد ان أخبر عنه أنه أرسله اليهم بآياته فافترق الموضعان

من هذا الوجه

﴿ الآية الرابعة ﴾

قوله تعالى ﴿ واذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا ﴾ ففي هذه الآية ست مسائل اذا قوبلت بالآية التي تشابهها من سورة الاعراف وهي قوله تعالى ﴿ واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا ﴾ .. فالمسئلة الاولى عطفه كلوا على ماقبله بالفاء في سورة البقرة وبالواو في سورة الاعراف في قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وهذه قدم الكلام فيها مستقصى ..واما المسئلة الثانية فجمعه للخطيئة على الخطايا في سورة البقرة وعلى الخطيئات في سورة الاعراف على قول أكثر القراء .. واما المسئلة الثالثة فزيادته رغدا في سورة البقرة وحذفه له في في سورة الاعراف .. وأما المسئلة الرابعة فتقديم قوله حطة في سورة الاعراف وتأخيره له في سورة البقرة ..والمسئلة الخامسة ادخاله الواو على سنزيد المحسنين في هذه السورة واسقاطها منها في سورة الاعراف : واما المسئلة السادسة فزيادة منهم في الاعراف في قوله فبدل الذين ظلموا منهم وسقوطه في سورة البقرة منها فاما الكلام في الخطايا واختيارها في سورة البقرة فلأنها بناء موضوع للجمع الاكثر والخطيآت جمع السلامة وهي الاقل (والدليل) على ذلك أنك اذا صغرت الدراهم قلت دريهمات فتردها الى الواحد وتصغره ثم تجمعه على لفظ القليل الملائم للتصغير وكذلك الخطايا لو صغرتها لقلت

خطيات فرددتها الى خَطية ثم صغرتها على خُطية ثم جمعتها جمع السلامة الذى هو على حد التثنية المنبيء عن العدد الاقل من الجمع فاذا ظهر الفرق بين الخطايا والخطيآت وكان هذا الجمع المكسر موضوعه للكثير والمسلم موضوعه للقليل استعمل لفظ الكثير في الموضع الذى جعل الاخبار فيه عن نفسه بقوله وإذ قلنا ادخلوا وشرط لمن قام بهذه الطاعة مايشرطه الكريم اذا وعد من مغفرة الخطايا كلها وقرن الى الإخبار عن نفسه جل ذكره مايليق بجوده وكرمه وأتى باللفظ الموضوع للشمول فيصير كالتوكيد بالعموم كما لو قال نغفر لكم خطايا كم كلها أجمع ولما لم يسند الفعل في سورة الاعراف الى نفسه عز اسمه وانما قال وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية فلم يسم الفاعل أتى بلفظ الخطيآت وان كان المراد بها الكثرة كالمراد بالخطايا إلا أنه أتى في الاول لما ذكر الفاعل بما هو لائق بضمانه من اللفظ ولما لم يسم الفاعل في الثاني في سورة الاعراف وضع اللفظ غير موضعه للفرقان بين ما يؤتى به على الاصل وبين ما يعدل عنه الى الفرع (وأما الثالثة) ففي الاتيان بقوله رغدا في هذه السورة وحذفها في سورة الاعراف «والجواب» عنها كالجواب في الخطايا والخطيآت لأنه لما اسند الفعل الى نفسه تعالى كان اللفظ الاشرف للاكرم فذكر معه الانعام الاجسم وهو أن يا كلوا رغدا ولما لم يسند الفعل في سورة الاعراف الى نفسه لم يكن مثل الفعل الذى في سورة البقرة فلم يذكر معه ماذكر فيها من الاكرام الاوفر واذ تقدم اسم المنعم الكريم اقتضى ذكر نعمته الكريمة (والمسألة الرابعة) في هذه الآية تقديم قوله عز من قائل وقولوا حطة في سورة الاعراف وتاخيره في سورة البقرة عن قوله وادخلوا الباب سجدا «والجواب» عن ذلك مما يحتاج اليه

فى مواضع من القرآن فى هذه الآية التي قصدنا الفرق بين مختلفاتها وهو أن ما أخبر الله تعالى به من قصة موسى عليه السلام وبنى اسرائيل وسائر الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وما حكاه من قولهم قوله عز وجل لهم لم يقصد الى حكاية الالفاظ بأعيانها وانما قصد الى اقتصاص معانيها وكيف لا يكون كذلك واللغة التى خوطبوا بها غير العربية فاذاً حكاية اللفظ زائلة وتبقى حكاية المعنى ومن قصد حكاية المعنى كان مخيراً بان يؤديه بأي لفظ أراد وكيف شاء من تقديم وتاخير بحرف لايدل على ترتيب كالواو ولو قصد حكاية اللفظ ثم وقع فى المحكي اختلاف لم يجز فلو قال قائل حاكيا عن غيره قال فلان زيد وعمرو ذهبا وكان هذا لفظاً محكياً ثم قال ثانياً قاصداً الى حكاية هذه اللفظة من كلامه عمرو وزيد ذهبا لم يجز له ذلك لانه غير قوله وأخر ماقدمه وان قصد حكاية المعنى كان ذلك مرخصاً له (والمسئلة الخامسة) فى هذه الآية اثبات الواو فى قوله وسنزيد المحسنين فى هذه السورة وحذفها فى سورة الاعراف منها والفرق بين الموضعين المؤثر فى الموضع الذى قصد الفرق فيه دقيق وهو أن قوله وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ادخلوا فى موضع المفعول من قلنا والمفعول يكون مفرداً ويكون مكانه جملة والفاعل عند البصريين لايكون الا مفرداً ولا تصح الجملة مكانه ولذلك يقولون فى قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه ان فاعل بدا هو البداء الذي دل عليه الفعل لان الفعل دال على مصدر وكذلك قوله أو لم يهد لهم كم أهلكنا فاعل يهد عندنا مفرد محذوف وعند الكوفيين تصح الجملة ان تقوم مقام الفاعل فعلى مذهبنا واذقيل لهم اسكنوا الذى أقيم مقام فاعل قيل مفرد لا يصح أن يكون جملة ولا يجوز أن يكون اسكنوا مكان الفاعل

كما كانت مكان المفعول في قوله واذ قلنا ادخلوا فعلى هذا التقدير يكون للقائم مقام الفاعل لفظا مفردا هو القول كما كان البداءفاعل قوله ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات واذا خرج قوله اسكنوا عنأن يكون فاعلا وكان لفظه في موضع الفاعل ولم يتعلق بالفعل الذى قبله تعلق الفاعل بفعله ولا تعلق المفعول بفعله الواقع به في قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا صار كأنه منفصل عن الفعل في الحكم وان كان متصلا به في اللفظ وجواب الامر الذى هو قوله اسكنوا قوله نغفر لكم خطاياكم والجواب في حكم الابتداء ينفصل كما ينفصل ولا دليل في اللفظ على انفصاله الا بفصل ما أصله أن يكون متعلقا به بحرف عطف وهو سنزيد المحسنين وبحذف الواو منه واستئنافه خبرا مفردا وهذه المسئلة هي التى غلط فيها ابو سعيد السيرافي في أول ما شرحه من ترجمة الكتاب وهو قوله هذا باب علم ما الكلم من العربية وعده للوجوه التى تحتملها هذه اللفظة وذكرفي جملتها هذا باب أن يعلم ماالكلم من العربية فجعل ما الكلم من العربية وهي جملة في موضع الفاعل من يعلم وهذا ما يأباه مذهبه ومذهب أهل البصرة وقد أومأت الى غرضي فيما يجوز أن تكون الواو له محذوفة من قوله سنزيد المحسنين فيسورة الأعراف وثابتة فيه في سورة البقرة فتأمله فانه مسئلة مشكلة في النحو تفهمه ان شاء الله تعالى « والمسألة السادسة » في هذه الآية قوله تعالى في هذه السورة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وفي سورة الاعراف في هذه القصة فبدل الذين ظلموا منهمقولا غير الذيقيل لهم ﴿ وللسائل ﴾ أن يسأل فيقول هل في زيادة منهم في هذه الآية في سورة الاعراف حكمة وفائدة يقتضيانها ليستا فيسورة البقرة ﴿ والجواب ﴾ أن يقال إن قوله فبدل

الذين ظلموا وان لم يذكر فيه منهم معلوم أن المراد بالظالمين الذين ظلموا من المخاطبين بقوله ادخلوا هذه القرية فكلوا وقولوا حطة فالذين ظلموا من هؤلاء هم الموصوفون بالتبديل والمغيرون لما قدم اليهم من القول إلا أن في سورة الاعراف معنى يقتضي زيادة منهم هناك ولا يقتضيها هنا وهو ان أول القصة في الاعراف مبني على التخصيص والتميز بدليل لفظة من لأنه تعالى قال ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر أن منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف إنعامه عليهم وأوامره لهم فلما انتهت قال فبدل الذين ظلموا منهم قولا فاتى في آخر ما حكى عنهم من مقابلة نعمة الله عليهم بتبديلهم ماقدم به القول اليهم بلفظ من التي هي للتخصيص والتميز بناء على أول القصة التي هي ومن قوم موسى ليكون آخر الكلام لأوله مساوقا وعجزه لصدره مطابقا فيكون الظالمون من قوم موسى بازاء الهادين منهم فهناك ذكر أمة عادلة هادية وهنا ذكر أمة جائرة عادية وكلتاهما من قوم موسى فاقتضت التسوية في المقابلة ذكر منهم في سورة الاعراف وأما في سورة البقرة فانه لم تبن الآيات التي قبل قوله فبدل الذين ظلموا قولا على تخصيص وتبعيض فتحمل الآية الاخيرة على مثل حالها ألا ترى انه قال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ثم كرر الخطاب لهم الى ان انتهى الى قوله وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى وقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية وتعقبه بقوله فبدل الذين ظلموا فلم يحتج الى منهم لانه لم يتقدمه ما تقدم في سورة الاعراف مما يقتضيها .

﴿ الاية الخامسة ﴾

قوله تعالى في سورة البقرة ذلك بانهم كانو يكفرون بآيات الله ويقتلون

النبيين بغير الحق بالالف واللام وقال في سورة آل عمران ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق نكرة غير معرفة وكذلك في هذه السورة ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء .

﴿ والجواب ﴾ عن ذلك ان الآية الاولى في سورة البقرة خبر عن قوم عرفوا وعرفت أفعالهم ومضت أزمنتهم واحوالهم فلما شهروا وشهر فعلهم بوقوعه منهم (١) وقيل الحق ماقاله الله تعالى ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق والحق هوان يكون قتل نفساً مؤمنةً يجب عليها القتل والقاتل مكلف أو ان يرتد أو يزني وهو محصن فهذا معلوم يخبر عنه بلفظ المعرفة والقتل وقع منهم من غير ان كان على الاوجه الثلاثة المعلومة على ان هذه الآية يسئل فيها فيقال قد كان في قوله ويقتلون النبيين كفاية لانه لا يقتل نبي لانه لا يرتكب واحدا من الاوجه الثلاثة التي توجب القتل وعن هذا أجوبة منها ما ذكرنا والآخر ان يقال المعنى انهم كانوا يقتلونهم من غير ان وقع منهم مايوجب عليه القتل عندهم وفي دينهم وليس هذا موضع ذكر هذه الوجوه وانما القصد في هذا المكان التفرقة بين لفظ النكرة والمعرفة في الآيتين والموضع الثاني الذى ذكر فيه حق هو خبر عن قوم يرون ذلك ويعتقدونه ويدينون به الا تراه قال تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم هؤلاء قوم لم يمضوا ولم ينقرضوا فلذلك قال فبشرهم بعذاب اليم وقال في اول الآية إن الذين يكفرون ولم يقل إن الذين كفروا فلما لم تكن هذه الحال واقعة منهم كانت مخالفة للحال الواقعة التي جعلت خبراً عن قوم مضوا على هذه الافعال فقال فيهم ذلك بما

(١) كذا في الاصول الثلاثة وفي العبارة سقط .

عصوا وكانوا يعتدون : واما قوله تعالى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله فهو خبر عن قوم كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فقال وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فكان خبراً عن اعتقادهم لأنه لا يجوز أن يعاقبوا وتضرب عليهم الذلة والمسكنة بذنوب وقعت من آبائهم لا منهم فيصيرون مثل الاولين الذين أخبر عنهم بقوله إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين في تمييزه عن القوم الذين كانوا في عصر موسى صلى الله عليه وسلم فقال لهم اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم فاختير لفظ المعرفة في القصة التي وقعت ووقع الاخبار عنها ولفظ النكرة في القصة التي وقع التهديد مقارنا لها ليمنع من وقوعها وما كان في حيز ما لم يقع فالذنب في حيز المذكور والعقاب عليه مثله كالمنكور

﴿ الآية السادسة ﴾

قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ وقال في سورة المائدة ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ﴾ وقال في سورة الحج ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ﴾ « للسائل » أن يسأل فيقول هل في اختلاف هذه الآيات بتقديم الفرق وتأخيرها ورفع الصابئين في آية ونصبها في أخرى غرض يقتضي ذلك « فالجواب » أن يقال اذا أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية على لفظة مخصوصة ثم أعادها

في موضع آخر من القرآن وقد غير فيها لفظة كما كانت عليه في الأولى فلا بد من حكمة هناك تطلب فاذا أدركتموها فقد ظفرتم وان لم تدركوها فليس لأنه لاحكمة هناك بل جهلتم * فاما الآية الاولى في هذه السورة فان فيها مسائل ليس هذا المكان مكانها لانه يقال كيف قال الله تعالى ان الذين آمنوا من آمن بالله واليوم الآخر أي من آمن منهم بالله واليوم الآخر واذا وصفوا بانهم آمنوا فقد ذكر انهم آمنوا بالله واليوم الآخر إلا أن الذى نذكره في هذا المكان هو ان المعنى ان الذين آمنوا بكتب الله المتقدمة مثل صحف ابراهيم والذين آمنوا بما نطقت به التوراة وهم اليهود والذين آمنوا بما أتى به الانجيل وهم النصارى فهذا ترتيب على حسب ماترتب تنزيل الله كتبه فصحف ابراهيم عليه السلام قبل التوراة المنزلة على موسى عليه السلام والتوراة قبل الانجيل المنزل على عيسى عليه السلام فرتبهم عز وجل في هذه الآية على مارتبهم عليه في بعثة الرسالة ثم أتى بذكر الصابئين وهم الذين لا يثبتون على دين وينتقلون من ملة الى ملة ولا كتاب لهم كما للطائفتين اللتين ذكرهما الله تعالى في قوله أو تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا فوجب ان يكونوا متأخرين عن أهل الكتاب : وأما بعد هذا الترتيب فترتيبهم في سورة المائدة وتقديم الصابئين على النصارى ورفعه هنا ونصبه هناك ترتيب ثان فالاول على ترتيب الكتب والثاني على ترتيب الازمنة لأن الصابئين وان كانوا متأخرين عن النصارى بانهم لا كتاب لهم فانهم متقدمون عليهم بكونهم قبلهم لانهم كانوا قبل عيسى عليه السلام فرفع الصابئون ونوى به التأخير عن مكانه كأنه قال بعد ما أتى بخبر ان الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا

فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون هذا حالهم ايضا وهذا مذهب سيبويه لأنه لايجوز عنده ولا عند البصريين وكثير من الكوفيين أن زيدا وعمرو قائمان والفراء يجيز هذا على شريطة أن يكون الاسم الاول المنصوب بان لا إعراب فيه نحو ان هذا وزيد قائمان وهذه من كبار المسائل ذوات الشعب ويتعلق بالخلاف بين البصريين والكوفيين في ان لها عملين النصب والرفع على مذهب البصريين وأن لها عملا واحدا عند الكوفيين وهو النصب الا أن المذهب الصحيح ماذهب اليه سيبويه وهذه الآية تدل عليه لانه قدم فيها الصابئون والنية بها التأخير على مذهب سيبويه وانما قدّم في اللفظ وأخر في النية لان التقديم الحقيقي التقديم بكتبه المنزلة على أنبيائه عليهم السلام فلذا فعل ذلك في الآية الاولى وكان ههنا تقديم آخر بتقديم الزمان وجاءت آية أخرى قدم فيها هذا الاسم على ماأخر عنه في الآية التي قبل ثم أقيمت في لفظه أمارة تدل على تأخره عن مكانه كان ذلك دليلا على ان هذا الترتيب ترتيب بالازمنة وان النية به التأخير والترتيب بالكتب المنزلة وأما الترتيب الثالث في سورة الحج فترتيب الازمنة التي لانية للتأخير معه لانه لم يقصد في هذا المكان أهل الكتب إذ كان اكثر من ذكر ممن لا كتب لهم وهم الصابئون والمجوس والذين أشركوا عبدة الاوثان فهذه ثلاث طوائف وأهل الكتاب طائفتان فلما لم يكن القصد في الاغلب الاكثر من المذكورين ترتيبهم بالكتب رتبوا بالازمنة وأخر الذين أشركوا لانهم وان تقدمت لهم أزمنة وكانوا في عهد أكثر الانبياء الذين تقدمت بعثتهم صلوات الله عليهم فانهم كانوا أكثر من مُني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وصلي بجهادهم وكأنهم لما كانوا موجودين في عصر

النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل زمانه وهذا الزمان متأخر عن أزمنة الفرق الذين قدم ذكرهم

﴿ الآية السابعة ﴾

قوله تعالى في هذه السورة ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ﴾ وفي سورة آل عمران ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ﴾ (للسائل) أن يقول الفرق بين اللفظتين ولم كانت الأولى معدودة والثانية معدودات والموصوف في المكانين موصوف واحد وهو قوله أياماً (والجواب عنه) أن يقال ان الجمع بالالف والتاء أصله للمؤنث نحو مسلمة ومسلمات وصفحة وصفحات ومكسورة ومكسورات ولا يكاد يجيء الجمع الذي واحده مذكر هذا المجيء إلا ألفاظاً معدودة نحو حمام وحمامات وجمل سبطر وجمالات سبطرات وأسد سبطر وأسود سبطرات أي تسبطر عند الوثبة: وأما قولهم كوز مكسور وجرة مكسورة فان مافيه هاء التأنيث يجمع على مكسورات فيقال جرار مكسورات وكيزان مكسورة وليس قولك كيزان مكسورات بأصل بل المستعمل المستمر في ذلك أن يقال كيزان مكسورة وثياب مقطوعة وسرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة فالصفة الجارية على جمع مذكر الواحد يستمر فيها التأنيث على الحد الذي يبنته وعلامة الجمع المؤنث الواحدة الالف والتاء في الاصل فلما كان معدودة من المطرد المستمر استعمل لفظها في الاول ولما كان الجمع بالالف والتاء في الاصل قد يكون فيما واحده مذكرا وان قل وكان على سبيل من سبيل المجاز استعمل ذلك فيه كقوله تعالى واذكروا الله في أيام معدودات وقال في أيام معلومات والايام جمع يوم وهو مذكر فيكون هذا على أحد الوجهين إما أن يكون المراد اذكروا الله في ساعات أيام معلومات ومعدودات لأن

المرادمن اذكروا الله أن يكبروا في اليوم الواحد في أدبار الصلوات الخمس المعدودة فحذفت الساعات وأقيم المضاف اليها مقامها وإما أن يكون ألحق بما في واحده علامة التأنيث لاستوائهما في الجمع ودخولهما في الفرعية التي يكتسبان لها لفظ المؤنث فكما قيل جرار مكسورة والجرة مؤنثة جاز أيضاً كيزان مكسورات حملا على الجمع الذي يساويه في التأنيث الذي ليس بحقيقي وان كان ذلك لذلك فمعدودة المذكورة الآية التي في هذه السورة مستمرة في بابها وباب غيرها والجمع بالالف والتاء ليس بمستمر وانما هو على ضرب من التشبيه بما أصله الألف والتاء فكان استعمالها اولا أولى ولجواز الألف والتاء على غير طريق الاستمرار استعمل في الثاني ليشمل الاصل والجائز بالاستعمال * فأما المعنى في القلة فسواء في قوله معدودة ومعدودات وقد يقال أيضاً أيام معلومات على ان الأيام المعلومة في الأصل تسعة فكل ثلاثه أيام منها معلومة فتجمع هذه الثلاثات على الأيام المعلومات لان الواحد أيام معلومة والمعلومة تجمع على المعلومات

﴿ الآية الثامنة ﴾

قوله تعالى ﴿ فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم ﴾ وقال الله عز وجل في سورة الجمعة ﴿ فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم ﴾ (للسائل) أن يقول هل في الآية الاولى ما يقتضي لن الناصبة وفي الثانية ما يوجب الاقتصار على لا ورفع الفعل بعدها (والجواب) أن يقال إن الآية الاولى لما كانت مفتتحة بشرط علقت صحته بتمني الموت ووقع هذا الشرط غاية ما يطلبه المطيع ولا مطلوب وراءه على ما ادعوه لأنفسهم وهو ان لهم الدار الآخرة خالصة من دون غيرهم ووجب أن يكون ما يبطل

تمني الموت المؤدي الى بطلان شرطهم أقوى مايستعمل في بابه وأبلغه في معنى ماينتفي شرطهم به وكان ذلك بلفظة لن التي هي للقطع والبتات ثم أكد بقوله أبداً ايبطل تمنى الموت الذي يبطل دعواهم بغاية مايبطل به مثله * ألا ترى انه ليس بعد حصول الدار الآخرة خالصة لأمـة من الامم مقترح لمقترح ولا مطلب لمطلب .. وليس كذلك الشرط الذي علق به تمني الموت في سورة الجمعة لانه قال قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت وليس زعمهم انهم أولياء الله من دون الناس المطلوب الذي لا مطلوب وراءه لأنهم يطلبون بعد ذلك اذا صح لهم هذا الوصف دار الثوب فلما كان الشرط في هذا المكان قاصراً عن الشرط في المكان الأول ولم تكن الدعوى دعوى غاية المطلوب لم يحتج في نفيه وإبطاله الى ماهو غاية في بابه فوقع الاقتصار على لا يتمنونه وليس في لفظه معنى التأييد وانما حصل ذلك فيه بما قارنه من قوله أبداً فكان الأول أوكد وأبلغ لان لفظ الاسم والفعل للتأييد فافترق الموضعان

﴿ الآية التاسعة ﴾

قوله تعالى ﴿ قل ان هـدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ﴾ وقال في هذه السورة ايضاً ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم انك إذاً لمن الظالمين ﴾ وقال في سورة الرعد ﴿ ولئن اتبعت اهواءهم بعد ماجاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق ﴾ (للسائل) ان يسأل فيقول ما في هذه المواضع بمعنى الذي فما الفائدة في إخراج بعضها على لفظ الذي وإيقاع الأخرى على لفظ (ما) و إدخال (من) على (بعد) في قوله ماجاءك من العلم وهل بين قولك من بعد ماجاءك من العلم وقولك بعد ماجاءك من العلم

فرق وهل بين الذي وبين ما فرق (والجواب) عن ذلك أن يقال نبين أولا الفرق بين الذي وبين ما ليصح الفصل ويظهر موضع كل واحد منهما والمعنى الذي يليق بهما : اعلم ان ما اذا كانت بمعنى الذي فانها توافقها بأنها تبين بصلتها وتخالفها بأشياء كثيرة فتصير الذي متضمنة من البيان مالا تتضمنه ما . فمن ذلك انك تدخل على الذي اسماء الاشارة فتكون الذي صفة لها كقوله تعالى أمن هذا الذي هو جند لكم وقوله أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه فيكتنف الذي بيانان أحدهما الاشارة قبلها والآخر الصلة بعدها ولا يكون ذلك في ما لانها لا يوصف بها كما يوصف بالذي لا تقول أمن هذا ماهو جند لكم (والثاني) ان ما تنكر فيجري ما كان صلة لها صفة تبينها وليس ذلك في الذي وهو كقوله في الشعر

ربما تكره النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

(والثالث) ان الذي تثنى وتجمع وتؤنث فتلحقها هذه العلامات بيانا لهذه المعاني وما لا يلحقها ذلك بل هي على لفظة واحدة في التثنية والجمع والتأنيث (والرابع) ان الذي قد لزمتها أمارة التعريف وهي الالف واللام ولا شيء مما ذكرناه في ما ولشدة إبهامها خص التعجب بها لان سبب التعجب اذا استبهم كان ابلغ في معناه : فاذا تبينت ان الذي وما التي بمعناها اسمان مبهمان ناقصان والذي تزيد على ما في وجوه البيان الذي ذكرنا رجعنا الى الآيات الثلاث وبينا مايليق من الاسمين بكل آية فقلنا قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم أي لن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتها ولن ترضى عنك النصارى حتى تتبع ملتها واتباع الملتين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كفر ولذلك قال الله تعالى قل ان

هدى الله هو الهدي أي الايمان الذي بعثك به هو الطريق المؤدي الى رضى الله والى ثوابه . ثم قال ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير فمنعه من اتباع الفرقتين بالعلم الذي حصل له بصحة الايمان وبطلان الكفر والذي في هذا المكان واقعة على العلم الذي ثبت به الاسلام وصح الايمان وكما ان هذا العلم مانع من الكفر الذي هو أكبر الذنوب فالعلم الذي يمنع منه أفضل العلوم فاذا عبر عنه بأحد هذين الاسمين المبهمين وجب أن يخص منهما بالأشهر اذ كان للعلم المحيط بالأكثر وهو جملة الدين .. فأما الموضعان الآخران فليس القصد فيما عبر بلفظة ماعنه فيهما مثل القصد في الآية الأولى وذلك ان قوله من بعد ما جاءك من العلم جاء بعد خبر الله تعالى عن مخالفة أهل الكتاب للنبي صلى الله عليه وسلم في القبلة لانه قال عز اسمه ولئن اتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك الى قوله من بعد ماجاءك من العلم انك إذاً لمن الظالمين فمنع عز وجل عن اتباع أهوائهم في أمر القبلة وهو بعض الشرع بما حصل له من العلم بان القبلة هي التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه اليها فاذا كان ذلك بعض الشرع كان العلم بصحته بعض علم الشرع ولم يكن كالعلم في الآية الاولى الذي هو محيط بالشرع وكل الايمان فلما كان واقعاً على بعض ماوقع عليه الأول لم يشهر شهرته فعبر عنه باللفظ الاقصر لما خص الأول باللفظ الأشهر * وكذلك قوله تعالى في سورة الرعد ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق انما جاء بعد قوله والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه فنهى الله تعالى عن اتباع أهوائهم في البعض بما أنزل الله عز وجل اليه وهو الذي

ينكره الأحزاب بما ثبت له من العلم بصحة هذا البعض الذي ينكرونه كما ثبت له بباقيه فلما كان هذا العلم بعض العلم الذي عبر عنه بلفظة الذي صار كالشائع في أبعاض هي مجموعة في الأول الذي عبر عنه باللفظ الأشهر فكان العلم المانع من اتباع أهوائهم فيه مثل العلم المانع من اتباع أهوائهم في أمر القبلة فعبر عنه بمثل ماعبر به عن ذلك . فان قال قائل فكيف خص مافي القبله بلفظة من فقال من بعد ماجاءك من العلم ولم يكن ذلك في قوله بعد الذي ولا في قوله في سورة الرعد ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم وهل لاختصاص هذا المكان فائدة دون المكانين الآخرين .. قلت هنا فائدة تقتضي من وليست في الآيتين الأخريين وهي ان أمر القبلة مخصوص بفرائض مضيقة وأوقات مخصوصة لها في اليوم والليلة مؤقتة فخص بمن التي هي لابتداء الغاية والقبلة شرع كان يجوز نسخه كما نسخ ما هو مثله فكأنه قال هناك ولئن اتبعت أهواءهم من الوقت الذي جاءك العلم فيه بالقبلة التي وليتها وأمرت بالتوجه نحوها صرت من الظالمين فلما تخصص بوقت مضيق محدود لم يكن بد في المعنى من العلم بالوقت الذي نقل فيه عن القبلة الأولى الى غيرها وليس كذلك مابعد قوله قل ان هدى الله هو الهدى لان العلم الذي وقع التوعد معه على اتباع أهواء أهل الكتاب لم يتخصص وجوب العلم به بوقت دون وقت اذ كان واجباً في الأوقات كلها ولم يكن مما يجوز أن ينسخ لانه علم بالايمان وصحة الاسلام وبطلان الشرك والكفر فلما لم يتخصص وجوبه بوقت دون آخر لم يحتج معه الى لفظة من التي هي للحد وابتداء الغاية * وكذلك الآية التي في سورة الرعد لما كان العلم المانع من اتباع أهوائهم علماً بأن جميع ما انزل الله حق وان قول الاحزاب الذين ينكرون

بعضه باطل كان هذا ايضاً من العلوم التي لا يتخصص الغرض فيها بوقت يجب
حده بمن بل هو واجب في الأوقات كلها فلم يكن لدخول من في الآيتين
مقتض كما كان له في الآية المتوسطة .. ومما يبين لك الاغراض التي اشرنا
اليها في الآيات الثلاث وانها يجوز ان تكون مقصودة والله أعلم ما اقترن
من الوعيد بكل واحدة منها فالموضع الذي منعه بعلمه عن اتباع اهوائهم في
قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم هو منع عن
الاعظم الذي هو الكفر فكان الوعيد عليه أغلظ وهو قوله مالك من الله من
ولي ولا نصير والآية الأخيرة ايضاً لما كان العلم بها مانعاً من العمل بشطر
من الدين وترك شطر منه كان مثل الاول في استحقاق الوعيد وكان مثله
في الغلظة وهو قوله مالك من الله من ولي ولا واق*واما اتباع اهوائهم في
أمر القبلة فلانه مما يجوز نسخه فكان الوعيد عليه أخف من الوعيد على
ماهو الدين كله او بعضه مما لايصح تبديله وتغييره فصار الوعيد المقارن
له دون الوعيد المقرون بالموضعين الآخرين وهو قوله تعالى ولئن اتبعت
اهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين اي ان فعلت ذلك
وضعت الشيء في غير موضعه ونقصت الدين حقه فهذا الكلام في الفرق بين
المواضع الثلاثة

الآية العاشرة

قوله تعالى ﴿ وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً ﴾ وفي سورة
ابراهيم ﴿ وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً ﴾ (للسائل) ان يسأل
فيقول لم كان في هذه السورة بلد نكرة وفي سورة ابراهيم معرفة والجواب
عن ذلك من وجهين .. ﴿ احدهما ﴾ ان يقال الدعوة الأولى وقعت ولم يكن

المكان قد جعل بلدا فكأنه قال اجعل هذا الوادي بلدا آمناً لأن الله تعالى حكى عنه انه قال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم بعد قوله اجعل هذا الوادي بلدا ووجه الكلام فيه تنكير بلدا الذي هو مفعول ثان وهذا مفعول اول .. والدعوة الثانية وقعت وقد جعلت بلدا فكأنه قال اجعل هذا المكان الذي صيرته كما اردت ومصرته كما سألت ذا أمن على من أوى اليه فيكون البلد على هذا عطف بيان على مذهب سيبويه وصفة على مذهب ابي العباس المبرد وآمناً مفعولا ثانياً فعرّف حين عرف بالبلدية ونكر حيث كان مكاناً من الامكنة غير مشهور بالتميز عنها بخصوصية من عمارة وسكنى الناس.. (والجواب الثاني) ان تكون الدعوتان واقعتين بعد ماصار المكان بلداً وانما طلب من الله أن يجعله آمناً والقائل يقول اجعل ولدك هذا ولداً أديباً وهو ليس يأمره بان يجعله ولداً لان ذلك ليس اليه وانما يأمره بتأديبه فكأنه قال اجعله بهذه الصفة وهذا كما يقول كن رجلا موصوفاً بالسخاء وليس يأمره أن يكون رجلا وانما يأمره بما جعله وصفاً له من السخاء فذكر الموصوف وأتبعه الصفة وهو كما تقول كان اليوم يوماً حاراً فتجعل يوماً خبر كان وحاراً صفة له ولم تقصد أن تخبر عن اليوم بانه كان يوماً لانه يصير خبراً غير مفيد وانما القصد أن تخبر عن اليوم بالحر فكان الاصل أن تقول كان اليوم حاراً وأعدت لفظ يوم لتجمع بين الصفة والموصوف فكأنك قلت كان هذا اليوم من الأيام الحارة وكذلك تقول كانت الليلة ليلة باردة فتنصب ليلة على انها خبر كان وحكم الخبر أن يتم به الكلام ولو قلت كانت الليلة ليلة لم يكن الكلام تاماً لأن القصد الى الصفة دون الموصوف فكذلك قوله رب اجعل هذا بلداً آمناً يجوز أن يكون المراد اجعل هذا

البلد بلداً آمناً فتدعو له بالأمن بعد ما قد صار بلداً على ما مثلنا ويكون مثل قوله اجعل هذا البلد آمناً وتكون الدعوة واحدة قد أخبر الله عنها في الموضعين*فأما قول من يقول انه جعل الأول نكرة فلما أعيد ذكرها أعيد بلفظ المعرفة كما تقول رأيت رجلا فأكرمت الرجل فليس بشيء وليس ماذكره مثلا لهذا ولا هذا المكان مكانه

الآية الحادية عشر

من هذه السورة مفارقة الآي التي شرطنا الفرق بينها فيما خالفها بلفظ يسير من الآية التي بازائها غير انها مثلها في التكرير والحاجة الى ذكر الفائدة في إعادتها وهي قوله تعالى﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ (للسائل) في ذلك سؤالان..(أحدهما) أن تقول مافائدة الآية وهي خبر يعلمه المخاطب قبل أن يخبر به فلا يستفيد بذكره مالم يكن علمه قبل لانه يعلم ان الأمة التي وصاها يعقوب عليه السلام قد مضت وانقضت ولها ما كسبت من أجر وعليها ما اكتسبت من إثم وأن المخاطبين يؤاخذون بعملهم لا بعمل غيرهم ولا يسألون عما عمله من تقدمهم. واذا كان معنى الآية هذا فهو معلوم لكل مميز لا يحتاج الى استفادته باخبار مخبر (والسؤال الثاني)هو عن تكرار هذه الآية لانها ذكرت في صدر العشر المفتتحة بقوله تعالى اذ قال له ربه أسلم ثم أعيدت في خاتمة هذه العشر التي تنقطع الى قوله سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها*فأما(الجواب) عن السؤال الأول وذكر فائدة الآية مع وضوح معناها لكل ذي معرفة فمن وجهين. (أحدهما) أن يكون مثل هذا الكلام يقال وان كان معلوماً للانسان على سبيل التنبيه على العصيان والبراءة اليه من

فعله وانه هو المؤاخذ به من دون غيره فيخرج الكلام على حد من المعدلة والنصفة لا مذهب لأحد عنه ويكون هذا أدعى له الى التأمل والتدبر وأقرب اليه من التبصر كما قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون فهذا أيضاً معلوم الا انه على سبيل تخليتهم مع النظر لأنفسهم والتبرّي مما يعود بسوء العاقبة عليهم . وعلى هذا الحد لكم دينكم ولي دين وهذا كثير والقصد به مفيد كما بينا (والوجه الثاني) من الجواب عن السؤال الأول أن يقال ان هذه الآية تبكيت للمعاندين من أهل الكتاب الذين ادعوا ان لزوم دينهم وشريعتهم مما أوجبه الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه على سلفهم وخلفهم فاحتج عليهم بان مايدّعونه لايقدرون فيه على أن يقولوا إنهم سمعوا ذلك منهم مشاهدة لقوله تعالى أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي على معنى لم يكونوا شهداء فاذا لم يثبت ذلك عندهم بمشاهدة ينقطع العذر وتلزم الحجة لان تلك الأمة قد خلت وانقضت وأدت عن الله ماتحملت وهو أن تكون التوراة قد أخبرت بمجيء عيسى عليه السلام ومجيء النبي صلى الله عليه وسلم من بعده فلها الأجر في صحة أدائها واظهارها ما أخذ الله به الميثاق عليها في قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس مايشترون ومعنى قوله ولكم ما كسبتم إثم ما كسبتم لما نبذتم ذلك وراء ظهوركم واشتريتم به ثمناً قليلا فهذا معنى قوله تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم فتبين لك انهم اذا لم يعلموا مايدّعونه من طريق المشاهدة لم يبق إلا ان يعلموه بخبر مخبر والمخبر الذي بينهم وبين

تلك الأمة ممن يجوز عليه الكذب وهذا خبر الله تعالى وهو الخبر الذي لا يكذب. نبيه على ذلك بقوله عند الانتهاء أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله أي اذا لم تعلموا ذلك من طريق مشاهدة لانقضاء تلك الأمة فالله تعالى أعلم منكم وقيله أصدق من قيلكم وأنتم تعلمون فتكتمون ماعندكم من الشهادة حسداً وبغياً وطلباً للرياسة والله تعالى قد أثبت ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم انه رسوله وان هذا القرآن تنزيله بحجج لائحة وبراهين واضحة وهو عز من قائل يخبر خبراً حقاً وقولا صدقاً ان الذي يدعون نقله عنهم ليس بحق فاذا بطل علم ذلك من طريق المشاهدة ومن طريق الخبر لم يثبت لكم من الحجة ما يثبت عليكم ويكون معنى قوله ولا تسألون عما كانوا يعملون لاتسألون عن عملهم لانه لاحجة لكم فيه بل الحجة عليكم به لان عملهم ابلاغهم الرسالة وفيها ماهو حجة عليكم وقد قاموا به حق القيام وثبت لهم صدق هذا المقام فلا تسألون عن عملهم الذي هو صفتهم ولا يقال لكم هل أدوا ذلك اليكم لوضوح الحجة به عليكم ويجوز أن يكون في ضمن هذه الآية وهم مسؤلون عن عملكم تبكيتاً لكم وتثبيتاً لحجتهم عليكم فذكر أحد الضدين واكتفى به عن الضد الذي ينافيه كما قال الله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ومعناه تقيكم الحر والبرد فكذلك قوله ولا تسألون عما كانوا يعملون وهم مسؤلون عن عملكم لقوله تعالى واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فأخبر عز اسمه انه يسأل عيسى عليه السلام عن عمل القوم بعده وادعائهم عليه مالم يقله تبكيتاً للقوم وتثبيتاً للحجة عليهم فكذلك معنى

المحذوف من الآية بازاء المثبت فيها اكتفاء بذكره عنها *و بقي الجواب عن فائدة تكرار الآية فى أول هـذه العشر وفي آخرها وفي انها ذكرت بعد الأول في قوله تعالى أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الهاً واحداً ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ومعناه ان اسرائيل عليه السلام قرر بنيه على عبادتهم التي ثبتت عندهم ووصاهم بها فقال تعالى لهؤلاء أتنفون ماثبت من وصية يعقوب عليه السلام بنيه وتقريره اياهم واقرارهم به والأمة قد انقضت وحالها في عبادتها قد ثبتت ومن نفى ماثبت من الدين فقد دخل في الكفر فهـذه الآية الأولى عقب ماثبت من تقرير يعقوب عليه السلام لبنيه واقرارهم له وهذه الآية كررت بعينها بعد قوله تعالى أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط الآية أم أنتم مثبتون ماهو منتف ومن أثبت في الدين ماليس فيه من هـذا البهتان العظيم فهو في الاثم كمن نفى عنه ماهو منـه ففى الأول نفي ما هو ثابت من اقرار بني اسرائيل وفي الثاني اثبات ماهو منفي من كون ابراهيم واسمعيل هوداً أو نصارى وكل واحد من هذين يوجب من البراءة ويستحق به من غلظ الوعيد والتخويف بالعقاب والتنبيه على الكبيرة التي تحبط الحسنات مثل مايوجبه الآخر فلذلك أعيد في الدعوى الثانية الباطلة ماقدم في الدعوى الاولى الكاذبة فكما استحقت تلك براءة الذمة من قائلها وتنبيهه على فساد قوله كذلك استحقت هذه فصارت الثانية في مكانها وحقها كما وقعت الاولى في محلها ومستحقها فلم يكن ذلك تكراراً بل كان وعيداً عقب كبيرة كما كان الأول وعيداً عقب كبيرة أخرى غير الثانية

الآية الثانية عشر

قوله تعالى في هذه السورة ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ وقال تعالى شبيهاً لهذه الآية في سورة آل عمران ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (للسائل) أن يسأل عن موضعين من هاتين الآيتين . (أحدهما) قوله أنزل الينا في الأولى وعلينا في الثانية . (والموضع الثاني) تكرار أوتي في الأولى وتركه في الثانية (فنقول) هل لاختيار الى مع قوله أنزل في هذه السورة فائدة يوجب اختصاصها وهل لاختيار على مع أنزل في سورة آل عمران معنى يقتضيها ولم كرر أوتي هنا ولم يكررها هناك . (والجواب) المختصر المشار به الى الفرق بين الموضعين في على والى أن أول الآية التي اختصت بها على قل آمنا بالله وأول الآية التي اختصت بها الى قولوا آمنا بالله وشرح ذلك أن على موضوعة لكون الشيء فوق الشيء ومجيئه من علو فهو مختص من الجهات الست كلها بجهة واحدة والى للمنتهي ويكون المنتهى من الجهات الست كلها فان توجه نحو الشيء شيء من عن يمينه أو عن شماله أو قدامه أو من ورائه أو من فوقه أو من تحته فانه اذا بلغه يقال فيه انتهى اليه فلا يتخصص الى بجهة واحدة كما يتخصص على فقوله تعالى قولوا آمنا بالله اختيرت فيها الى لانها مصدرة بخطاب المسلمين فوجب أن يختار له الى ثم جعل ماعطف عليه على لفظه بحق الاتباع وان صح فيه معنى الانتهاء فالمؤمنون لم

ينزل الوحي في الحقيقة عليهم من السماء وانما أنزل على الأنبياء ثم انتهى من عندهم اليهم فلما كان قولوا خطاباً لغير الأنبياء وكان لأممهم كان اختيار الى أولى من اختيار على ولما كانت في سورة آل عمران قد صدرت الآية بما هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله قل آمنا بالله وما أنزل علينا كانت على أحق بهذا المكان لان الوحي أنزل عليه وفي لفظ أنزل دلالة على انفصال الشيء من فوق ثم انتهى من عندهم اليهم أسفل وان يقرب اليه مايشا كله فيما يستحقه من المعنى أولى وان كان القرآن قد نطق بجميع ذلك في الأنبياء وفي غيرهم كقوله عز وجل نزل عليك الكتاب وأنزل عليك الكتاب وقال في موضع آخر وأنزلنا اليك الكتاب بالحق فالمنزل على الأنبياء منته اليهم فلذلك صحت الى الا أن على أصلها اذا قصد الايضاح بالمعنى أن تستعمل فيمن نزل الوحي عليه وشركة الأمة في اللفظ مجاز لا حقيقة والى في ذكر الانزال المتعلق بأمم الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أشبه بحقيقة معناها من على فلذلك خصنا فى الموضعين باللفظين المختلفين وجعل ما بعدهما يجري مجراهما كما يجب في حكم الاتباع * واما الموضع الثاني الذي أعيد فيه لفظة أوتي من سورة البقرة ولم يعد فيما بازائها من سورة آل عمران (فالجواب عنه) أن يقال انما اختص هناك لان العشر التى فيها مصدرة بقوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة فقدم ذكر ايتاء الكتاب واكتفى به عن التكرير في الموضع الذي كرر فيه من سورة البقرة على سبيل التوكيد * وبيان ذلك ان هذه العشر مبنية على ذكر عهد الله الى الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وما أخذ عليهم من المواثيق في تبين ما أنزله اليهم للناس فقوله وما أوتي

النبيون من ربهم هو قوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة في المعنى فلما تقدم هذا الذكر وجاء وما أوتي موسى وعيسى اكتفى عن اعادة وما أوتي النبيون بالذكر المتقدم ولما لم يتقدم في سورة البقرة ذكر ايتاء النبيين ما أوتوا من الكتب في هذه العشر لم يكن فيه ما يغني عن التوكيد باعادة اللفظ * هذا الفرق بين الموضعين والله أعلم

الآية الثالثة عشر

قوله تعالى ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ وقال بعده في هذه العشر ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ (للسائل) أن يسأل عن الفائدة لتكرار هذه الآية في هذه العشر مع ان في كل واحدة كفاية * (والجواب) عنه أن يقال ان قوله فول وجهك شطر المسجد هو الأمر الأول بالتوجه نحو القبلة التي هي الكعبة واللفظ للنبي صلى الله عليه وسلم وما بعده هو خطاب له ولأمته وهو قوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره .. وأما الآية الثانية وهي قوله ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام فالخروج خروجان. أحدهما خروج المصلي من مكان الى مكان يرى فيه الكعبة وهو المسجد الحرام فكأنه قال ومن أي باب من أبواب المسجد خرجت فتوخ استقبال الكعبة بالصلاة . والخروج الثاني خروج من البلد الذي فيه المسجد الحرام وهو الحرم فكأنه قال وان خرجت من البلد من أي باب خرجت فاجعل الكعبة قبلة تتوجه

نحوها بصلاتك فعلى هذا يكون لكل آية فائدة فالاولى ليس فيها خروج والثانية هي خروج من أقرب الاماكن الى الكعبة والثالثة خروج مما عدا ذلك عام في البلاد وقد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا يثبت مثلها للبعد فوقعت مظاهرة بالأمر بتولي القبلة في القرب والبعد ولفظة خرجت لفظة الماضي وهي في موضع المستقبل لان المعنى معنى الشرط والجزاء وحيث وجدها وان تضمنت معنى الشرط فانه لا يجزم بها الفعل المستقبل بل تقول من حيث تخرج فترفع الفعل فان اردت من اي موضع يخرج فأي موضع يجزم الفعل وحيث لا تجزمه إلا اذا قارنتها ما فتقول حيثما تنزل أنزل فان قلت حيث تنزل انزل بطل الجزم ووجب الرفع فقوله تعالى وحيث ما كنتم . كنتم في هذا المكان في موضع فعل مجزوم فكأنه قال وحيثما تكونوا فولوا وجوهكم شطره وليس كذلك ومن حيث خرجت إلا انه لا يخرج عن تضمن معنى الشرط* يبين ذلك دخول الفاء في الجواب ولولا هذا المعنى ما احتيج اليها فلهذا قلنا ان الماضي بعدها بمنزلة المستقبل كما يكون فى قولك ان خرجت خرجت إلا أن الماضي لا يجزم كما لا يجزم الفعل فى صلة الذي وان دخله معنى الشرط اذا قلت الذى يزورني فله درهم فأوجبت الدرهم بالزيارة وحيث في هذا الموضع على غير ماهي عليه في قولك قعدت اليوم حيث قعدت أمس لان تلك شائعة كشياع الاسماء التي تقع بمعنى الشرط ومجازاتها

الآية الرابعة عشر

قوله تعالى ﴿ واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون ﴾ وفي هذه الآية موضعان يشابهان موضعين من آيتين أخريين * الاول قوله ما ألفينا عليه آباءنا وبازائه

في سورة لقمان﴿ واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا﴾ والموضع الثاني قوله في سورة المائدة ﴿ أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ (للسائل) أن يسأل فيقول هل لتخصيص الموضع الذي في البقرة بقوله ألفينا دون وجدنا فائدة تخصه وهل لتخصيص الموضع الثاني بقوله لايعقلون شيئاً دون قوله لايعلمون شيئاً فائدة وهل لتخصيص لايعلمون في موضعه دون قوله لايعقلون في موضعه فائدة (والجواب) عن الموضع الأول وهو قوله ألفينا أن ألفينا يقصد بها بعض الوجوه التى يستعمل عليه وجدنا لأنه يقال وجدت الشيء فلا يحتاج الى مفعول ثان اذا وجدته عن عدم ولوجدان الضالة تقول وجدت الضالة وتقول وجدت زيداً عاقلا فيكون الوجود متعلقاً بالخبر الذي هو المفعول الثاني ولا بدّ له في هذا الوجه منه ولا يكتفى بالمفعول الأول وأما قولهم ألفيت فانها مخصوصة بهذا الوجه من وجوه وجدت لايقال ألفيت درهماً بمعنى وجدت درهماً ولا ألفيت الضالة بمعنى وجدتها وانما يقال ألفيت زيداً عاقلا وألفيته على الهدى وعلى الضلالة فكان في الموضع الأول استعمال اللفظ الأخص أولى وتأخير اللفظ المشترك الى المكان الثاني أولى (والجواب) عن المسئلة الثانية من هذه الآية في قوله عز وجل لايعقلون شيئاً ولا يهتدون مع ما في سورة المائدة من قوله أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون أن يقال إن لقوله لايعلمون رتبة ليست لقوله يعقلون واذا وقفت على ما بينهما سهلت عليك معرفة ما اوجب تخصيص كل مكان باللفظ المخصوص به فقول القائل يعلم معناه يدرك الشيء على ماهو به مع سكون اليه وقوله يعقل معناه يحصره بادراك له عما لايدركه لذلك جاز أن يقول يعلم الله كذا ولا يجوز أن يقول يعقل الله كذا لان العقل

يشدّ والعاقل الذي يحبس نفسه عما تدعو اليه الشهوات ولا شهوة لله تعالى فيحتبس عنها فلذلك لا يقال لله (١) عاقل فيقال (٢) عقل فلان الشيء وهو يعقله بمعنى حصره بادراكه له عما لا يدركه ويفيده تمييزه له عن غيره مما لم يدركه وهذا لا يصح في حق الله تعالى فاذا كانت رتبة يعلمون زائدة على رتبة يعقلون وأخبر الله عن الكفار في سورة المائدة فقال واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون فبين انهم ادعوا رتبة العلم بصحة ما كان آباؤهم عليه لأنهم قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا ولفظة حسبنا تستعمل فيما يكفي في بابه ويغني عن غيره فالمدرك للشيء اذا أدركه على ماهو به وسكنت نفسه اليه فذاك حسبه فاستعمل لفظة يعلمون ونفى عنهم النهاية لأنهم ادعوها بقولهم حسبنا فكأنهم قالوا معنا علم تسكن نفوسنا اليه مما وجدنا عليه آباءنا من الدين فنفى ما ادعوه بعينه وهو العلم . والموضع الأول الذي في سورة البقرة لم يحك عنهم فيه أنهم ادعوا تناهيهم في معرفة ما اتبعوا (٣) فيه آباءهم بل كان قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ولم يدعوا أن ما ألفوا عليه آباءهم كان كافيهم وحسبهم فاكتفى بنفي أدنى منازل العلم لتكون كل دعوى مقابلة بما هو بازائها مما يبطلها والسلام

الاية الخامسة عشر

قوله تعالى في هذه السورة ﴿ ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ان الله غفور

(١) نسخة أنه عاقل (٢) من باب ضرب ويأتي على لغة من باب نصب (٣) نسخة عليه

رحيم﴾ وجاء في ثلاثة مواضع بعده وما أهل لغير الله به أولها في سورة المائدة ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ وفي آخر سورة الأنعام ﴿قل لا أجد فيما أوحي الي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به﴾ وفي سورة النحل ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واذكروا نعمة الله ان كنتم إياه تعبدون. انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ فجاء في المواضع الثلاثة به مؤخراً عن قوله لغير الله وفي الموضع الأول من سورة البقرة مقدماً على قوله لغير الله (للسائل) أن يسأل فيقول لماذا اختلف الموضع الأول مع المواضع التي بعده (والجواب) أن يقال أما الموضع الأول فانه جاء على الأصل الذي يقتضيه حكم اللفظ لان الباء التي يتعدى بها الفعل في هذا المكان من جملة الباآت التي تجيء كحرف من نفس الفعل تقول ذهبت بزيد ثم تقول أذهبت زيداً فتصير الباء كالهمزة المزيدة في بنية الفعل فيجب لذلك أن تكون أحق بالتقديم وما يتعدى اليه الفعل باللام لا يترك لانه بمنزلة الحرف من نفس الفعل فصار قوله أهل به لغير الله بمنزلة ذبح لغير الله مسمى عليه اسم بعض الآلهة فلما كان هذا الأصل في الأول جرت الآية الأولى عليه ولما كان الاهلال بالمذبوح لا يستنكر إلا اذا كان لغير الله كان ماعدا الأصل بتقديم المستنكر أحق وأولى ألا ترى انهم يقدمون المفعول اذا كانوا ببيانه أعني فيقولون ضرب زيداً عمرو فيقدمون المفعول على الفاعل لان الاهتمام بأمره أتم لان هذا ينفي منه مافيه وهم متوهم أو قول قائل ضرب محمد زيداً فيقع الخلاف في المفعول لا في الفاعل فيقول المنكر لذلك المثبت صحة ماعنده ضرب عمراً زيد لا محمداً فان ترك قوله لا محمداً كان مكتفياً عنه بتقديم المفعول وكذلك

ما ينكره من الفضلات كالظرفين والحال فقال المخاطب إذ توهم ضرب زيد عمراً اليوم فقال المنكر ضرب أمس زيد عمراً فقدم أمس على الفاعل والمفعول به لانه هو الذي ينكره ويمنع أن يكون على ما نوهمه والباقي من الكلام ليس فيه ما يستنكره فالعناية بتقديم ما يزيل الشك عنه أتم وهو بالتقديم أحق. فذلك قوله تعالى وما أهل به لغير الله مع قوله وما أهل لغير الله به في الآي الثلاث

الآية السادسة عشر

قوله عز وجل ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ان الله غفور رحيم ﴾ وقال في سورة الانعام ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم ﴾ وقال في سورة النحل ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ﴾ (للسائل) أن يسأل فيقول هل لاختلاف الالفاظ التي اتبعت قوله اضطر غير باغ ولا عاد معنى يخصص كل مكان باللفظ الذي اختص به (والجواب) أن يقال قصد الله تعالى في المواضع الثلاثة أن يبين للمضطر ماله أن يتناول من المحرم الذي يمسك به (١) رمقه فذكر في الموضعين الآخرين فان ربك غفور رحيم وفان الله غفور رحيم فكان تعريضاً بمغفرته لمن اضطر الى تناول المحرم في حالته فالموضع الأول بدأ فيه بصريح اللفظ باسقاط الإثم فقال فلا إثم عليه ثم عقبه بما اتصف به من المغفرة والرحمة وفي هذه الآي الثلاث سؤال آخر وهو انه قال في الأولى ان الله غفور رحيم وفي الثانية فان ربك غفور رحيم وفي الثالثة فان الله غفور رحيم فهل لاختصاص الاول

(١) الرمق بفتحتين بقية الروح وقد يطلق على القوة يقال يأكل المضطر من الميتة ما يسد به رمقه أي ما يمسك قوته ويحفظها وهذا هو المراد هنا كما هو ظاهر اهـ

والأخير بذكر الله تعالى فائدة ولاختصاصه في الآية الثانية بقوله فان ربك غفور رحيم وعدوله عن ذكر الله الى ذكر ربك فائدة مخصصة بمكانه (فالجواب) عن ذلك أن يقال لكل موضع معنى يوجب اختصاص اللفظ الذي ذكر فيه فأما الأول فلانه لما قال ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون وختم بقوله إنما حرم عليكم كذا كان بما قدمه مثبتاً عليهم إلهيته لأن الإله هو الذي يحق له العبادة بما له من النعمة فلما قدم ذكر مارزقهم منها وطالبهم بشكرها أتبعه بقوله إن كنتم إياه تعبدون وختم الآية بأن قال فان الله غفور رحيم أي من أنعم عليكم غاية النعمة واستحق بها غاية التعبد والتذلل هو الذي يغفر لكم عند الضرورة تناول ماحرمه عليكم في حال الاختيار رحيم بكم وكذلك الآية الثالثة مبنية على مثل هذا لأن أولها فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واشكروا نعمة الله عليكم ان كنتم إياه تعبدون فكان مشبهاً لما قدمنا ذكره فقال فان الله غفور رحيم وأما الثانية فلأنه قدم عليها ذكر أصناف ماخلقه الله لتربية الأجسام فقال وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع فذكر الثمار والحب وأتبعه بذكر الحيوان من الابل والبقر والغنم خص هذا الموضع بذكر الرب لأن الرب هو القائم بمصالح المربوب فكان هذا (١) أليق بهذا المكان والله أعلم

الآية السابعة عشر

قوله تعالى ﴿ ان الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم

(١) نسخة اللائق

القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ وفي سورة آل عمران ﴿ ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ (للسائل) أن يسأل فيقول الاخبار في الموضعين عن أهل الكتاب الذين كتموا ذكر بعث النبي صلى الله عليه وسلم من كتابهم المنزل عليهم من التوراة والانجيل والتوعد في الموضعين مختلف والكبيرة واحدة فهل هناك معنى يوجب اختلاف الوعيد في المكانين (والجواب) أن يقال الوعيد في مكان من المكانين على حسب ماذكر من عظم الذنب وكبر الجرم فقال في سورة البقرة ان الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا فوصفهم بأنهم خالفوا الله في أمره ونقضوا ماأقدم من عهده اليهم حيث قال وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فهؤلاء لم يبينوا وكتموا فخالفوا بارتكاب ما نهى الله عن ارتكابه وترك ماأمر الله باتيانه(١) ثم قال ويشترون به ثمناً قليلا أي نصيباً يسيراً من الدنيا فجاء على هذا غاظ(٢) الوعيد وهو قوله أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار أي هذا الحظ اليسير الذي نالوه من الدنيا بمطعم ومشرب انما هو نار في أجوافهم ثم قال ولا يكلمهم الله يوم القيامة أي ليسوا ممن ترجى نجاتهم فيجيئهم من قبل الله كلام أوسلام كما قال في أوليائه تحيتهم يوم يلقونه سلام ثم قال ولا يزكيهم أي لا يطهرهم من ذنب الكفر بالعفو عنهم ولهم عذاب أليم ثم قال أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فكرر ذكر سوء اشترائهم ووعيدهم وانهم باعوا الاسلام بالكفر واشتروا عذاب الله بالغفران واقتحموا عذاب النار

(١) نسخة بأنبائه (٢) نسخة فلذا اغلظ الوعيد

فعل من يعجب من[١] صبره عليها فهذه أنواع كثيرة من التوعد اقترنت بما حصل من الذنب العظيم في كتمان مالم يجب كتمانه والاعراض عن تبيين ماوجب تبيانه والآية التي في سورة آل عمران لم يذكر في أولها من الذنوب التي ارتكبوها مثل ماذكر في أول هذه الآية قال ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا فكان ههنا ذكر بعض ماذكر في الآية الأولى وهو يشترون به ثمناً قليلا فقرن به من الوعيد أقل مما قرن بالآية الأولى وهو ان قال لا خلاق لهم في الآخرة أي لا نصيب لهم من الخير فلا يكلمهم الله كما يكلم أولياءه ولا ينظر اليهم نظر رحمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم

الآية الثامنة عشر

قوله تعالى ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾ وقال في آخر هذه السورة ﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ﴾ (للسائل) أن يسأل فيقول كيف اختص الموضع الاول بقوله فلا تقربوها والموضع الثاني بقوله فلا تعتدوها (والجواب) أن يقال الأول خرج على أغلظ الوعيد كما قال ولا تقربا هذه الشجرة وانما كان نهى عن أكلها لا الدنو منها فخرج مخرج قول القائل اذا نهى عن الشيء وشدد الأمر فيه لا تقرب هذا الشيء وما أحسن ماقال النبي صلى الله عليه وسلم في المنع من مقاربة الحرام من رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وكما يروى عن بعض الصالحين إني لأحب أن يكشف الحاجز بيني وبين ماحرم الله فلما كانت[٢] حالة هذه الموضع الاول نهياً عن مواقعة النساء في حالة الاعتكاف في المساجد

(١) نسخة باسقاط من (٢) نسخة فلما كان هذا الموضع الاول

صار فيه تحذير من دواعي المواقعة فاقتضى من المبالغة مالم يقتضه قوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها فكأنه قال لا تجاوزوها يعني المرأة اذا افتدت لمهرها وخالعت زوجها لم يكن عليها إثم وهذه حدود نهي عن (١) تعديتها والحدود ضربان حد هو منع من ارتكاب المحظور وحد هو فاصل بين الحلال والحرام فالأول ينهى عن مقاربته والثاني ينهى عن مجاوزته وهما المذكوران في هذه السورة وحد النهي عنهما والسلام

الآية التاسعة عشر

قوله تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ وقال في سورة الانفال ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير ﴾ (للسائل) أن يسأل فيقول لأي فائدة قال في هذه السورة ويكون الدين لله ولم يؤكد وعقبه بقوله فلا عدوان إلا على الظالمين وفي سورة الأنفال ويكون الدين كله لله فوكده وأتبعه قوله فان الله بما يعملون بصير (والجواب) عن ذلك أن يقال الآية الاولى في هذه السورة جاءت في قتال أهل مكة ألا ترى ما قبلها واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ثم قال ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وهذا مختص بقتال قوم مخصوصين من أهل الشرك وهم نازلة الحرم فاقتصر على الدين من غير توكيد على معنى حتى يكون الدين حيث هؤلاء لا في كل مكان لانه لا يحصل بقتل مشركي مكة الدين

(١) نسخة تعديها

البلاد وقوله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين أي ان انتهوا عن كفرهم فلا عدوان عليهم انما العدوان على من أقام على الضلالة وظلم نفسه بلزوم الجهالة وأما ما في سورة الأنفال فالامر ورد عاماً في قتال كل الكافرين ألا ترى ان قبل الآية قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وليس هذا في طائفة من الكفار دون طائفة فاذا كان ذلك كذلك وقال بعده وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة أي لايكون شرك وكفر اقتضى هذا أن يكون بعده ويكون الدين كله لله فأمر بابطال كل كفر قدروا عليه وأتبعه قوله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير أي ان انتهوا وانتقلوا الى الايمان وكفوكم بما يظهرون من الاسلام عن قتالهم فالله يعلم عملكم وعملهم على القراءتين جميعاً فيكون الخطاب للمقاتلين ولفظ المعاتبة للمقاتلين ويمكن أن يقال إن الخطاب في يعملون يشمل الكل لانه قال حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فكلهم قد صاروا مؤمنين فلا جرم أن ضمهم خطاب واحد وأعلمهم انه مجازٍ لهم على عملهم مطلع على سرائرهم يعرف من كان انتهاؤه عن الكفر لرغبة من رغائب الدنيا ومن كان انتهاؤه عنه للتبصر فسوّي بين السر والجهر واللفظة في ضمنها اذا وردت من القادر الحكيم غاية التخويف والوعيد في العقاب الأليم وغاية الترغيب في الثواب العظيم لفرقتي الطاعة والعصيان فهذا (١) فرق والسلام

﴿ الآية العشرون ﴾

قوله تعالى ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا

(١) نسخة وهذا وجهه

من قبلكم مستهم البأساء والضرّاء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب﴾ وقال في سورة آل عمران﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ وقال في سورة التوبة﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾ (للسائل)أن يسأل فيقول كيف اختلف اللفظ في الثلاثة المواضع وهي فيها كلها نعت على الجهاد وهل صلح ماهو في الأول للآخر أم اقتضاه مكانه بعينه دون غيره (والجواب) أن يقال بل لكل معنى يقتضي اللفظ الذي خص به فالآية الأولى من هذه السورة وردت عقيب قوله كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ثم قال وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه يعني الكتاب من بعد ماجاءتهم البينات بغياً بينهم فكانت هذه الحالة التي أخبر الله تعالى عنها مشبهة حال النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه فيما دفعوا اليه من بغي المشركين ومقاتلتهم لهم مجاهدين فقال ام حسبتم ان تشتروا الجنة لتسكنوها خالدين فيها ولم تفعلوا أفعال الأمم الماضية فيما دفعت اليه هي وانبياؤها صلوات الله عليهم وسلامه من قتال الكفار من الشدة والمضرة والانزعاج عن المواطن حتى استعجلوا النصر لما استنفدوا الصبر أعلمهم الله ان نصره قريب من اوليائه غير بعيد عن حزبه فكذلك حالكم اذا عرفتم حالهم وعاقبة أمرهم ومآلهم ومعنى قوله تدخلوا الجنة وما يليه في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون فكان في ذكر ذلك شحذاً لبصائرهم في الجهاد وحملهم على الاقتداء بفرق الصلاح وأمم الانبياء قبلهم

وتأنيس لهم بالصبر على ما حل بهم حتى حمدوا عاقبة أمرهم. وأما الآية الثانيـة في سورة آل عمران وهي أم حسبتم أن تدخلوا الجنـة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فهي خطاب للمسلمين الذين نالهم من قتـال المشركين جراحات قال فيها ان يمسسكم قرح فقـد مس القوم قرح مثله فقال أم حسبتم أن تنالوا الجنـة ولما تجاهدوا الاعداء من الـكفار فيعلم الله ذلك منكم ولما تصبروا صبراً زائداً على صبرهم فيرى ذلك من فضلكم عليهم فان الجنة لمن فعل ماأمر الله به في الوقت من قتال أهل الكفر وتوطينهم النفس فيه على الصبر فيخف عليه مايجد من الألم بما تحقق من الفوز في الآجلة والعاجلة والحالة التي رد (١) فيها هذه الآية اقتضت البعث على التشمير للقتال والصبر بعد صبر الأعداء وقد قيل لبعض العرب ما كان سبب كثرة ظفركم بأعدائكم فقال كنا نصبر بعد صبرهم ساعة فيكون ذلك سبب الظفر . وأما الآية الثالثـة في سورة براءة وهي أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بمـا تعملون فانها خطاب للمجاهدين من المؤمنين وتوعداً لمن كان منهم يبقى على أقارب له عند الظفر بهم لقوله بعده ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الـكفر على الايمـان ومن يتولهـم منكم فأولئـك هم الظالمون. قل ان كان آباؤكم الآية فحذر المنافقين الذين ضاموا المؤمنين في قتال المشركين أن يعلم الله مجاهدتهم أعـداءهم وقد اتخـذوا معها وليجة بينهم وبين المشركين «فالوليجة» هي المدخل الذي ذكره الله في الآية بعدها عنـد وصف المنافقـين فقال ويحلفون بالله انهـم لمنكم وما هم منكم

(١) لعله وردت والله اعلم

ولكنهم قوم يفرقون.لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون فقولك ولج بمعنى دخل « فالوليجة » المدخل وهي الوسيلة التي يدخل بها الانسان حريم الانسان كالباب المفتوح له يفعل فعله فكأنه كان التوعد يقتضي أن يقال لهم أظننتم أن تتركوا وما تظهرون من مجاهدتكم أعداءكم ولم يكن منكم جهاد خالص لله لا تمالؤون فيه أبا ولا ابناً ولا ترعون فيه حميما ولا قريباً ولا تبقون على ذي معرفة ابقاء تتقربون به رجاء أن يجازوكم عليه فان قدرتم أن تتركوا ومضامة (١) المسلمين في القتال من غير أن يعلم منكم باطناً عارياً من هذه الحال فقد أخطأ ظنكم وأخلف تقديركم فانكم مطالبون بالتوفقة بين سركم وجهركم

الآية الحادية والعشرون

قوله تعالى ﴿ ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر ﴾ وقال في سورة الطلاق ﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ (للسائل) أن يسأل فيقول اذا كان الكاف في ذلك للمخاطب فيجمع اذا كثروا ويقال ذلكم كما قال في الآية الأخيرة من الآيتين وكما قال ذلكم أزكى لكم وأطهر وكما قال في مخاطبة الاثنين ذلكما مما علمني ربي وكما قال في مخاطبة النساء فذلكن الذي لمتنني فيه فيثنى ويجمع على حسب المخاطب كما يذكر ويؤنث وينكر كقوله قال كذلك قال ربك هو علي هين فما بال قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر في سورة

---

(١) لعلها مضامة بدون واو

البقرة فوحد الكاف من ذلك مع جمعها في نظيرها في سورة الطلاق (والجواب) عن ذلك أن يقال ان الكاف تجيء في الكلام اسماً للمخاطب وموضعها نصب كقولك رأيتك وجر كما في غلامك وتجيء متصلة بالأسماء المبهمة التي للاشارة وليست باسم ولكنها للخطاب ويقاربها معنى آخر وهو تبعيد المشار اليه نحو ذاك وذلك وأولئك والدليل على انها ليست اسماً قوله فذانك برهانان من ربك ولو كان اسماً مجروراً لما [١] اجتمعت مع نون التثنية كما لا تجتمع معها في قولك غلامك فلا تقول غلامانك ولا يجوز أن تكون الكاف بعد المبهمة اسماً منصوباً لانه ناصب وشيء آخر وهو ان هذه المبهمة معارف ولا تصح اضافتها والكاف بعدها ليست باسم مضاف اليه فاذا عريت من الاسمية لم تعر من معنى الخطاب والمعنى الذي يقاربها مع الخطاب في المبهم انك تقول ذا فيكون اشارة الى قريب فاذا قلت ذاك صار بالكاف اشارة الى بعيد فلما عريت الكاف من الاسمية قصد بها الى أحد المعنيين اللذين وضعت لهما كذلك في الاسماء المبهمة لما قصد بها معنيان الخطاب والتبعيد جاز أن يعرى من أحدهما وهو الخطاب ويقتصر بها على معنى التبعيد حسب على حسب قصد [٢] القاصد واذا جاءت مثناة اللفظ أو مجموعة على حسب حال المخاطبين فهي على المعنيين وتبيين الموضع الذي يقصد فيه التبعيد وحده لغرض من الأغراض دون الخطاب والتبعيد معاً يمكن باستقراء كل لفظ من القرآن جاءت فيه ذلك والمخاطبون عدة وتأمل موضعها من تأمل المواضع الأخر التي ثبتت فيها وجمعت واستنباط حكمه يقتضي في ذلك الموضع استعمالها للتبعيد وحده دون الخطاب وسنتأمل هذا على استكمال في كل مكان ان شاء الله

(١) نسخة لما اجتمعت فيه نون في ذلك (٢) نسخة على حسب المقاصد

تعالى (وجواب آخر) عن المسئلة وهو ان كل موضع أفردت فيه الكاف والخطاب لجماعة فانما قصد بالكاف المفردة مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم العدول عنها (١) الى مخاطبة أمته كقوله عزمن قائل يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فلم يمنعه قوله اذا طلقتم وهو خطاب الجماعة عن ان يفرد للنبي صلى الله عليه وسلم خطاباً مخصوصاً موحداً وهو قوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فكذلك قوله ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله تكون الكاف في ذلك لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم والكاف في منكم لخطاب لأمته وكذلك كل موضع جاءت الكاف فيه هذا المجيء

الآية الثانية والعشرون

قوله تعالى ﴿ فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ﴾ وقال في آخر هذه العشر ﴿ فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم ﴾ (للسائل) أن يسأل فيقول ما الفائدة التي أوجبت اختصاص المكان الأول بالتعريف والباء فقال بالمعروف والمكان الثاني بالتنكير ولفظة من (والجواب) عن ذلك أن يقال ان الأول تعلق بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف أي لا جناح عليكم في أن يفعلن في أنفسهن بأمر الله وهو ما أباحه لهن من التزوج بعد انقضاء العدة فالمعروف ههنا أمر الله المشهور وهو فعله وشرعه الذي شرعه وحث عليه عباده والثاني المراد به فلا جناح

(١) نسخة عنه

عليكم فيما فعلن في أنفسهن من جملة الافعال التي لهن أن يفعلن من تزوج أو قعود فالمعروف ههنا فعل من أفعالهن يعرف في الدين جوازه وهو بعض مالهن أن يفعلنه ولهذا المعنى خص بلفظة من ونكر فجاء المعروف في الاول معرف اللفظ لما أشرت اليه وهو ان يفعلن في أنفسهن بالوجه المعروف المشهور الذى أباح الشرع من ذلك وهو الوجه الذى دل الله عليه وأبانه فعرف إذ كان معرفة مقصوداً نحوه وكذلك خص بالباء وهي للالصاق والثاني كان وجهاً من الوجوه التي لهن أن ياتينه فأخرج مخرج النكرة لذلك

﴿ الآية الثالثة والعشرون ﴾

قوله تعالى ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم ﴾ وقال في سورة النساء في الموضع الأول ﴿ ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ﴾ وفي الموضع الثاني ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما ﴾ وقال في سورة الحديد ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ﴾ (للسائل) أن يسأل عن المواضع الأربعة عن اختلاف اللفظين في الموضعين واتفاقهما في الموضعين واختصاص الموضعين بالواو واختصاص الموضعين الآخرين بان وان يسأل فيقول ذكر في الآية الأولى الكفار الأثيم وفي الآية الثانية الخوان الأثيم وفي الثالثة المختال الفخور فهل في كل مكان معنى يوجب اختصاصه باللفظ المستعمل فيه وما ذلك المعنى (والجواب) أن يقال ان الآية الاولى في الكفار الذين استحلوا ما حرم الله وعارضوا ما أنزل الله فقالوا انما البيع مثل الربا حتى قال فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فعظم كفرهم وسمى كل واحد منهم كفاراً على لفظ المبالغة لان كفاراً بعد كافر لمن هو مقيم على الكفر والكفر عادته كضارب

وضراب وخائط وخياط ثم اتبعه بقوله أثيم أي مبالغ في اكتساب الإثم وأثيم أبلغ من آثم فاذا كفر كفراً بعد كفر وأقام عليه وهو وصف من أخبر عنه بالاستحلال للربا سماه كفاراً فصار أثيماً بذلك وسائر أبنية الأفعال التي تلحقها بالكفر وأما الموضع الثاني وهو الأول من سورة النساء فانه أمرهم بالعبادة وترك الشرك فقال واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً أخبرهم بأنهم عبيد والعبد لا يحسن منه الاختيال والفخر لأن الرق والذل يخالفانه فلذلك عقبه بقوله ان الله لا يحب كل مختال فخور وعقبهما بالذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل لانه بعد العبادة أمرهم بالاحسان الى (١) الوالدين واعطاء ذي القربى واليتامى والمساكين فقال (٢) ان الله لا يحب العبد المختال الفخور البخيل وأما الموضع الثالث وهو الثاني من سورة النساء ان الله لا يحب من كان خواناً أثيماً فلانه ذكر قبله ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خواناً أثيماً فأخبر عن حالهم فاقتضى تقدم الذكر هذا الوصف. والموضع الرابع والله لا يحب كل مختال فخور في سورة الحديد جاء بعد نهيه عن تمكين (٣) الحزن والأسى من النفس على مايفوت من أحوال الدنيا ويفجع به الانسان من مستفاد النعمى للعلم السابق بأنها عوار (٤) مرتجعة فكذلك اذا خول منه الكثير لا يمرح بحبه ولا يبطر فيه كما قال ولا تمش في الأرض مرحاً أي فعل المختال فذم الافراط في الجزع عند المصيبة والفجيعة والغلو في الفرح والمرح عند العطية وكثرة الشبعة حتى

(١) نسخة للوالدين (٢) هكذا في النسخ التي بيدي ولعل الصواب فكأنه قال ان الله الخ فتدبر والله أعلم (٣) نسخة تمكن (٤) جمع عارية بالراء

يخرج عن التواضع مما يحول الى الكبرياء فيبطر ويمرح ويفتخر فعقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور وانما عقبهم بالذين يبخلون لأن المتقدم عليه إن المصدّقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم فكأنه حثهم على الصدقة وإقراض الله فان من لم يفعل ذلك يكون بخيلا والله لا يحب البخيل وأما الفرق بين الواو وان فان الواو في أكثر الأحوال لا تكون أجنبية مما قبلها بخلاف إن فانها كلمة أجنبية من الكلمتين وضعت لابتداء الكلام ففي سورة البقرة وسورة الحديد الكلام متصل بعضه ببعض فذكره بواو حيث قال يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب فوصلها بالواو وكذلك في الحديد ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور والاختيال والفخر انما يكون من الفرح فجمع بينهما بواو وأما الموضعان الآخران في سورة النساء فقد تم الكلام فيهما لأنه في الأول أمرهم بالعبادة وترك الشرك والاحسان بالوالدين وذي القربى واليتامى، والمساكين وابن السبيل والجار وملك اليمين وقد تمت هذه الأوامر ثم ابتدأ بقوله ان الله لا يحب من كان كذا وكذا وكذلك الموضع الثاني لأنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المجادلة عن الذين يختانون أنفسهم فأتم الكلام ثم قال إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً فاختص كل مكان بالوصف الذي لاق به والسلام

﴿ مضى الكلام فيما شابه من سورة البقرة مكاناً آخر منها أو من غيرها عن اثنين وثلاثين موضعاً وقع فيها السؤال ﴾

﴿ سورة آل عمران سبع آيات ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم

الله بذنوبهم والله شديد العقاب ﴾ وقال في سورة الأنفال ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ﴾ وبعدها بآية ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴾ (للسائل) أن يسأل في هذه الآي عن مسائل [1] أما في الآية الاولى فمن قوله كذبوا بآياتنا والعدول بعده عن الإخبار عن النفس بالاسم المضمر الى الاسم المظهر وهو قوله فأخذهم الله بذنوبهم ولم يقل فأخذناهم وهل ههنا فائدة توجب العدول عن اجراء الكلام الثاني مجرى الكلام الأول في اسناد الفعل الى ما أسند اليه فيما قبل والمسألة الثانية أن يسأل عن الكاف في كدأب ووجه اتصالها بما قبلها وموضعها من الإعراب لأنها بمعنى مثل والكاف التي يصح مكانها مثل محكوم على موضعها برفع أو نصب أو جر والمسألة الثالثة في الآية الثانية ومخالفتها للآية الاولى في اجراء الخبر كله على لفظة واحدة وهي لفظة الله لانه قال تعالى كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ولم يقل كفروا بآياتنا كما قال في الاولى والمسألة الرابعة في الآية الثالثة وهي انه قال كذبوا بآيات ربهم ولم يقل بآياتنا كما قال في الاولى ولا بآيات الله كما قال في الثانية بل أتى بصفة من صفات الله عز وجل وهي الرب والمسألة الخامسة فمن فائدة التكرار في سورة الأنفال في موضع [2] لا يحجز بينهما إلا آية واحدة أما المسئلة الاولى فقوله كذبوا بآياتنا وقع الاخبار عن النفس كما يجب في

(١) نسخة عن مسائل منها (٢) كذا بالنسخ التي بيدى والصواب موضعين كما هو ظاهر والله اعلم

مثله اذا أخبر المتكلم عن نفسه بفعل فعله فأتى بلفظ المضمر دون المظهر ثم خالف ذلك اللفظ الى غيره فقال فأخذهم الله (والجواب) عن هذا أن يقال العدول عن المنهج الاول المستمر في الإخبار عن النفس الى لفظ ظاهر هو لفائدة تضمنتها هذه اللفظة من الاحتجاج وليست هذه الفائدة في لفظة الاضمار وكانت الآية التي قبلها قد وقع فيها مثل هذا العدول الى هذه اللفظة للاحتجاج الذي من أجله وقع العدول في هذا المكان اليه وهو قوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد فقوله ربنا يقتضي أن يكون بعده إنك لا تخلف الميعاد كما قال ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فلما قال تعالى في هذا الموضع ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه فكان [1] المعنى إنك خلقت الدار الاولى للتكليف ومكنت [2] العباد فيها من الطاعة والعصيان ورغبت المطيع في الثواب وخوفت العاصي من العقاب فوقع منك وعد ووعيد فرغبت [3] من الوفاء بهما بانك تجمع الخلائق ليوم الجزاء لان من خلق وأنعم نعمة حقت بها العبادة ولزمت من أجلها الطاعة وهو معنى قولنا إن الله اذا وعد صدق فلا خلف في قوله ولا تبديل لكلماته فلما كان معنى قولنا الله معنى الاله والاله مشتق من أله يأله إلاهة أي عبد يعبد عبادة فالاله هو الذي حقت عبادته لما عظمت نعمته كان العدول الى هذه اللفظة للاحتجاج

---

(١) نسخة وكان (٢) نسخة وبليت العباد (٣) ليس في نسخة هذه العبارة الى قوله بأنك الخ

بمعناها فائدة لم تكن لتحصل لو قال إنك لا تخلف الميعاد فلما تقدمت هذه الآية التي وقع العدول فيها عن لفظ الى لفظ لما قصد من الاحتجاج بمعناه فكذلك بنيت هذه الآية التي تليها عليها في مثل هذا الحكم لما ثبت من مثل هذا المعنى فقال تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأتى بالضمير الفاعل وكان يعقل من قوله كذبوا بآياتنا أي إنا عرضناهم للايمان ومكناهم من الاسلام وأزحنا العلة ونصبنا الأدلة فكذبوا بها فالذي حقت له العبادة وعظمت منه النعمة أخذهم بذنوبهم والله يعاقب الكفار عقوبة تشتد عليهم ولا تخفف عنهم لما قدموا من العصيان ما استمر مثله ولم ينقل عنه قدم * ولا عقبه بعد الاصرار عليه ندم * فهذه فائدة العدول الى لفظة الله في قوله تعالى فأخذهم الله بذنوبهم دون قوله فأخذناهم (المسئلة الثانية) أن يسأل عن الكاف في كدأب ووجه اتصالها بما قبلها وموضعها من الإعراب لانها بمعنى مثل والكاف التي يصح مكانها مثل محكوم على موضعها برفع أو نصب أو جر (والجواب) عنها أن يقال يجوز أن تكون الكاف متعلقة بقوله لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم فيكون موضع الكاف نصباً على معنى المصدر كأنه قال لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم مثل ما لم تغن عن آل فرعون أي اذا جاء عقاب الله لم يدفعه المال والولد كما لم يدفع ذلك عن آل فرعون والدأب أصله الهمز وهو العادة وما جرى عليه قوم في معاملة ويجوز أن تكون الكاف متعلقة بمعنى قوله وقود النار كأنه قال وأولئك يصلون النار كما أجرى الله حكمه عادة لآل فرعون وفيه وجه ثالث وهو أن يكون موضع الكاف رفعاً على انه خبر ابتداء كأنه قال حال هؤلاء مثل حال آل فرعون ودأبهم كدأبهم (والمسئلة الثالثة) في الآية الثانية هي مخالفتها للآية

الأولى في إجراء الخبر كله على لفظة واحدة وهي لفظة الله لانه قال تعالى كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ولم يقل كفروا بآياتنا كما قال في الاولى (والجواب) عن ذلك أن يقال ان الآية التي تقدمت هذه هي قوله إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم فجرى الخبر في هذه الآية على اللفظ الظاهر وهو ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ثم جاء بعدها ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ولم يكن فيها خبر عن الله تعالى وجاءت الآيه التى هي كدأب آل فرعون وفيها إخبار عن الله فكان بناؤها على الآية التي قبلها أولى كما كان في الآية التي في سورة آل عمران يقتضي بناؤها على الآية التي قبلها المدول عن لفظ الاضمار الى لفظ الاظهار ثم كان لفظ الصريح في معناه احتجاجاً عليهم كما كان في اللفظ الذي عدل اليه في الآيتين المتقدمتين من قوله ان الله لايخلف الميعاد وقوله فأخذهم الله بذنوبهم (والمسئلة الرابعة) في الآية الثالثة هي انه قال كذبوا بآيات ربهم ولم يقل بآياتنا كما قال فى الأولى ولا بآيات الله كما قال في الثانية (والجواب) ان يقال لما أخبر عن نعمته على عباده وان منهم من يغيرها بعصيانه فيستحق بذلك تغيير النعمة عليه وهو معنى قوله ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتي يغيروا ما بأنفسهم والمنعم على عباده ربهم لانهم مربون بنعمة كان القصد في هذه الآية الى ذكر تنعيمهم في الدنيا وتغيير النعمة عليهم فيها إذ لم يقوموا بحقها بعقاب من عقاب الدنيا مثله مما يفعله بعض الناس ببعض فكذلك قال فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون فكأنه قال كذبوا بآيات من

أقام نفوسهم شواهد لربوبيته بتربيته إياهم بصنوف نعمته ونقل الوليد عن اولى حاليه الى غيرها مما يبلغ به غاية قوته وسأشرح ذلك في جواب (المسألة الخامسة) وهي السؤال عن فائدة التكرار في سورة الانفال في موضعين لا يحجز بينهما إلا آية واحدة وهذه المسئلة قد أجاب عنها بعض أهل النظر بأن قال أخبر الله تعالى عن إجراء العادة فيهم بنوعين من العذاب مختلفين واذا كان كذلك لم يكن تكراراً لانه ذكر في الآية الاولى عقوبته إياهم عند الموت في البشارة التي أتتهم بعذاب الحريق وانه فعل بهم ذلك كما فعله بآل فرعون ومن كان قبلهم من الكفار ثم ذكر في الثانية مايفعله بهم من شدة عقابه بعد الموت كما فعله بآل فرعون ومن كان قبلهم من الكفار وما أجرى عليه العادة في تعذيبه إياهم بعد الموت في القبور وفى غيرها (والجواب) عندي انه أخبر فى الاولى عما عاقبهم به من العذاب الذي لم يملك الناس إيقاعه ولم يمكن بعضهم من ان يفعل ببعض مثله وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم وإخبارهم (١) إياهم بمصيرهم الى عذاب يحرقهم وفى الثانية اخبر عما انزله بهم من العذاب الذي مكن الناس من فعل مثله وهو الإهلاك والإغراق لان ذلك مما اقدر الله العباد عليه فالنوعان هما فالعذاب الأول من أحكام الآخرة بعد ظهور أشراط الساعة والعذاب الثاني من أحكام عذاب الدنيا والذي يبين ذلك انه قال فى الاولى كفروا بآيات الله فأخبر عن أعظم ما ارتكبوه وهو الكفر وذكر آيات الله وهو الاسم الذي يفيد استحقاق العبادة التي هي مضادة للكفر كما قال فى سورة آل عمران كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم اي أخذهم من أنعم عليهم ليشكروا لما عصوا وكفروا

(١) أي الملائكة

بذنوبهم التي ارتكبوها ثم قال والله شديد العقاب والمراد به عقاب الآخرة
كما قال تعالى ولعذاب الآخرة أشد ويشهد لذلك قوله في الثانية كذبوا
بآيات ربهم فذكر هذا الاسم دون غيره لأن فيه معنى انه نعمهم وتبتهم
ورباهم وقام بمصالحهم حتى بلغوا حد التكليف المبلغ الذي قدروا فيه على
أداء حق الإنعام فلما غيروا ما أنعم الله به عليهم من جهته * وصرفوه الى معصيته
وتقووا بنعمته على مخالفته * سلبهم ذلك في الدنيا بان عجل هلاكهم فأغرقهم
والعقاب المؤخر ذكره فى هذه الآية الأخيرة مما يفعله اهل الدنيا بعضهم
ببعض فذكره عقيب إنعامه عليهم وتغييرهم له بوضع الكفر موضع الشكر
فغير الله سابق الانعام * بيد الانتقام * وكما غيروا غير عليهم فالعقاب الاول
أولى ان يكون المراد به عقاب الآخرة لأن فيه الاخبار بالاحتراق * والثاني
هو العذاب بالإغراق * مثل قوله ذوقوا عذاب الحريق وتعقيبه بقوله
كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم وقوله فى سورة آل عمران
واولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات
الله فأخذهم الله بذنوبهم فذكر أنهم وقود النار وذلك فى الآخرة ثم قال
فأخذهم الله بذنوبهم فذكر الاسم الذي يفيد ماهو حجة عليهم كما ذكرنا
قبل (وجواب آخر) وهو انه يجوز ان يكون الاول خبراً عن عادتهم فى الأشر
والبطر والطغيان عند الاستغناء والمعنى جرت عادتهم بمقابلة الاحسان بقبيح
العصيان ويكون الاخير بعد ذكر الله معاقبتهم على فعلهم خبراً عما أجرى
الله به العادة فى عقاب مثلهم وكان معنى الاول عودوا من انفسهم عادة ومعنى
الثاني عودوا اذا فعلوا ذلك عادة وهي سلب نعمة الدنيا والنقل الى عذاب

الأخرى والله أعلم بالمراد

الآية الثانية

منها قوله تعالى ﴿ ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ﴾ وقال فى سورة المائدة ﴿ إذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني (للسائل) ان يسأل فيقول اذا كان المذكور فى الموضعين كهيئة الطير وصلح ان يعود الضمير الى مذكر والى مؤنث فيراد مثل هيئة الطير وهو مذكر او يراد هيئة كهيئة الطير وهي مؤنثة فما بال ما فى آل عمران خص بالتذكير وما فى سورة المائدة خص بالتأنيث (والجواب) ان يقال ان الأول الذي ذكر الضمير فيه إنما هو فى إخبار الله عز وجل به عن عيسى عليه السلام وقوله لبني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم وعدد الآيات كلها عليهم منها اني آخذ من الطين ما أصور منه صورة على هيئة الطير فى تركيبه فانفخ فيه فينقلب حيوانا لحماً قد ركب فيه عظم وخالط دماً واكتسى ريشاً وجناحاً كالطائر الحي والقصد فى هذا المكان الى ذكر ماتقوم به حجته عليهم وذا أول مايصور من الطين على هيئة الطير ويكون واحداً يلزم به الحجة فالتذكير أولى به والتي فى سورة المائدة المخصوصة بتأنيث الضمير العائد الى مايلحقه هي فى ذكر ماعدد الله من النعم على عيسى عليه السلام وما أصحبه إياه من المعجزات * وما أظهر على يده من الآيات « وابتدأها وإذ

قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً باذنى) والاشارة فى هذه الآية ليست الى أول ما يبديه لبنى اسرائيل من ذلك محتجاً به عليهم وانما هى الى جميع ما أذن الله تعالى فى كونه دلالة على صدقه من قلب الصور التى يصورها من الطين على هيئة الطير وذلك جمع والتأنيث به أولى (مسئلة فى ذلك) قال بعض أهل النظر فى هذه الآية انما قال فيصير طائراً باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله فذكر إذن الله فى هذين الموضعين ولم يذكر إذن الله فى قوله (أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) ولا في قوله (فأنفخ فيه) ولا فى قوله (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) لان ما وصفه من هذه الأفعال انما هى أفعاله ولم تكن أفعالا لله تعالى فلهذا لم يذكر أن ذلك كان باذن الله كما ذكر الاذن فيما وصفه من قبل مما فعله الله عز وجل دونه وذلك أنه لم يعن بالاذن أمره له بأن يطيعه في ذلك وانما عنى به ان الله تعالي هو الذى فعله فلهذا جعل ذكر الاذن فصلا بين فعله وفعل الله عز وجل انتهى كلامه . قلت ذلك سهو[1] منه لان الذى ذكر انه لم يذكر معه إذن الله لانه من فعل عيسى عليه السلام فقد نطقت سورة المائدة بخلافه وهو قوله (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً باذنى) فسوى بين الفعلين اللذين ذكر من حكيت كلامه أنهما مختلفان وان احدهما فعل عيسى والآخر غير فعله فلهذا لم يذكر معه الاذن ثم قال تعالى (وتبرئ الأكمه والأبرص باذنى وإذ

(١) نسخة وهو سهو منه

تخرج الموتى باذنى) فذكر الاذن في أربعة مواضع لافعال دل من ذهب اليه من ذكرت كلامه بذكر الاذن في فعلين من سورة آل عمران على انهما فعل الله وما لم يذكر معه الاذن فعل عيسى وقد رأيت ما اعتد الله سبحانه وتعالى به عليه في سورة المائدة ينطق ان ماذكر انه بغير إذنه هو باذنه واذا كان كذلك وجب أن يكون المعنى في الآية من سورة آل عمران (أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) أقلبه بعد التركيب على مثال الطائر لحما ودماً وعظماً ثم بالنفخ فيه أجعله حيواناً وكل ذلك باذن الله ويكون معنى قوله (فيكون طيراً باذن الله) راجعاً الى كل ماذكر انه يفعله من مبتدإ قوله (انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير) لجميع تلك الأفعال واقعة باذن الله وإذن الله عبارة عن إرادته وخلقه على يده فسهل ذلك على عيسى عليه السلام عند الاحتجاج به وابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى ثلاثة أفعال لاتكون إلا باذن الله عزوجل وقوله (وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم) هذا وان كان اخباراً من عيسى وفعلا من أفعاله فانه لا يصح أن يكون إلا باذن الله والا فما يعلم ما يفعلونه في بيوتهم مما غيب عنه إلا باذن الله عز وعلا للملائكة في اطلاعه عليه وبالله التوفيق

الآية الثالثة منها (١)

قوله تعالى ﴿ ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ وقال في سورة مريم مثله وقال في سورة حم الزخرف حكاية عمن حكى عنه في السورتين (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) فزاد هو في هذه

(١) النسخة المقدسية من سورة آل عمران وهكذا في كل موضع

الآية من هذه السورة (للسائل) أن يسأل عما أوجب اختصاصها بهذا التوكيد دون الموضعين الأولين وهي كلها فيما أخبر الله تعالى به عن عيسى عليه السلام (والجواب) أن يقال انما لم يجب في الأوليين من التوكيد ما أوجبه اختيار الكلام في الموضع الثالث لان[1] قوله عز وجل (ان الله ربي وربكم) حكاية عن عيسى بعد ما مضت آيات كثيرة في ذكره وابتداء أمره من مبتدإ الآية التي نزلت في شأن مريم وهي (وإذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) الى آخر هذا العشر[2] فلما تناصرت هذه الآيات المتقدمة في ذكره ودلت على إحداثه وخلقه كانت فيها دلالة على انه مربوب مصنوع بكثرة الأفعال التي أسندت اليه وجملت آياته وأنه عبد من عبيده والله ربه ومالكه والقائم بمصالحه وانه أصحبه معجزات تدل على صدقه في نبوته وكذب من قال ببنوته فصرفتهم تلك الأفعال التي تقدم ذكرها الى العلم بانه تعالى ربه وكذلك[3] في سورة مريم جاء قوله (وان الله ربي وربكم) بعد ما مضت آيات كثيرة ابتداؤها (واذكر في الكتاب مريم) وبعد عشرين آية مرت في قصتها قال (وان الله ربي وربكم) فكانت تلك العشرون الاية ناطقة بان الله ربه فاكتفى بما طال من الكلام المؤكد لحاله[4] على حقيقتها عن التوكيد الذي جاء في سورة الزخرف لانه لم يذكر هذه الآية إلا بعد قوله (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربي وربكم) فالموضع الذي خلا من الآيات الكثيرة الدالة على أن الله تعالى

---

(١) نسخة وذلك ان قوله (٢) نسخة الى آخر هذه العشرة [٣] في هذه النسخة زيادة من قوله وكذلك الى قوله ابتداؤها [٤] نسخة حاله وأخرى بحاله

زبه وهو عبده لا ابنه حسن تأكيد الكلام فيه صرفاً للناس عما ادعوه من انه ابن الله الى أنه عبده ألا ترى الى قوله في سورة مريم (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون وإن الله ربي وربكم فاعبدوه) واعلم ان التوكيد بقولك هو في مثل هذا الموضع يكون لأحد وجهين إما أن يريد انه على الصفة التي جعلها خبراً عنه لا على غيرها وإما أن يريد ان صاحب هذه الصفة التي جعلت خبراً عنه انما هو فلان لا غيره إذا قال القائل إن زيداً هو أخوك أى هو صديقك لا عدوك أو يريد أن يقول انه أخوك لا عمرو فكذلك قوله تعالى (ان الله هو ربي وربكم) يحتمل التوكيدين[1] ان يريد انه هو خالقي والقائم بمصالحي لا غيره من الآلهة التي ترون عبادتها وان[2] يريد انه هو ربي لا أبي كما زعمت النصارى تعالى الله عن أن يكون له ولد

الآية الرابعة منها

قوله تعالى ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون ﴾ فحذف النون من أنا وقال في سورة المائدة (وإذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون) باثبات النونات الثلاث[3] (وللسائل) أن يسأل فيقول لم خص ما في سورة آل عمران بانا وما في سورة المائدة بأننا والحرفان سواء والتخفيف جائز في الموضعين كما يجوز الإتيان به على الأصل فيهما (والجواب) أن يقال ان الذي في سورة المائدة جاء على الأصل غير

(١) نسخة التوكيد [٢] أو انه يريد [٣] نسخة باثبات النون

مخفف بالحذف لانه جاء أول كلام الحواريين في هذا المعنى ألا تراه خبراً عن الله تعالى أنه قال (وإذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد باننا مسلمون) والذي هو في سورة آل عمران هو حكاية عن عيسى عليه السلام انه سألهم عما أقروا به لله تعالى فقال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون فكان ذلك منهم اقراراً ثانياً لرسوله عليه السلام مثل ما أقروا به لله تعالى والثاني يختار فيه من التخفيف ما لا يختار في الأول لان الأول قد وفي العبارة حقها والثانية[1] معتمدة على ماقبلها وهي[2] مكررة والعرب تستثقل المعاد ما لا تستثقل غيره فاختير في سورة آل عمران مالم يختر[3] في سورة المائدة لذلك: ثم اذكر فصلا في هذه النون (مسئلة) اعلم أن النون التي حذفت من انا غير النون التي حذفت من أني وقد جاء القرآن بهما جميعاً قوله تعالى اني آنست ناراً واني أنا ربك وجاء على الأصل بعده فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وقال انا رادوه اليك وانا لفاعلون وقال واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب في قصة صالح عليه السلام ومن لم يرتض بهذا العلم يتوهم ان النون التي خفف بحذفها اني هي التي خفف بحذفها انا وليس الأمر كذلك لان التي حذفت من إني هي نون العماد اللاحقة مع الياء بدلالة حذفها من نظائرها اذا قلت لعلي في لعلني وأما النون التي في انا من قولك أننا فانها مع الالف إسم المخبرين عن أنفسهم فلا تسقط سقوط التي تجئ مع الياء فاذا قلت أنا فالنون الساقطة هي الأخيرة من ان دون النون اللاحقة مع الضمير بها فاعرفه ان شاء الله تعالى

---

[١] نسخة ولان الثانية [٢] نسخة ولانها مكررة [٣] نسخة فاخير [الى] بالم يخير

الآية الخامسة منها

قوله تعالى ﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز حكيم ﴾ وقال في سورة الأنفال (وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله ان الله عزيز حكيم) (للسائل) أن يسأل فيقول ما في الآية الأولى مما يوجب أن يأتي فيها بقوله لكم وليس في الآية الثانية وما بال قوله به قد أخر في الآية الأولى عن قوله قلوبكم وقدم في الآية الأخري عليه (والجواب) أن يقال أما قوله لكم في هذه الآية وحذفه من الثانية مع العلم بان الله تعالى جعل اخباره بانزال الملائكة لنصرهم بشارة لهم وان لكم مضمرة في سورة الأنفال كما هي مظهرة في هذه السورة فلان الأولى جاءت على الأصل والثانية قد تقدمتها لكم فأغنت عن اعادتها بلفظها ومعناها وهي في قوله (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فلما قال استجاب لكم علم انه جعل بشرى لهم فأغنت لكم الأولى بلفظها ومعناها عن الثانية وفي الآية الأولى لم يتقدم ما يقوم هذا المقام فأتى بقوله لكم على الأصل: وأما تأخير به بعد قوله قلوبكم فلانه لما أخر الجار والمجرور في الكلام الأول وهو قوله وما جعله الله إلا بشرى لكم وعطف الكلام الثاني عليه وقد وقع فيه جار ومجرور وجب تأخيرها في اختيار الكلام ليكون الثاني كالأول في تقديم ما الكلام أحوج اليه وتاخير ماقد يستغنى عنه وأما تقديم به في الآية الثانية فلان الأصل في كل خبر يصدر بفعل أن يكون الفاعل بعده ثم المفعول والجار والمجرور وقد يقدم المفعول على الفاعل اذا كان اللبس واقعاً فيه

وأريد إزالته عنه كما تقول [1] ضرب عمراً زيد لا محمداً لان المخاطب عنده ان المضروب محمد ولا خلاف بين المتخاطبين في ان الضارب زيد فهو يبدأ بما هو أهم [2] وعنايته ببيانه أتم وكذلك الجار والمجرور بمنزلة المفعول به في التقديم والتأخير وشبههما وفي هذا الموضع اذ لم يعرض في اللفظ [3] من التوفقة ما يوجب اجراء الكلام على الأصل كما كان في سورة آل عمران فان المعتمد بتحقيقه [4] عند المخاطبين انما هو الامداد بالملائكة وهو الذي أخبر الله تعالى عنه انه لم يجعله إلا بشرى فوجب أن يقدم في الكلام [5] الثاني وهو المضمر بعد الباء في قوله تعالى به علي الفاعل فقال تعالى (ولتطمئن به قلوبكم) وفي هذه الآية مسئلة أخرى وهي أن يقال كيف اختلف الإخبار عن الله تعالى بالعز والحكمة في الآيتين فجاء في سورة آل عمران مجيء الصفة فقال تعالى (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) وجاء في سورة الأنفال بلفظ خبر ثان مستأنف فقال (وما النصر إلا من عند الله ان الله عزيز حكيم) (والجواب) أن يقال القصد إعلام المخاطبين ان النصر ليس من قبل الملائكة ولا من جهة العدد والعدة وفضل القوة ولكنه من عند القادر الذى لا يغلب ولا يمنع عما يريد فعله والحكيم الذى يضع النصر موضعه والآية التى في سورة الأنفال انما هى فى قصة يوم بدر وبين الله ذلك فيه بلفظ جعله كالعلة لكون النصر بيده فكأنه قال فى المعنى النصر ليس الا من عند الله العزيز الذى لا يمنع عما يريد فعله والحكيم الذى يضع النصر فى موضعه ففصل ذلك في خبرين على الأصل الواجب فى توفية كل معني حقه من البيان والآية التى فى سورة

---

(١) نسخة كأنك تقول وأخرى كأن يقول [٢] نسخة لاهم [٣] نسخة فى اللفظتين [٤] نسخة بحقيقته [٥] نسخة والثاني

آل عمران هي في قصة يوم أحد وهو بعد يوم بدر وكان هـذا البيان قد حصل فيما جعل خبراً عن النصر في اليوم الأول فاقتصر من ذكر مثله في اليوم الثاني على خبر واحد يجري عليه معنى الخبر الثاني مجري الوصف لاختصار المعنى عن البسط اعتماداً على ما فصل في الخبر عن الأول فكان الاختصار بالثاني أليق وكان الثاني له أجمل [١] فخص كل موضع بما رأيت لما ذكرت والله أعلم

الآية السادسة منها [٢]

قوله تعالى ﴿ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ وقال في سورة العنكبوت خالدين فيها نعم أجر العاملين [٣] (للسائل) أن يسأل عن اختصاص ما في هـذه السورة بالواو من قوله ونعم واخلائها في سورة العنكبوت منها (والجواب) ان الآية من هذه السورة مبنية على تداخل الاخبار لان أولها أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين فأولئك مبتدأ وجزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبر المبتدأ الثاني وهو مع خبره خبر عن المبتدأ الأول والجزاء هو الأجر فكأنه قال أولئك أجزيهم [٣] على أعمالهم محو ذنوبهم وإدامة نعمهم [٤] وهذا الأجر مفضل على كل أجر يعطاه عامل على عمله فنسقت الأخبار بعضها على بعض للتنبيه على النعم التى هديت لرجاء الراجين وأكملت بها منية المتمنين والخبر

(١) نسخة إحمد . [٢] الكلام على هذه الآية لم يثبت في النسخة المقدسية
(٣) نسخة أجرهم [٤] نسخة نعيمهم

اذا جاء بعد خبر في مثل هذا المكان الذى تفضل فيه المواهب المرغب فيها
فحقه أن يعطف على ماقبلها بالواو كقولك هذا جزاء كذا وكذا أى هو ترك
المؤاخذة بالذنب والتنعيم فى جنة الخلد وتفضيله على كل جزاء جوزى به عامل وذلك
تشريف وكرامة (وأما الجواب) عن الآية التى فى سورة العنكبوت فأن ماقبلها مبنى
على أن يدرج الكلام فيه على جملة واحدة وهى والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم من الجنة غرفاً . فقوله والذين آمنوا مبتدأ وقوله لنبوئنهم فى موضع
خبره وهذا الخبر يتصل به مفعولان الأول هم والثانى غرفاً وغرفاً نكرة
موصوفة بقوله تجري من تحتها الأنهار وقوله خالدين فيها حال من التبوئة
فلما جعلت هذه الأشياء كلها في درج كلام واحد وهى جملة ابتداء وخبر
واحتمل نعم أجر العاملين أن يجئ بالواو وان يجئ من دونها اختير مجيئها
بغير واو لتشبه ماتقدم من صفة بخبر لا على سبيل عطف ونسق بها ويحتمل أن
يكون في موضع خبر مبتدأ كأنه قال ذلك نعم أجر العاملين ويكون قوله ذلك
اشارة الى ذكر الله سبحانه وتعالى من اسكانهم الجنة فتجرى بلا واو مجرى
ما هو من تمام الكلام الأول كقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات
فى روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي
يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقوله ذلك وان انقطع عن
الأول في اللفظ فانه متصل به من طريق المعنى وكأنه قال لهم مايشاؤن عند
ربهم مشاراليه بأنه الفضل الكبير .. وقوله نعم أجر العالمين أى ذاك نعم أجر
العاملين والمعنى المشار اليه يتفضل على أجور العاملين واذا كان الأمر على
ما ذكرت فى الآيتين لم يلق بكل واحدة منهما إلا ما جاءت به فاعرفه

الآية السابعة منها

قوله تعالى ﴿ فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾ وقال في سورة الملائكة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير) (للسائل) أن يسئل عن اختلاف الآيتين في ادخال الباء في قوله وبالزبر في موضع[1] وحذفها منها في موضع[2] في قراءة الأكثرين (والجواب[3]) أن يقال ان الزبر والكتاب في سورة آل عمران وقعا في كلام بني على الاختصار والاكتفاء فيه بالقليل عن الكثير مع وضوح المعنى فكان أول ذلك قوله فان كذبوك والتقدير وإن يكذبوك فوضع الماضي الذي هو أخف موضع المستقبل الذي هو أثقل بدلالة إن التي للشرط وحصول الخفة في اللفظ ثم ان الفعل الذي جاء في جواب الشرط بني للمفعول ولم يسم فاعله فكان الاختيار أن يجعل آخر الكلام كأوله بالاكتفاء بما قل عما كثر منه مع وضوح المعنى والآية التي في سورة الملائكة صدرت بما يخالف ذلك في الموضعين لان الشرط جاء فيها على الأصل بلفظ المستقبل وهو وان يكذبوك وجاء الجزاء[4] أيضاً مبنياً للفاعل ولم يحذف منه ما حذف من الأول فلما قصد[5] توفية اللفظ حقه اتبع آخر الكلام أوله في توفية كل معمول فيه عامله وهي حروف الجر التي استوفتها المجرورات فلذلك اختلفت الآيتان والله أعلم . . مضت سورة آل عمران عن سبع آيات وثلاث عشرة مسئلة[6]

---

(١) ن في موضع واحد (٢) ن من سورة آل عمران (٣) ن والجواب عن ذلك (٤) في نسختين الخبر (٥) ن قصد منه (٦) الذي في النسخة المقدسية عن ست آيات وإحدى عشرة مسئلة . . وقد سقط منها الآية السادسة كما أشرنا اليه

سورة النساء

﴿ الآية الأولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيما ﴾ وقال في هذه السورة[1] (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً) (للسائل) أن يسأل عن فائدة تكرار هذه الآية وله أن يسئل فيقول لم كان جواب من يشرك بالله فى الآية الأولى فقد افترى إثماً عظيما وجوابه فى الآية الثانية فقد ضل ضلالا بعيداً ﴿فأما الجواب﴾ عن التكرار فلأن هذه السورة لما اشتمل صدرها على ذكر الأحكام وانتهى الى ذكر التيمم ثم انقطع ذلك بقوله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) وهم اليهود الذين أوتوا التوراة فحرفوا مافيه دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الى ما يدعو الى ترك الايمان به ثم توعدهم ان أقاموا على الكفر بقوله (ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها) أتبع ذلك مادل به على عظم الكفر الذى هو شرك وذلك في أمر اليهود ويحتمل أن يقال انما سماهم مشركين لما قالوا عزير بن الله ومن ادعى لله ابناً فهو مشرك والموضع الثانى تقدمت فيه آية هى قوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ومعناه من عادى الرسول بعد ماظهرت آياته وتظاهرت دلالاته وتبع سبيل الكفار فان الله يوليه ماتولى

---

(١) فى النسخة المقدسية زيادة قوله ٠٠ فى الثلث الاخير منها

من الأصنام التي عبدها بان يكله اليها ليستنصر بها[1] ولا نصر عندها وهؤلاء مشركو العرب فدل على ان من تقدم ذكرهم وان كانوا أوتوا الكتاب كهؤلاء المشركين الذين لا كتاب لهم كفرهم ككفرهم وسبيلهم كسبيلهم فأعاد ذكر عظم الشرك توعداً لصنف آخر من الكفار لم يدخلوا في جملة من تقدم ذكرهم ليعلم أنهم وان خالفوهم ديناً فقد وافقوهم كفراً فهذه فائدة التكرار فأما إتباع الأول فقد افترى إثماً عظيما فلان من أريد بالآية الأولى قوم عرفوا صحة نبوة النبي صلي الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو معهم فكذبوا وافتروا ما لم يكن عندهم فكان كفرهم من هذا الوجه الذى أضلوا به اتباعهم وأما اتباع الثانى فقد ضل ضلالا بعيداً فلان من أريد به مشركو العرب وهم لم يتعلقوا بما يهديهم ولا كتاب فى أيديهم فيرجعوا اليه فيما يتشككوا فيه فقد بعدوا عن الرشد وضلوا أتم الضلال فاقتضى المعنيون بالأول ما ذكره الله تعالى والمعنيون بالثانى ما اتبعه إياه وان كان الفريقان مقترفين إثما عظيما وضالين ضلالا بعيداً والله أعلم

الآية الثانية منها

قوله تعالى ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ وقال بعده (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيما) (للسائل) أن يسأل عن مسئلتين

---

(١) نسختان ليستنصرها

فى ذلك . إحداهما فى الآية الأولى وان تحسنوا وتتقوا . وفى الثانية وإن تصلحوا وتتقوا والثانية عن ختم الآية الأولى بقوله فان الله كان بما تعملون خبيراً والثانية بقوله فان الله كان غفوراً رحيما (والجواب عن الأولى ان معناها ان خافت امرأة من زوجها ترفعا ونبوا بالملل أو اعراضا لموجدة أو بذل فلا إثم فى أن يتصالحا على أن تترك له من مهرها أو بعض أثاثها ما يتراضيان به والصلح خير من أن يقيما على التباعد أو يصيرا الى القطيعة ونفس كل واحد منهما تشح بما لها قبل صاحبها وقيل المراد شحهن على النقصان من أموالهن وأنصبائهن من أزواجهن وهذا يقتضى مخاطبة الأزواج بمجانبة القبيح وايثار الحسنى فى معاملتهن فبعث الله تعالى فى هذا المكان على فعل الاحسان فأما الآية الثانية فانه جاء بعد قوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء فى محبتهن والشهوة لهن لان ذلك ليس اليكم وان حرصتم على التسوية بينهن فلا تميلوا كل الميل بان تجعلوا كل مبيتكم وخلوتكم وجميل عشرتكم وسعة نفقتكم عند التى تشتهونها دون الأخرى فتبقى تلك معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة فاقتضى هذا الموضع أن يحث الأزواج على اصلاح ما كان بينهم من الانصباب الى الواحدة دون ضراتها بالتوبة مما سلف واستئناف ما يقدرون عليه من التسوية ويملكونه من الخلوة وسعة النفقة وحسن العشرة فقال وإن تصلحوا وتتقوا . . وأما جواب المسئلة الثانية فقد بان ووضح بما ذكرت وبينت أنه لما قال ان جافيتم القبيح وآثرتم الاحسان فالله به عالم وعليه مجاز وهذا قوله فان الله كان بما تعملون خبيرا ولما عذر الأزواج فى بعض الميل وهو الذى لا يملكون خلافه حثهم على مايطيقون فعله بما ذكرت وعلى إصلاح ماسلف منهم بما بينته فان الله يغفر لمن يقلع منهم عن قبائحه ويؤثر بعدها الحسنى من

أفعاله وهذا قوله فان الله كان غفوراً رحيما

﴿ الآية الثالثة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيما ولله ما فى السموات وما فى الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنياً حميداً ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا ﴾ (للسائل) أن يسأل في هذه الآيات عن مسئلتين. احداهما عن تكرار قوله ولله ما فى السموات وما فى الأرض ثلاث مرات. والثانية عما يتبع المكرر في قوله في آية وكان الله غنياً حميداً وفى أخرى وكفى بالله وكيلا والأولى لم يتبعها مثل ما اتبع الوسطى والأخيرة (الجواب) عن المسئلة الأولى وهى التكرار أنه اذا أعيد الكلام لأسباب مختلفة لم يسم تكراراً فالأول بعد الاذن للرجل والمرأة في أن يتفرقا بطلاق وتسليتهما على الوصلة بانه هو الذي يغني المحتاج منهما وان كان قبل ذلك أغنى كل واحد منهما بصاحبه فانهما بعد الفرقة يرجوان الغنى من عنده لانه واسع الرزق وواسع المقدرة فان لله ما في السموات وما فى الأرض وأرزاق العباد من جملتها ﴿وأما الثانى﴾ فانه بعد قوله ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله أى اتقوه فانه واسع النعمة والفضل والرحمة وقد أوسعكم منها ووصاكم ومن قبلكم بتقواه والاستجارة بطاعته من عقوبته فانكم إن عصيتم وكفرتم لم يكن بالله حاجة الى طاعتكم وانما أنتم تحتاجون اليها والله غنى حميد فوجب عليهم طاعته لان له ما فى السموات وما فى الأرض وهو غني بنفسه حميد

لانه جاد بما استحمد به الى خلقه من الاحسان اليهم والانعام عليهم فالمقتضى لذكره له ما فى السموات وما فى الأرض فى الثانى غير المقتضى له فى الأول ﴿وأما الثالث﴾ فلأنه لما ذكر انه أوجب طاعته على من قبلهم وعليهم لانه ملك ما فى السموات وما في الأرض وأنعم عليهم من ذلك ما حقت به العبادة اقتضى ذلك أن يخبرهم عن دوام هذه القدرة له فكأنه قال وله ذلك دائما وكفى به له حافظا أي لا زيادة على كفايته فى حفظ ماهو موكول الى تدبيره والوكيل القيم بمصالح الشيء وقيل هو الحافظ وما قام الله بمصالحه فهو حافظه فقد بان ان ذلك ليس بتكرار ﴿أما الجواب﴾ عن المسئلة الثانية من اتباعه قوله وان تكفروا فانّ لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنياً حميداً فقد تضمنه الجواب عما ذكرت من التكرار وهو كقوله إن تكفروا فان الله غنى عنكم أى أنتم محتاجون الى طاعته ولم يقتض ماتقدم غير هذا لوصف ولما اتصف تعالى بالغني وكان الغنى اذا لم يجد من غناه مذموما والله تعالى قدعم بعطائه المستحق وغيره من الكفار كان الغنى الحميد . وأما قوله بعد الثالث وكفى بالله وكيلا فانه لما كان المعنى انه دائم القدرة أخبر ان ما يحفظه مما فى السموات وما في الأرض من يكتفى به حافظا إذ ملكه عليه دائم وتدبيره فيه قائم

الآية الرابعة منها

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فانّ الله كان بما تعملون

خبيراً ﴾ وقال في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) (للسائل) أن يسأل فيقول ما الفائدة في تقديم قوله بالقسط على قوله شهداء لله في الآية الأولى وتأخيره عنه في الآية الثانية (الجواب) أن يقال ان الآية الأولى في الشهادة أمر عز وجل من عنده شهادة أن يقوم بالحق فيها ويشهد لله على كل من عنده حق لغيره يمنعه إياه حتى يصل اليه فقال قوموا بالقسط أي بالعدل في حال شهادتكم لله علي كل ظالم حتى يؤخذ الحق منه فقدم القسط لانه من تمام قوّامين إذ فعله يتعدى الى مفعوله بالباء.. وأما شهداء فانها اذا كانت حالا من الضمير في قوّامين فان حقها أن تجئ بعد تمام قوّامين وكذلك إن كانت خبراً ثانيا[1] وإن كانت صفة لقوّامين فان حقها أن تجئ بعده. وأما قوله لله بعد شهداء فلتعلقه بالشهادة كأنه قال كونوا شهداء لله لا للهوى والميل الى ذوى القربى والدليل على ذلك انه قال ولو على أنفسكم وشهادة الانسان على نفسه أن يقر بالحق لخصمه أي افعلوا ذلك لله وان كان عليكم أو علي الوالدين وذوى القربى منكم ..وقوله عز وجل إن يكن غنياً أو فقيراً أي ان يكن من عليه الحق على أحد هذين الوصفين فانتهوا في أمره الى ماأمر الله عزوجل به ولا يحملنكم الاشفاق من فقره على محاباته ولا يدعونكم غنى الغنى الى مداراته فان الله أولى بالنظر لهما ولجميع عباده منهم لأنفسهم ولغيرهم..وقوله فلاتتبعوا الهوى أن تعدلوا أي كراهة أن تعدلوا وان تلووا ألسنتكم بالشهادة ولم تفصحوا بها ولم تقوموا بما يجب عليكم فيها أو تتركوا ما يلزمكم منها فان الله عليم بعملكم

(١) النسخة المقدسية في ان كانت صفة الخ

وهو مجازيكم على فعلكم .. وقيل تلووا بمعنى تمطلوا من لويت الغريم اذا دفعته كأنه قال ان تدفعوا الشهادة ولم تؤدوها وقت الحاجة اليها ومن قرأ تلوا بضم اللام وواو واحدة فالمعنى أن تلوا أمر الناس من الولاية أو تتركوه ويجوز أيضا أن يكون الأصل تلووا فأبدلت من الواو المضمومة همزة ثم خففت بالقاء حركتها على اللام وحذفها وان كان هذا مستضعفا في الهمزة العارضة .. وأما الآية التي في سورة المائدة فان فحواها يدل على أنها للولاة فقال كونوا قوّامين لله لا لنفع ويكون بالقسط متعلقا بقوّامين أي كونوا قوامين لأجل طاعة الله بالعدل والحكم فيه في حال كونكم شهداء أي وسائط بين الخالق والخلق أو بين النبي صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً فالقائم بتنفيذ أحكام الله بين خلقه اذا وفى بما عليه من حقه فهو شهيد على من وليه والرسول صلى الله عليه وسلم شهيد عليه بما نقله اليه والدليل على ان الخطاب لولاة الأحكام قوله بعده ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى وذلك عام في المخالفين من أهل الأديان والموافقين ممن حصلت لهم بغضة وعداوة أي اعدلوا على الولي والعدو عدلا واحداً وقيل في هذه الآية انها أيضاً في الشهادة بالحقوق وقيل في الشهادة لأمر الله بأنه حق وقيل معناه قوموا في كل مايلزمكم القيام به من الأمر بالمعروف والعمل به والنهي عن المنكر وتجنبه

الآية الخامسة منها

قوله تعالى ﴿ ان تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفواً قديراً ﴾ وقال في سورة الأحزاب (إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان

بكل شئ عليما) (للسائل) أن يسئل عن الآية الأولى لم خص فيها خير ولم عم فى الثانية بلفظ شئ ﴿فالجواب﴾ أن يقال انما خص فى هذا الموضع الخير بالابتداء لانه بازاء السوء الذى قال فيه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم والمعنى لا يحب الله أن يجهر بالقول السيئ غير المظلوم وهو ان يدعو على من ظلمه أو ان يخبر بظلمه له أو ان ينتصر منه بسوء مقاله فيه فقال ان أبديتم ثناء وذكرا جميلا لمن يستحقهما أو اخفيتموهما أو سكتم عمن اساء اليكم بالعفو عنه فان الله مع قدرته كثير العفو عن خليقته فاقتضت في هذا المكان المقابلة ان يجعل بازاء السوء الخير .. وأما فى الآية الثانية التى فى سورة الأحزاب فلأن قبلها تحذيراً من اضمار ما لا يحسن اضماره فى قوله عز وجل والله يعلم ما في قلوبكم وقوله واذا سألتموهن متاعاً فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن فاقتضى هذا المكان العموم فقال تعالى ان تبدوا مما حذرتكم شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليماً ولم يزل عليما بما يكون كعلمه بما كان .. انقضت سورة النساء عن خمس آيات وسبع مسائل

﴿سورة المائدة .. الآية الأولى منها﴾

قوله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيم ﴾ وقال في آخر سورة الفتح (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل فيقول لم رُفع مغفرةٌ وأجرٌ عظيم في الآية الاولى ونصبا في الثانية ﴿ الجواب ﴾ ان يقال اقوله لهم فى الأولى ومنهم في الثانية فائدة وذلك انه لما قال فى الأولى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات علم انهم وعدوا بما هو حق لهم فعدل عن ذكر المفعول الى

جملة تضمنت معناه والجملة ابتداء وخبر وهى فى موضع مفرد منصوب كأنه قال وعد الله الذين آمنوا مغفرة ومثله قول الشاعر

وجدنا الصالحين لهم جزاء   وجنات وعينا سلسبيلا

كأنه قال وجدنا للصالحين جزاء وعطف على موضع وجنات وعينا فاللام في لهم داخلة على ضمير الصالحين فكانها داخلة عليهم وكأنه قال وجدنا للصالحين جزاء وعطف على موضع الجملة التى هى لهم جزاء منصوبا إذ كان موضع الجملة موضع نصب . . وأما الآية الأخرى فان منهم فيها متعلقة بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهى من تمامها ولم يكن هناك ما ترتفع به مغفرة فتعدى اليها الفعل الذى هو وعد فجرى على الأصل في نصب المفعول به . . فان قال كيف يحتمل أن يبعض والقوم الذين أخبر الله عنهم بقوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء مع سائر ما وصفهم الله به فاثنى عليهم بذكره كلهم وعدوا مغفرة وأجراً عظيما ﴿والجواب﴾ عن ذلك من وجهين . احدهما أن يقال ان من فى هذا المكان ليست للتبعيض انما هى لتبيين الجنس كأنه قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين هم هؤلاء كما قال واجتنبوا الرجس من الأوثان أى الرجس الذى هو الأوثان . الجواب الثانى ان يكون التقييد للتحذير لانهم وان علم الله منهم الثبات على ماهم عليه من العمل الصالح فانه لا يخليهم من الأمر والنهى والوعد والوعيد على معنى دوموا على ما أنتم عليه فان من دام منكم عليه فقد وعده الله مغفرة وأجرا عظيما . . فان قال قائل فلماذا خصت الآية الأولى بأن جعل مفعولها الثانى جملة والآية الثانية مفعولها مفرداً . . قلت لان الأولى خطاب لقوم حثهم على توخي العدل فيما يحكمون به وهو أعم من حث الصحابة الذين

ذكرهم في آخر سورة الفتح واثنى عليهم بالشدة على الكفار والرحمة للمؤمنين وملازمة الركوع والسجود وابتغاء رضوان الله تعالى وان مثلهم كزرع أخرج شطأه الى آخر الآية فخص هؤلاء بصريح المغفرة وذكر انه وعدهم ذلك وقال في الآية الأولى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات فكان اخباراً عن وعده إياهم فقط ثم أتى بخبر ثان فقال لهم مغفرة على معنى ان قاموا بذلك ولم يحبطوه بالسيئات فجوز منهم هذا ولم يعلق المغفرة بوعد فيعزيه اليها وفي الآية الثانية حقق المغفرة لهم وعدى الفعل اليها وكان كالحكم بأنهم يوافون الآخرة بأعمالهم الصالحة وقد وعدهم الله تعالى عنها المغفرة والأجر العظيم فلاق بكل آية ما خصت به فاعرفه ان شاء الله

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ﴾ وقال تعالى بعده في هذه السورة (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه) ﴿ للسائل ﴾ ان يسأل فيقول لم قال في الأولى يحرفون الكلم عن مواضعه وفي الثانية من بعد مواضعه وما الفرق بين اللفظين وبين الموضعين حتي اختص كل واحد منهما باللفظ الذي خصه ﴿ الجواب ﴾ أن يقال ان الآية الأولى في اليهود الذى حرفوا ما أنزل الله من كلامه عما علموه تأويلا له فيكون هذا تحريفا من جهة التأويل وحرفوا أيضاً من جهة التنزيل كما قال وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .. فقولك عن في كلام العرب موضوع لما عدا الشيء

يقول أطعمه عن جوع وكساه عن عري وكانوا يعدلون بالكلم تأويله الذى له وتنزيله الذى جاء عليه الى غيره مماهو باطل وعن فى هذا الموضع تقرب من معنى بعد لأنك تقول أطعمه بعدجوع وكساه بعدعري إلا ان الأصل في هذا المكان ان يستعمل عن لأن بعد قد تكون لما تأخر زمانه عن زمانه بأزمنة كثيرة وبزمن واحد وعن لما جاوزالشيء الى غيره ملاصقا زمنه لزمنه والمراد اذا قال اطعمه عن جوع وسقاه عن عطش ليس يراد به إلا انه لما عطش سقاه ولما جاع أطعمه .. وأما الآية الثانية فهى فى قوم من اليهود أخبر الله تعالى عنهم بانهم سماعون لما تقوله ليكذبوا عليك ويخبروا بخلاف ما تقوله عنك وينقلوا كلامك الى قوم آخرين لم يأتوك ..ومعنى يحرفون الكلم من بعد مواضعه يحتمل ان يكون المراد من بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ليجعلوه علي خلاف ما سمعوه منه وهذا موضع بعد لاموضع عن لأنه ليس يعدوه الى المحرف اليه فينفصل عما جاء عليه الى الكذب مقارنا له وانما ذلك بعده بأزمنة كثيرة يتوقعون مضيها ليسهل كذبهم بعدها ويكون التقدير سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه أى ناوون تحريفه من بعد وقوعه مواقعه وحصوله مواضعه فمحرفين بمعنى ناوين التحريف كقوله وخروا له سجداً أى ناوين السجود وكذلك ادخلوها خالدين أى ناوين الخلود ومقدرين له وهذا ظاهر في هذا الموضع لا يصلح فيه إلا ما نطق القرآن به. ويحتمل أن يكون المراد ما ذهب اليه أكثر أهل التفسير وهو أن قوما أرسلوا هؤلاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فى قصة زان محصن فقالوا لهم ان افتاكم محمد بالجلد فخذوه وإن افتاكم بالرجم فلا تقتلوه وقال قتادة كان هذا في قتيل منهم فقالوا إن افتاكم محمد بالدية

فاقبلوه وإن افتاكم بالقود فاحذروه وكانوا حرفوا في القولين حكم الله تعالى الذي في التوراة من بعد أن عمل به في مواضعه ولم يحرفوه ساعة نزوله ووجوب العمل به وهذا معنى قوله عز وجل يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا وقيل ان هذا إشارة الى دين اليهود أي ان جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم بدينكم فاقبلوه وان لم يأتكم به فاحذروه فقد بان الفرق بين الموضعين بما بيناه والله أعلم

﴿ الآية الثالثة منها ﴾

قوله عز وجل ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير﴾ وقال بعده ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسئل فيقول نبه أهل الكتاب بمجيء الرسول في الآية الأولى وأخبر انه يبين لهم كثيراً مما يخفون من الكتاب ويعفو عن كثير وقال في الآية الثانية انه قد جاء يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير فهل ماذكر من التبيين في الثانية كان يجوز أن يقترن بالتنبيه الأول أم وجب لكل ما تبعه من الكلام ﴿الجواب﴾ أن قوله تعالى في الآية الأولى يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون معناه يبين لكم كثيراً مما في التوراة والانجيل من وصف الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر ما يدعو الى الدخول في الاسلام ويترك كثيراً مما حرفتموه فلا يبينه لانه ليس في ذكره ما يلزمكم حجته ويجدد لكم ملة فهذا التبيين حقه التقديم للاحتجاج به ولذلك ردفه قوله قد جاءكم من الله نور يعني النبي أي يهديكم الي منافع دينكم كما تهتدون بالنور

الى منافع دنيا لكم وأما الآية الثانية التى بعد فمعناها جاءكم رسولنا يبين لكم على حين دروس مما كان الرسل أتوا به مما يلزمكم فى دينكم احتجاجاً عليكم وقطعا لعذركم لئلا تحتجوا بأنه لم يجئكم من يبشركم بالثواب ويخوفكم من العقاب فالأول احتجاج لنبوة النبي صلي الله عليه وسلم وبعد تثبيته يبين الداعى الى بعثته وهو ما ذكر فى الآية الثانية

﴿ الآية الرابعة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ قل فمن يملك من الله شيئاً ان اراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله علي كل شئ قدير ﴾ وقال بعدها ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير ﴾ (للسائل) أن يسئل عن شيئين فى هاتين الآيتين المتصلة إحداهما بالأخرى أحدهما عن تكرار قوله ولله ملك السموات والأرض وما بينهما . والثاني صلة الأول بقوله يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير وصلة الثانى بقوله واليه المصير [1] . وله أن يسئل عن قوله قل فمن يملك لكم في سورة الفتح زيادة لكم هناك وحذفها هنا ﴿ الجواب ﴾ أن يقال إن هذه الآية في سورة الفتح نزلت فى قوم تخلفوا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من غير عذر وتأخروا عن الجهاد وقالوا شغلتنا اموالنا وأهلونا ثم سألوه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم يكتمون بذلك نفاقهم ويظهرون وفاقهم وقصدهم استمالته كيلا تضرهم عداوته فقال عز وجل قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم

---

(١) سقطت هذه الجملة من النسخة المقدسية

ضراً ومن يملك لكم ضراً ان أراد بكم نفعا فلما كان فى قوم مخصوصين أحتيج الى الحكم للتبيين فأما فى هذه السورة فانها لم تنزل لفريق مخصوص دون فريق بل عم بها دليله ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً فلما سيقت الآية الى العموم لم يحتج الى الحكم التى للخصوص ﴿ الجواب ﴾ عن التكرار ان يقال إن الآية الأولى فى النصارى خاصة وهم الذين لما قالوا فى عيسى انه إله والاله واحد صاروا كأنهم قالوا الله هو المسيح ابن مريم فرد الله ذلك عليهم بما دل به على ان عيسى عبد مخلوق مملوك لله ليس هو بابن له ولا بآله لان أحدا لا يملك أن يدفع عن المسيح وأمه وسائر من فى الأرض من الخلق مايريد الله إيقاعه بهم من موت أو هلاك ولا المسيح يملك ذلك فدل هذا على انه مخلوق وأن الله له ملك السموات والأرض وما بينهما والمسيح من جملته مملوك مدبر ولو كان إلها لكان شريكا لله ولم يكن لله ملك السموات والأرض فالقصد بذكر ملك السموات والارض ومابينهما فى الآية الأولى أن يبين ان المسيح مخلوق ومملوك ليس بآله ولا بابن لله إذ لو كان إلها كما زعموا لم يكن الله مالكا لجميع السموات والأرض وما بينهما ولما تهيأ إهلاك المسيح وكان هذا أحتجاجاً عليهم خاصة بانه مملوك مخلوق وأن الله يخلق ما يشاء من أمثاله بدلالة انه قادر على إهلاكه وفي ذلك جواب عن المسئلة الثانية وهى صلة الأولى بقوله يخلق ما يشاء .. وأما الآية الثانية وهي قوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحباؤه فروى عن ابن عباس رضى الله عنه أن جماعة من اليهود حين حذرهم النبي صلى الله عليه وسلم نقمات الله وعقوباته قالوا لا تخوفنا فانا أبناء الله وأحباؤه وقيل ان اليهود تزعم أن الله أوحى الى أسرائيل ان ولدك بكرى من الولد وقال

الحسن انما قالوا ذلك على معنى قرب الولد من الوالد والنصارى تأولوا مافي الانجيل من قوله أذهب الى أبي وأبيكم وقيل بل لما قالوا المسيح بن الله أجرى على القائلين بذلك مثل ما تجرى العرب على الواحد من هذيل اذا قالوا نحن الشعراء والمراد منا وكما يجرى رهط مسيلمة هذا الاطلاق عن قبيلتهم فيقولون نحن الانبياء لما قال واحد منهم ذلك وتابعه الباقون عليه فلما كان هذا مقال الفرقتين[1] رد الله عليهم قولهم مع اعترافهم بأنهم يعذبون بذنوبهم اذ لولم يقولوا ذلك لاباحوا ارتكاب الفواحش فقال فلم يعذبكم بذنوبكم والأب المشفق علي ولده لا يعذبه وكذلك الحبيب لا يعذب من يحبه فكان هذا احتجاجا عليهم بما يعتقدون صحته من عذاب الآخرة والله تعالى يقول[2] انكم لستم بابنائى ولا أحبائى ثم قال وهو المنفرد بملك السموات والأرض ومابينهما وانه لا ولد له ولا نظير ولا شريك له اذ لو ثبت ذلك تعالى الله عنه لما كان مالكا لجميعه فلما احتج على ابطال قولهم بما يعتقدون صحته من عذاب المذنب منهم وذلك من احوال الآخرة ثم احتج بملك السموات والأرض على ذلك قرن اليه قوله واليه المصير أى مآل الخلق إلى أن لا يملك أحد لهم نفعاً ولا ضرا غيره تعالى وفى هذا جواب المسئلة الثانية من اقتران ما اقترن بذكره ملك السموات والأرض وما بينهما فى الآيتين

الآية الخامسة منها

قوله تعالى ﴿واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين﴾ وقال فى سورة

(١) نسخة الفريقين (٢) فى النسخة المقدسية وانكم لستم لله بأولاد الخ وفى الأخرى وانكم لستم بابناء الخ والذى هنا فعلى نسخة الكتبخانة

ابراهيم ﴿ واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون ﴾ (للسائل) ان يسئل عن هذا التنبيه في الآية التى فى سورة المائدة بقوله ياقوم هل له[1] فائدة لم يكن مثلها في الخطاب الواقع من سورة ابراهيم مع تركه ﴿ والجواب ﴾ أن يقال إن تسمية المخاطب بندائه مع الاقبال عليه يفيد مبالغة فى التنبيه له فاذا قال القائل إفعل كذا يافلان فكأنه قال أعنيك بخطابى لا غيرك ممن يصح أن ينصرف الخطاب اليه الا ترى انه اذا عري من النداء صلح لكل مخاطب فاذا قارن النداء الأمر كان مقصوراً على صاحب الاسم الذى دخله حرف النداء والمبالغة في التنبيه حقها أن تكون فى الأهم الأعم نفعا .. وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم يصح أن يجاب عنه بجوابين . أحدهما ان يقال لما نبههم علي ماخصهم به من الاكرام ليشكروه على هذه النعم العظام بأن جعل فيهم انبياء مقيمين بين ظهرانيهم يدعونهم الى طاعة ربهم ويثنون أعنتهم عن المحظور من شهواتهم وأن جعلهم ملوكا حيث أغناهم بما أنزله عليهم من المنّ والسلوى عن الحاجة الى الناس فى التماس الرزق من أمثالهم وتكاليف[2] خدمتهم وأعمالهم وماملكهم من المال والعبيد والاماء الذين كانوا يخدمونهم ويكفونهم ما يحتاجون الى مباشرته بانفسهم والمنة عليهم فى هذا المكان أشرف ما يخوله الانسان من النبوة التى لها أشرف منازل الثواب والملك الذى هو غاية ما تسمو إليه الهمم فى دار التكليف فنبهوا بأبلغ الالفاظ ليقوموا بشكر ما عليهم من الإنعام والآية التى في سورة ابراهيم عليه السلام تنبيه على ما صرف عنهم من البلاء وليس هو كالتنبيه على تخويل أشرف

(١) قوله هل له ــ لم تثبت فى نسختى الكتبخانة والمقدسية (٢) نسخة وتكلف

العطاء من صرف البلاء ﴿ وجواب ﴾ ثان وهو ان المن والسلوى مما لم ينعم به على أحد قبلهم ولا بعدهم فلذلك قال وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين فلما نبهوا على شكر نعمة خصوا بها دون الناس كلهم كانت المبالغة في ذلك أولى ﴿وجواب ثالث﴾ وهو أن يقال لما جعل الخطاب بعد قوله يا أهل الكتاب في آيتين وصدر المخاطبات نبه فيها المخاطبين بندائهم فيما حكى من أقوالهم(١) كقوله تعالى بعده يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم وقوله قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وبعده قالوا ياموسى إنا لن ندخلها ابداً ماداموا فيها وبعده قوله رب انى لا أملك إلا نفسى وأخى كان الاختيار ان يجرى مجرى نظائره المتقدمة والمتأخرة ولم يكن شئ من ذلك فى الآية التى فى سورة ابراهيم عليه السلام فلم يذكر هناك ياقوم لهذا . وقد اختلف الناس فيمن يسمي ملكا فقال عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن أسلم والحسن أقل الحال التى اذا كانت كان الانسان بها ملكا الدار والمرأة والخادم وقال غيرهم الملك الذي له مايستغنى به عن تكلف الأعمال وتحمل المشاق للمعاش وبنو إسرائيل سموا ملوكاً لما من الله عليهم به من المن والسلوى والحجر والعصا(٢) والغمام عن ابن عباس وغيره وقال الحسن لأنهم ملكوا أنفسهم بالتخلص من القبط الذين كانوا يستعبدونهم وقال السدى ملك كل واحد منهم نفسه وأهله وماله وقال قتادة كانوا أول من ملك الخدم .. فأما قوله وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين فيحتمل وجهين أحدهما ان يريد من عالمى زمانكم كما قال وانى فضلتكم علي العالمين أى علي عالمى زمانكم ويجوز أن يراد ها هنا آتاكم المن والسلوى وهما مالم(٣)

---

(١) المقدسية من أحوالهم (٢) المقدسية بزيادة والعصا (٣) المقدسية وهو لم

يؤت أحداً من العالمين وقد ذكرته قبل

الآية السادسة منها

قوله تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ﴾ وبعده ﴿ فاولئك هم الظالمون ﴾ وبعده ﴿ فاولئك هم الفاسقون ﴾ (للسائل) أن يسئل فيقول الموضع الذي وصف فيه من لم يحكم بكتاب الله بالكفر هل باين الموضع الذى وصف فيه تارك حكم الله بالظلم والفسق ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان الآية الأولى قوله ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ﴾ قال فيها بعض أهل النظر ان من فيها ليست كمن فى المجازاة وانما هى بمعنى الذين ويصح دخول الفاء فى جوابها كما تدخل فى جواب الشرط لتضمنها ذلك المعنى وان كان لا يجازى بها وهو كقوله الذي يزورنى فله درهم فقد أوجب له بالزيارة الدرهم وان لم يرد من يزرنى فله درهم فقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله في هذه الآية المراد به اليهود الذين كانوا يبيعون حكم الله بما يشترونه من ثمن قليل يرتشونه فيبدلون حكم الله باليسير الذى يأخذونه فهم يكفرون بذلك فاما ان يكون الحكم بخلاف ما أنزل الله كفرا فهو مذهب الخوارج يذهبون بمن هنا الى الشياع الذي يراد في المجازاة وهذا مخصوص به اليهود الذين تقدم ذكرهم وتبديلهم حكم الله ليكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر منهم. واما الآية الثانية فهى فيهم أيضاً لقوله وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ومعناه كتبنا على هؤلاء فى التوراة فرد الذكر الى

الذين هادوا وهم الذين كفرهم لتركهم دين الله والحكم بما أنزله ثم وصفهم بعد خروجهم عن حكم الله في القصاص بين عباده في قتل النفس وقطع اعضائها بأنهم مع كفرهم الذى تقدم ذكره ظالمون وكل كافر ظالم لنفسه إلا انه قد يكون كافراً غير ظالم لغيره فكأنه وصف في هذه الآية بصفة زائدة علي صفة الكفر بالله وهى ظلمه لعباد الله بخروجه في القصاص عن حكم الله ومن لم يحكم فى هذه الآية المراد بها[1] الذين لا يحكمون من اليهود .. وأما الآية الثالثة فانه بعد قوله وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومعناه قيل لهم في ذلك الزمان وأمروا أن يحكموا به ومن لم يحكم بما أنزل الله فيه قال فيه من حكيت[2] عنه من المتقدمين انه بمعنى الذى والذى أذهب اليه انا ان من ها هنا بمعنى المجازاة لا بمعنى الذى كما تقول فيمن لم يحكم بما أنزل الله منا انه لايبلغ منزلة الكفر وانما يوصف بالفسق فلذلك قال فاولئك هم الفاسقون فقد بان لك ان كل موضع من الآيات الثلاث أخبر فيه عن المذكورين قبل بالكفر والظلم والفسق انما وجب فيه ذلك ولم يحسن فيه غيره هناك فاعلمه

﴿ الآية السابعة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ وقال في سورة براءة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) وقال بعده (والسابقون

(١) نسخة بهم (٢) نسخة من حكينا قوله

الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) وقال فى سورة النساء (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم)[١] وكان حقها أن تذكر فى موضعها لكن لم تحضرنى هناك فذكرتها مع أخواتها وان كان ذكرها متقدماً فى القرآن وقال فى سورة الحديد (بشرا كم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) وفى المجادلة (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) وقال فى سورة الطلاق (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) (للسائل أن يسأل عن مسائل[٢] فيقول لم لم يذكر في سورة براءة فى الآية الثانية في قوله تحتها الأنهار لفظة من فى قراءة الأكثرين وقد ذكر فى الآى الأخر .. والثانى لم حذف أبداً فى بعض المواضع ولم يحذف فى بعضها عنها .. والثالث لم ذكر فى سورة النساء وذلك الفوز العظيم وفى سورة الحديد ذلك هو الفوز العظيم وفى غيرها ذلك الفوز العظيم ﴿الجواب﴾[٣] عنه ان يقال ان الآية الأولى وهى قوله يوم ينفع الصادقين صدقهم وان كانت عامة في كل صادق مؤمن فانها خرجت علي ما يبكت الله به النصارى من

---

(١) الذى فى المقدسية هكذا وقال فى سورة النساء وذلك الفوز العظيم بواو وفى الحديد ذلك هو الفوز العظيم بغير واو وقال فى سورة المجادلة ويدخلهم جنات تجرى الخ الآية ولم يذكر ماذكره هنا فتنبه (٢) المقدسية عن اختلاف هذه المواضع (٣) من هنا الى آخر الكلام علي الآية اعتمدنا فيه النسخة المقدسية

دعاويهم الباطلة ومقالاتهم الكاذبة منسوبة الى عيسى عليه السلام فى قوله وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله فانكشف هذا عن صدقه عليه السلام و كذب القوم لما أجاب وقال ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به فلفظة الصادقين في قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم والصادقون يجوز أن يكون منصرفا الى عيسى وأمثاله من الانبياء صلوات الله عليهم الذين صدقوا فى الدنيا فنفعهم صدقهم لقوله عز وجل بل جاء بالحق وصدق المرسلين أي قال هم صادقون فتكون الإشارة بالألف واللام اليهم صلوات الله عليهم وإن كان كل صادق داخلا في حكمهم من الانتفاع بصدقهم و كذلك الآية التى فى آخر المجادلة خرجت على ذكر الرسل لقوله تعالى كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز ثم قال اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى ثم قال أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون فكان الذى أخبر عنهم بأن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار الانبياء وغيرهم صلوات الله عليهم ومن لابتداء الغاية والأنهار أشرف مباديها والجنات التي مباديها الأنهار من تحت اشجارها أشرف من غيرها فكل موضع ذكر فيه من تحتها انما هو لقوم عام فيهم الأنبياء والموضع الذى لم يذكر فيه من انما هو لقوم مخصوصين ليس فيهم الأنبياء الا ترى الى قوله فى سورة براءة والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعدلهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً فجعل مبادى الانهار تحت جنات اخبر انها للصادقين والمؤمنين والذين عملوا الصالحات ومنهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا بل هم اولاهم فالمعتاد انها

أشرف الانهار والآية التى فى سورة براءة قد خرج الانبياء عنها لأن اللفظ يشتمل عليهم فلم يخبر عن جناتهم بأن أشرف الأنهار على مجرى العادة فى الدنيا تحت أشجارها كما أخبر به عن الجنات التى جعلها الله لجماعة خيارهم الأنبياء عليهم السلام اذ لا موضع فى القرآن ذكرت فيه الجنات وجرى الأنهار تحتها إلا وقد دخلتها من سوى الموضع الذى لم ينطق ذكر الموعودين فيه على الأنبياء عليهم السلام فهذا الكلام فيمن تحتها اعتبروا بما ذكرت ما في جميع القرآن ﴿أما الجواب﴾ عن حذف أبداً في بعضها والإتيان بها في بعضها أنها انما حذفت من اول الايتين اللتين فى براءة وآخر آية فى سورة المجادلة لأنه ذكر قبل الآية التى في سورة براءة اولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون وبعد الآية التى فى آخر المجادلة رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون فلان فى خالدين ما يدل على التأبيد ثم قد نزل منزلته أخبار هى فى مدحهم وهى قوله رضى الله عنهم ورضوا عنه فلما تظاهرت هذه الأخبار التى هى ثناء من الله جل ذكره عليهم ومدح لهم وطال الكلام بها فاستغنى بذكر خالدين عن ذكر قوله أبداً وحسن حذفه ولم يحسن في المواضع الأخر التى لم تتظاهر فيها مثل عدة هذه الأخبار الموجبة لهم دار الخلد ودوام النعيم وأما فى سورة النساء انما لم يذكر أبداً لأنه ذكر بعده في مقابله خالدين وخالداً فيها ولم يقل أبداً فلو ذكر فيهما أبداً لطال الكلام فاستغنى بقوله خالدين وخالداً فيهما عن أبداً وأما في سورة الحديد لأنه ذكر قبله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم فلما طال الكلام فى مدحهم ذكر

بعد ذلك تأكيداً بقوله هو استغنى بقوله خالدين عن أبداً وهذا الجواب عن إدخال هو بعد ذلك لأنه ذكر ذلك بدلا وتأكيداً عن أبداً وليس كذلك في المواضع الأخر وأما ادخال الواو في قوله وذلك الفوز العظيم في سورة النساء المحذوف أبداً عنه فلادخال الواو في قرينة الكافر وله عذاب مهين فادخل الواو فيه أي وذلك لهم الفوز العظيم وليس كذلك في المواضع الأخر اذا قرأت ما قبلها وما بعدها تبين لك ما قلت فاعرفه

﴿ سورة الانعام ـ الآية الأولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن﴾ وقال في سورة الشعراء (فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) ﴿للسائل﴾ أن يسئل فيقول قد ذكر في احدى الآيتين فسوف وبالحق وفي الآية الأخرى لم يذكر ما كذبوا به وجعل بدل سوف السين فهل كان يجوز أحدهما مكان الآخر ﴿الجواب﴾ ان يقال ان الآية الأولى قد وفي المعنى فيها حقه من اللفظ لانها سابقة للثانية وان كانتا مكيتين فاشبعت الألفاظ الأولى مستوفية لمعناها وفي الآية الثانية اعتمد على الاختصار لما سبق في الاولى من البيان واقتصر على كذبوا وهذا اللفظ اذ أطلق كان لمن كذب بالحق الا ترى الى قوله عزوجل ويل يومئذ للمكذبين واذا قيد جاز ان يقول كذب الكذب وكذب الصدق وكذب مسيلمة وكذب النبي صلى الله عليه وسلم إلا انه اذا عرى من التقييد لم يصح إلا لمن كذب بالحق فصار قوله تعالى في الشعراء من هذا القبيل بعد البيان الذى سبق في سورة الأنعام ولما بنيت هذه الثانية على الاختصار والاكتفاء بالقليل من

الكثير جعل فيها بدل سوف السين وحدها وهي مؤدية معناها ومن النحويين من ذهب الى انها مأخوذة من سوف وإن كان ذلك عندنا غير صحيح

الآية الثانية منها

قوله تعالى ﴿ الم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ﴾ وقال في سورة الشعراء (أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) (للسائل) أن يسأل فيقول ما بال الألف في الآية الأولى دخلت على لم وفي الثانية دخلت على ولم[1] فكان بين الألف ولم واو عطف ولم يكن في هذه السورة وما يفصل بين الم وأولم وهل صلح ما في الشعراء مكان ما في سورة الأنعام أم لا ﴿ الجواب ﴾ ان يقال ان الألف تدخل على واو العطف في الاستخبار والانكار والتقريع على تقدير ان تكون الجملة التي فيها معطوفة على كلام قبلها يقتضيها وذلك كقولك للقائل يقول هل رأيت زيداً ثمة أوَزيد مما[2] يكون ثمة تصوره بصورة من ثبت ذلك عنده أو قاله فاستفهمته وعطفت على ما توهمت انه في علمه أو وهمه وكل موضع فيه بعد ألف الانكار واو ففيه تنكيب على ما يسهل الطريق الى ما بعد الواو فالاعتبار لكثرة أمثاله كقوله أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم كان قائلا قال كذبوا الرسل وغفلوا عن الفكر والتدبر فقال فعلوا ذلك ولم ينظروا الى المشاهدات التي تنبه الفكر فيها من الغفلة وكذلك قوله تعالى ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات كانه قال كذبوا ولم ينظروا الى ما يردع عن الغفلة من الفكر في المشاهدات وكذلك قوله أو لم يروا الى ما

(١) نسخة ولم كان (٢) نسخة مم

خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله لان ذلك مشاهد وكل ما فيه واو مثل أو لم يروا فهو تنبيه على ما تقدمه في التقدير أمثال له منبهة لكثرتها فالتبكيت فيه أعظم فهذا كله في المشاهد وما في حكمه وما ليس فيه واو مثل ألم يروا فهو ما لم يقدر قبله ما يعطف عليه ما بعده لانه من باب مالا يكثر مثله وذلك مما يؤدى الى علمه الاستدلالات كقوله فى سورة الأنعام ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً الى قوله فاهلكناهم بذنوبهم وهذا مالم يشاهدوه ولكن علموه وكذلك قوله ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون هو مما الطريق الى العلم به الاستدلال لا المشاهدة فهذا ونحوه مما لم يكثر فى معلومهم أشباهه فهم ينبهون عليه ابتداء من غير تقديم تنبيه على شئ مثله مما قبله .. فان عارض معارض بقوله تعالى ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء وقال هذا من القسم الذى يشاهد وحقه ان يكون كقوله أو لم كما كان أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات وهما في شئ واحد فما بالهما اختلفا من حيث وجب ان يتفقا .. والانفصال أن يقال إنا علانا موضع ألم بما يوجب أن يكون هذا الموضع من أما كنها ألا ترى انا قلنا هو كل موضع ينبهون عليه ابتداء من غير تنبيه على شئ مثله مما قبله فعللنا المشاهدات بما يخرج هذا عنها لان قبل هذه الآية والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة لعلكم تشكرون ألم يروا الى الطير مسخرات فبنيت هذه الآية على الآية التى أخبر الله فيها عن أول أحوال الانسان وانه أخرجهم أطفالا صغاراً من بطون أمهاتهم لا يعلمون منافعهم فيقصدوها ولا مضارهم فيجتنبوها ثم

بصرهم حتى عرفوا ونبههم على ما يشاهده كل حى من تصرف الطير فى الهواء وعجزه عن مثل ذلك وكان هذا مقرونا باولى الأحوال ولم يتقدمه أمثال له يقع التنبيه عليها قبله فيكون فى حكم ما يعطف على ما تقدمه فان عارض بقوله عز وجل واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال ان ذلك مما يعلم ولا يشاهد وحكمه ان يكون بما لم .. قيل له التوسعة فى الرزق والتقتير فيه لما كانت لها أمارات ترى وتشاهد من أحوال الغنى والفقير صار أمرها كالمشاهدات فكانا مما شوهدت أمثا لها فعطف عليها . فان سأل سائل عما جاء بالفاء فى قوله أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض وقال ما الفرق بين هذا المكان الذى جاءت فيه الفاء وبين الأماكن التى جاءت فيها الواو وهل كان يصح فى اختيار الكلام الواو مكان الفاء هاهنا ﴿ فالجواب ﴾ ان يقال الفاء هاهنا أولى لان قبلها وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد أفلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم فكأنه قيل فيهم انهم كذبوا الله ورسوله بما انكروه من البعث فلم يفكروا ولم يخشوا عاقبة هذا المقال نقمة تنزل بهم فقيل لم يتفكروا ولم يخشوا افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والأرض اى هم لا ينفكون من ارض تقلهم وسماء تظلهم والذى جعلها تحتهم وفوقهم قادر على أن يخسف الأرض بهم او يسقط السماء عليهم فهذا موضع الفاء لا موضع غيرها لما بينا والسلام

﴿الآية الثالثة منها﴾

قوله ﴿ تعالى قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ وقال فى سورة النمل (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) وقال فى سورة العنكبوت (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) وقال في سورة الروم (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول التى فى سورة الأنعام جعل ما بين السيروا لنظر فيها مهلة متراخية عبر عنها بثم وسائر الآى جعلت المهلة بينهما أقل فعبر عنها بالفاء فما الذى خصص الأولى بثم والباقية بالفاء ﴿فالجواب﴾ عن ذلك ان يقال ان قوله سيروا فى الأرض فانظروا يدل علي ان السير يؤدى الى النظر فيقع بوقوعه وليس كذلك ثم الا ترى ان الفاء وقعت فى الجزاء ولم تقع فيه ثم فقوله فى سورة الأنعام قل سيروا فى الأرض ثم انظروا لم يجعل النظر فيه واقعاً عقيب السير متعلقا وجوده بوجوده لأنه بعث علي سير بعد سير لما تقدم من الآية التى تدل على انه تعالى حداهم على استقراء البلاد ومنازل أهل الفساد وان يستكثروا من ذلك ليروا أثراً بعد اثر فى ديار بعد ديار قد عم أهلها بدمار لقوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم ثم قال فأهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرناً آخرين ثم ذكر فى قوله كم أهلكنا من قبلهم من قرن يعنى قرونا كثيرة قبلهم أهلكناهم ثم قال وانشأنا من بعدهم قرناً آخرين فدعا الى العلم بذلك بالسير في البلاد ومشاهدة هذه الآثار وفي ذلك ذهاب أزمنة كثيرة ومدد طويلة تمنع النظر من ملاصقة

السير كما قال فى المواضع الأخر التى دخلتها الفاء لما قصد من معنى التعقيب واتصال النظر بالسير إذ ليس فى شىء من الأماكن التي أستعملت فيها الفاء ما فى هذا المكان من البعث على استقراء الديار وتأمل الآثار فجعل السير في الأرض فى هذا الموضع مأموراً به علي حدة والنظر بعده مأموراً به علي حدة وسائر الأماكن التى دخلتها الفاء علق فيها وقوع النظر بوقوع السير لأنه لم يتقدم الآية ما يحدو على السير الذي حدا عليه فيما قبل هذه الآية فلذلك خصت بثم التى تفيد تراخي المهلة بين الفعلين والله أعلم

الآية الرابعة منها

قوله تعالى ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير ﴾ وقال في سورة يونس (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول ما الذي أوجب أن يقرن الى جملتى الشرط والجزاء فى الآية الأولى وإن يمسسك بخير ويجعل جواب الشرط الثانى فهو على كل شىء قدير ثم قرن في الآية الثانية الى جملتى الشرط والجزاء وإن يردك بخير وجعل جوابه فلا راد لفضله تخالف الأولى ﴿ الجواب ﴾ ان يقال ان السورتين اللتين وقعت فيهما الآيتان مكيتان والأولى منهما قبل الثانية فأما التى فى سورة الأنعام وهى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو فمعناها إن يمسك الله ضراً وهو سوء الحال فلا مزيل له غير الله ولا يملك ما يعبد من دونه كشفه ومعنى يمسسك ينيلك لأن المماسة في الأعراض مجاز وتوسع في اللغة فمعني مسه الله بضر اناله ضراً وأوصله اليه . . وقوله وإن يمسسك

بخير فهو على كل شئ قدير أى ينلك خيراً يرج لا كثر منه فانه قادر عليه وعلى أمثاله والدليل على أن المعنى هذا ان الجزاء اذا كان جملة ابتداء وخبر فان معنى الخبر يكون جزاؤه مقدراً فى مكان الفاء كقولك ان زرتنى فانا مكرم لك وإن أحسنت الى فأنا قادر على مقابلتك التقدير إن زرتنى أكرمك وإن أحسنت الىّ قدرت على مقابلتك وفي قولك قدرت على مقابلتك ضمان المقابلة وأنت اذا قدرت قوله تعالى إن يمسسك الله بخير فهو على كل شئ قدير ان ينلك خيراً يقدر عليه لم يستقم الكلام لأن الجزاء حقه ان يكون بعد الشرط والقدرة على الفعل لا تكون بعده والمعنى ان ينلك خيراً يرج لامثاله لأنه قادر عليه وعلى كل شئ وكونه تعالى قادراً من صفات النفس وإنالة الخير فعل من أفعاله فلا يصح ان يكون كونه قادراً متأخراً عنها فالمعنى ان نقلك الى سوء حال لم يملك كشفه عنك غيره وذلك كشدائد الدنيا من الأمراض والآلام والنقصان فى الاموال وإن نقلك الى حسن حال كان بعده قادراً على أمثاله ومالكا لاضعافه لأنه قادر على كل ما يصح ان يكون مقدورا عليه له فلهذا وصفه بالقدرة على النفع والضر ..وأما الآية الثانية ففيها نفى أن يغالبه مغالب ويمنعه عما يريد فعله مانع لأن معناها اذا أنزل بك مكروها لم يقدر أحد على دفع ما يريد ايقاعه بك وإن أراد احلال خير بك لم يرده أحد عنك وهو معنى لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ورتبة هذا الوصف بعد رتبة الوصف الأول لأنه يوصف الفاعل أولا بقدرته على الضدين وليس كل من كان كذلك كان ممتنعا عن ان يقهره قاهر فيحول بينه وبين ما يريد فعله فاذا وصفه بأنه قادر كان وصفه بانه قادر غالب للقادرين لا يدفعه عن مراده دافع وصفاً ثانيا فلاق

بكل موضع ما ورد فيه ونطق القرآن به فالذي اقتضى هذا الوصف في الآيتين قوله قبل الأولى قل انى أمرت ان أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين أى انى لا أعبد إلها معه فاشرك به وقوله قبل الآية الثانية ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين ومثلها قوله قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته

﴿ الآية الخامسة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ﴾ وقال تعالى في سورة يونس (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون) ﴿ للسائل ﴾ ان يسأل عن موضعين في الآيتين . أحدهما عن الواو في أول الآية الأولى والفاء في أول الآية الثانية . والثانى عن اختصاص آخر الآية الأولى بقوله الظالمون واختصاص آخر الآية الأخرى بقوله المجرمون ﴿ الجواب ﴾ عن الأول وعطفه بالواو فان ما تقدم من قوله قل أى شيء أكبر شهادة الى قوله ومن أظلم جمل عطف بعضها على بعض بالواو ولم تعلق الثانية بالأولى تعليق ما هو من سببها فأجرى قوله ومن أظلم مجراها وعطف بالواو عليها ألا ترى قوله وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ وبعده وإننى برىء مما تشركون الآية واما الثانية فان ما قبلها عطف بعضها على بعض بالفاء كقوله قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله افلا تعقلون فتعلق كل ما بعد الفاء بما قبله تعلق المسبب بسببه لأن المعنى لو اراد الله ان لا

يوحى الى هذا القرآن لما تلوته عليكم ولا عرفتكم[1] اياه فى هذا الوقت الذى اخبرتكم أن الله بعثنى به اليكم وهذا يؤديكم الى ان تعلموا انى ثويت فيكم قبل هذا كثيراً من ايام عمرى ولم يتهيأ لى ذلك ولا تلوت عليكم شيئا مما تلوته الآن فيؤديكم هذا إلي ان تعرفوا صحة ما اقول انه من عند الله لا من فعلى وقولى فعطف بعض هذ الكلام على بعض بالفاء .. وقوله بعده فمن اظلم اى اذا عرفتم انه ليس من قولى لظهوره منى بعد ما لم يكن فيما مضى من عمرى فليس أحد أشد إضرارا بنفسه منكم فى قولكم على الله مالم يقله فهذا موضع الفاء وكل موضع فى القرآن يكون بعدها تين الآيتين بالواو وبالفاء فاعتبره بما بينته لك وفى الاعراف أيضا فمن أظلم بالفاء فالجواب عنه مثل مامضى .. والجواب عن السؤال الثانى انه لما قال فى الآية الأولي ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وكان المعنى انه لا أحد أظلم لنفسه ممن وصف الله تعالي بخلاف وصفه فاوردها العذاب الدائم كان قوله انه لا يفلح عائداً الي من فعل هذا الفعل أى لا يظفر برحمة الله ولا يفوز بنجاة نفسه من كان ماذكر من فعله فبناء الآخر علي الاول اقتضي أن يكون[2] انه لا يفلح الظالمون ﴿وأما﴾ الآية الثانية في سورة يونس وتعقيبها بقوله انه لا يفلح المجرمون دون قوله لا يفلح الظالمون وان كان الوصفان لفريق واحد فلانه تقدمتها الآية التى تضمنت وصف هؤلاء القوم بما عاقبهم به فقال ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين فوصفهم بأنهم مجرمون عند تعليق الجزاء بهم وقال بعده ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر

(١) المقدسيه ولما عرفتكم .. واخرى اعرفكم (٢) المقدسيه باسقاط ان يكون

كيف تعملون واذا تتلي عليهم آيا تنا بينات الي الموضع الذى أبطل فيه حجتهم ودفع سؤالهم وهو ائتنا بقرآن غير هـذا أو بدله فقال تعالي انه لا يفلح المجرمون ليعلم ان هؤلاء سبيلهم فى الضلال سبيل القوم الذين أخبر عن اهلا كهم وقال كذلك نجزى المجرمين ليوقع التسو ية بينهم فى الوصـف كما أوقع التسوية بينهم فى الوعيد

الآية السادسة منها

قوله تعالي ﴿ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك﴾ وقال فى سورة يونس ﴿ومنهم من يستمعون اليك افأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسئل عن قوله من يستمع اليك في الآية الاولي وتوحيد الضمير العائد الى من حملا على لفظها وعن قوله من يستمعون اليك في الآية الثانيـة وجمع الضمير العائد الي من حملا علي معناها ولماذا خص الاول بالتوحيـد والثانى بالجمع وهل كان يجوز فى الاختيار عكس ذلك فى المكانين ﴿ فالجواب ﴾ أن يقال لكل من الموضعين ما يوجب اختصاصه باللفظ الذى جاء فيه .. فاما قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا علي قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا فقد قيل فيه انه فى قوم من الكفار كانوا يستمعون الي النبي صلي الله عليه وسلم والي قرآنه بالليل فاذا عرفوا بها مكانه رجموه وآذوه ومنعوه من الصلاة خوفا من أن يسمعه منهم من تدعوه دواعى الحق فيسلم وهذا فى قوم قليلي العدد يرصدونه عليه الصلاة والسلام بالليل وكان الله يمنعهم عنه بنوم يلقيه عليهم وحجاب يحجبه به عنهم

لقوله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فصار ذلك كالكتاب على قلوبهم وكالصمم في آذانهم .. واما قوله في الآية التي في سورة يونس وهي ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون فهو في كل الكفار الذين يسمعون مسموعا هو حجة عليهم وهو القرآن ولا ينتفعون بسماعه فكأنهم صم عنه فلما كانت ـ من ـ تصلح للواحد فما فوقه ويجوز أن يعود الضمير الى لفظه وهو لفظ الواحد والى معناه وهو ما يراد به من واحد أو اثنين أو ثلاثة واختلف هذان المكانان في القلة والكثرة حملت في موضع القلة على حكم اللفظ وعاد الضمير اليها بلفظ الواحد فقال ومنهم من يستمع اليك وفي موضع الكثرة على حكم المعنى وعاد الضمير اليها بلفظ الجمع فقال ومنهم من يستمعون اليك ليفاد بالاختلاف هذا المعنى فلم يصح في كل مكان الا اللفظ الذى خصه مع القصد الذى ذكرت .. فان قال قائل فعلى هذا وجب في الاختيار ومنهم من ينظرون اليك لانهم هم الاكثرون كالمستمعين . قلت ان المستمعين لما كانوا محجوجين بما يستمعونه من القرآن كانوا الاكثرين في الحجاج وليس كذلك المنظور اليه لأن الآيات التى رئيت بالعين لم تكثر كثرة آيات القرآن التى سمعت بالآذان فباين السامعون الناظرين في الكثرة عند الحجاج فلذلك عاد الضمير اليهم بلفظ الواحد

﴿ الآية السابعة منها ﴾

قوله تعالى ﴿قل أرأيتكم إن اتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين﴾ وقال بعدها (قل ارأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة

أوجهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون) فقال فى هذين الموضعين ارأيتكم وقال فى هذه السورة ﴿قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وابصاركم وختم علي قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به﴾ وقال فى سورة يونس (قل ارأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون) ﴿للسائل﴾ ان يسأل فيقول لأى معنى قال فى الموضعين اللذين قدمنا ذكرهما ارأيتكم وفى الموضعين الآخرين ارأيتم وهل كان فى الاختيار أن يكون أحدهما مكان الآخر أم لا ﴿ فالجواب ﴾ ان يقال ان النحويين فى قوله ارأيتكم علي مذهبين أحدهما مذهب أهل البصرة وهو أن الكاف فى ارأيتك زيداً عاقلاً للخطاب كالكاف في ذلك وليست باسم ويقولون للاثنين ارأيتكما زيداً عاقلاً وللجماعة أرأيتكم زيداً عاقلاً بمعنى أعلمته عاقلا والتاء لا تتغير عن الفتح وهو علامة الضمير دون الكاف واكتفى بتثنية الكاف وجمعها عن تثنية التاء ومن مذهب أهل الكوفة فى الاثنين أن التاء إسم والكاف إسم مضمر والتقدير أرأيتم أنفسكم إن أتاكم عذاب الله فالتاء موحدة اللفظ مع الكاف التى تختلف باختلاف المخاطبين اكتفاء باختلافها عن اختلاف التاء ولا اختلاف فى ترادف الخطابين التاء والكاف علي المذهبين ولا يترادفان الا عند المبالغة فى التنبيه والمبالغة فيه هو أن يعلم المخاطب أن لا تنبيه بعده وما يتصل بقوله أرأيتكم فى الموضعين كلام يدل علي ما اذا وقع لم ينفع عنده الزجر والتنبيه ألا تراه يقول (أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون) وعند اتيان العذاب وقيام الساعة لا ينفع الانتباه ولا ينفع التنبيه وأرأيتكم فعل متعد الى مفعولين والجملة التى هى ان أتاكم عذاب الله مضمنة مفعوليه وكذلك قوله قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله

بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون معناه أعلمتم ان أتاكم العذاب مفاجأة من حيث لايعلم أو عيانا من حيث يشاهد هل يهلك إلا القوم الظالمون وهم المخاطبون أى هل يهلك غيركم فاذا علق بأرأيتكم جملة تتضمن مفعوليها ومعنى الجملة تناهى الأمر فى تخويفهم بالخشونة الي حيث ينقطع التنبيه عندها كان هذا الموضع أحق المواضع بالمبالغة فيه بمرادفة التنبيه فلذلك أتى بالتاء والكاف اللتين لا تخلوان من الخطاب علي المذهبين علي ن مذهب الكوفيين فى الآيتين صحيح محتمل فالآية الأولى تقديرها ارأيتم أنفسكم داعية غير الله ان أتاكم عذاب الله والآية الثانية تقديرها أرايتم أنفسكم غير هالكة ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة وأرأيتم انفسكم هل يهلك غيرها لانهم هم الظالمون .. فأما الآيتان الأخريان اللتان اقتصر فيهما علي ارأيتم ولم يترادف فى كل واحد منهما الخطابان الدالان علي أن التناهى في التنبيه الى حيث لاتنبيه بعده بذكر غاية ما يفزعون به ويندرون قرب حلوله فلأن الجملتين بعدهما لم يتضمنا من المبالغة فيما يحذرون ما ينقطع التنبيه عنده . أما الأولي فقوله ارأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم علي قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أى أعلمتم ان سلبكم الله صحة ما تحسون به المشاهدات وتعلمون به المغيبات إلها غير الله يردها عليكم وليس هذا استئصالا كما فى الآيتين المتقدمتين .. فاما قوله أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون فلان قبله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين مخبراً انهم استعجلوا العذاب وقيام الساعة فنزلوا منزلة من لايخافون ما أوعدوا به وكذلك قال ماذا يستعجل منه المجرمون فلم يكن فيه صريح الاستئصال والافصاح بالهلاك فكان كأن لم يبلغ حداً

لا مزيد للتنبيه فيه بل هم فى ذلك الحال أحوج ما كانوا الى الزجر اذ لم نبلغ منتهاه كما بلغ في الآيتين الأخريين وصار التقدير أعلمتم أى شيء يستعجل المجرمون من عذاب لله أي هم يستعجلون هلاكهم ولا يعلمون ومعناه اعلموهم طالبين هلاك أنفسهم بما يستعجلونه من نزول عذاب الله بهم فقد بان لك الفرق بين الآيات وما ترادفت فيه علامتا الخطاب دون غيره مما جرى على أصل الكلام والعلم عند الله

﴿ الآية الثامنة منها ﴾

قوله تعالي ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ﴾ وقال في سورة الأعراف (قالوا إن الله حرمهما علي الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا) وقال فى سورة العنكبوت (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) فقدم اللهو علي اللعب فى هاتين الآيتين وجاء فى سورة الحديد (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة) فقدم اللعب علي اللهو كما قدمه فى سورة الأنعام ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول اذا كانت الواو للجمع بين الشيئين والأشياء بلا ترتيب فهل لتقديم أحد الاسمين علي الآخر فى موضع دون موضع وتقديم الآخر عليه فى غير ذلك الموضع فائدة تختصه أم كان جائز في كل مكان تقديم أيهما شاء المتكلم لا لغرض يختصه ﴿ الجواب ﴾ ان يقال أما الآية الأولي التى فى هذه السورة فانها فى قوم من الكفار كانوا اذا سمعوا آيات الله هزلوا عندها واستهزؤا بها فهذا اتخاذهم دين الله لعباً ولهواً وهو كما قال فى آية أخرى وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم

فقوله عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا كقوله فلا تقعدوا معهم فهؤلاء قوم حضروا النبي صلى الله عليه وسلم وسمعوا القرآن وعبثوا عند سماعه وتلاعبوا بآياته وأجروها مجرى أفعال يستروح اليها ولا تقع في عقباها ثم شغلوا بدنياهم عن تدبرها وألهتهم بحلاوتها عن الفكر في صحتها فأول أفعالهم لعب وثانيها لهو واللعب فعل في طاعة الجهل تتعجل منه مسرة واللهو قال فيه صاحب العين ماشغل الانسان من هوى وطرب فهؤلاء لما فعلوا عند سماع القرآن من الاستهزاء والعبث أطلق على فعلهم اسم اللعب ثم لما شغلوا عنه باستحلاء الدنيا كان هذا لهواً منهم بعد اللعب وكان أول دينهم لعباً وما بعده لهواً فلذلك قدم لعب على لهو في هذه الآية .. وأما قوله تعالى في سورة الاعراف ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا وتقديم اللهو على اللعب في هذه الآية فلأن الكافرين هنا العامة الكفار غير مختص بمن سمع الآيات فقدم فعل أكثرهم على فعل أقلهم وهم الذين شغلتهم الدنيا وحلاوتها والولادة وعادتها واستحلاء مامرت عليه طباعها وهذا هو اللهو ثم كانت أفعالهم التي اقتدوا فيها بآبائهم لما طابت لهم ولم يجدوا في العاقبة نفعا عليهم كاللعب الذي ينطوي على أفعال تبطل في الآجل وان سرت في العاجل وهذا بعد الأول وأكثر الكفار داؤهم اللهو وان شغلهم الحال التي استصحبوها عن الفكر فيما يطرأ عليها فوجب هنا تقديم ذكر اللهو لوجهين لتقدمه على ماهو كاللعب ولانه فعل أكثرهم واللعب الذي أريد في الآية الأولى فعل أقلهم وهو هناك أول وهو مارد به ماجاء به الرسول صلي الله عليه وسلم .. وأما قوله تعالى في سورة الحديد

(اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والأولاد) وتقديم اللعب فيه على اللهو فلأن معناه الحياة الدنيا لمن اشتغل بها ولم يتعب لغيرها من أعمال الآخرة مقسومة من الصبا وهو وقت اللعب وبعده اللهو وهو الترويح عن النفس بملاعبة النساء ويتبع ذلك أخذ الزينة لهن ولغيرهن ومن أجل الزينة نشأت مباهاة الاكفاء ومفاخرة الاشكال والنظراء ثم بعده المكاثرة بالاموال والأولاد فترتبت الحياة على هذه الاحوال فوجب تقديم حال اللعب على حال اللهو ـ واللهو ـ اذا أطلق في كلامهم هو اجتلاب المسرة بمخالطة النساء ولذلك قال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسةُ اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالى

وقال آخر

لهونا بمنجول البراقع حقبة فما بال دهر لزّنا بالوصاوص

وقيل في قوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) قيل في تفسير اللهو المرأة وقال قتادة اللهو بلغة اليمن المرأة أي لفعلناه من حيث يختص بعلمنا فلا يطلع غيرنا عليه تعالى الله عن الصاحبة والولد فعلي هذا سميت المرأة لهوا باسم الفعل لكثرة ما يقع ذلك بها . . أما قوله تعالى في سورة العنكبوت (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) فليس المراد به ان الحياة الدنيا كلها لهو ولعب وليست شيئا غيرهما كقوله ما هى الاهما لانه لو كان المراد هذا لكان للقائل أن يقول ما هذه الحياة الدنيا إلا خوف وحزن فالخوف الم القلب لتوقع مكروه والحزن ألمه لفقد محبوب ثم ان هذه الحياة الدنيا تنطوى على أنواع عبادة

الله وعلي تلاوة كتابه وعلى ما يكسب رضى الله عز وجل ويوجب ثوابه الدائم فكيف يقال فيما يتضمن كل هذه الخيرات ليس هو إلا لهوا ولعبا بل المراد المبالغة في وصف قصر مدة الدنيا بالاضافة الى مدة الأخرى فكأنه قال ما امد الحياة الدنيا إلا كأمد أزمنة اللهو واللعب وهى أزمنة تستقصر لشغل النفس بحلاوة ما يستعجل[1] كما قال القائل

شهور ينقضين وما شعرنا   بانصاف لهنّ ولاسرار

وقال المتأخر

وليلة احدى الليالي الزهر   لم تك غير شفق وفجر

والدليل على أن المراد هذا[2] ماذكرت قبل ماذكره الله بعد من قوله عزوجل وان الدار الآخرة لهى الحيوان أى ان حياتها تبقى أبداً ولا تعرف أمداً .. وانما قدم اللهو هنا على اللعب لان الازمنة التى يقصرها اللهو أكثر من الازمنة التى يقصرها اللعب لان التشاغل به أكثر فلما كانت معظم ما يستقصر وجب تقديم ما يكثر على ماهو دونه فى الكثرة لأن ذلك آخذ بالشبه وأبلغ في وصف المشبه ولا خلاف ان الناس أزمنتهم المشغولة باللهو أكثر من أزمنتهم المشغولة باللعب وان طيبها لهم يخيل قصرها اليهم ويتفاوت طيبها على حسب تفاوت ميل النفس الى محبوبها فمعظم ما ترى الزمان الطويل قصير زمان اللهو بالنساء وهوالذى نشأت منه فتنة الرجال وهلاك أهل الحب فهذا الكلام فى هذه الآى والسلام

---

(١) نسخة ماينعجل (٢) نسخة بحذف هذا

الآية التاسعة منها

قوله تعالى ﴿ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى﴾ وقال فى سورة أخرى قبلها وبعدها (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ﴿للسائل﴾ أن يسأل فيقول لم عطف الاسم على لفظ الفعل ولم يعطف عليه لفظ الفعل كما فى السور الأخر واذا عطف عليه بلفظ الاسم وهو مخرج الميت هلا ذكر اللفظ الأول بالاسم فيقول مخرج الحى من الميت فما الفائدة فى ذلك وما الفرق بينها وبين الأخر ﴿والجواب﴾ أن يقال ان أول هذه الآية ذكر بلفظ الاسم وهو فالق الحب والنوى فكان اللائق به أن يقال ومخرج الحى من الميت ولكنه لما اجتمع ثلاثة حروف من حروف الصلة دفعة واحدة وهى الواو من والنوى والياء من النوى والواو من ومخرج واو العطف نقل عن لفظ الاسم الى لفظ الفعل لما كان يخرج ومخرج بمعنى واحد فقيل يخرج الحى من الميت فجعل الجملة وهى مخرج الحى من الميت خبرا لابتداء كما يقول ان زيدا ضارب عمرو ومكرم بكرا ومكرم جعفرا فهذا أفصح من أن يقول أن زيدا ضارب عمرو مكرم بكرا ومكرم جعفراً هذا أفصح من أن تقول ان زيداً ضارب عمرو ومكرم بكرومكرم جعفرا فلهذا المعنى قال يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى فلما انتهى الى العاطف من قرينته ولم يكن فيه تلك العلة التى كان فى المعطوف عليه فاجرى على ما أجرى عليه أول الآية وهو فالق الحب والنوى وما بعده فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا وعاد الى لفظ الاسم وهو مخرج الميت من الحى وعطفه على فالق الحب وليس في الآى الأخر ما فى هذه الآية قبلها وبعدها من الاسمية فذكر فيها على لفظ الفعل عاطفها ومعطوفها فبان الفرق

بينهما على ما بينت والسلام

﴿ الآية العاشرة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ والآية الثانية بعدها ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ والآية الثالثة ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسئل فيقول ما الذى أوجب في اختيار الكلام أن يقال في الآية الأولى قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وفي الثانية لقوم يفقهون وفي الثالثة لقوم يؤمنون وهل صلح بعض ذلك مكان بعض أم في كل موضع معنى يخص اللفظ الذى جاء عليه ﴿فالجواب﴾ أن يقال ان قوله قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون جاء بعد آيات نبهت على معرفة الله تعالى وهى من قوله ان الله فالق الحب والنوى الى قوله وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فكان جميع ذلك دالا على العلم بالله وبوحدانيته وهو أشرف معلوم ولا لفظ من الفاظ ويعقلون ويفقهون ويشعرون إلا ولفظة يعلمون أعلى منه ولذلك صحت في الخبر عن الله تعالى ولم يصح فيه غيرها من الألفاظ التي ذكرت فلما كان المعلوم أشرف المعلومات عبر عن الآيات التي نصبت للدلالة عليه باللفظ الاشرف. وأما ما استعمل فيه يفقهون فهو بعد قوله وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع فاخبر عن ابتدائه الانسان وانشائه إياه نبه بما أراه من تنقله من حال الى حال من عدم الى وجود ومن مكان لى مكان من صلب الى رحم ومن بطن أم الى وجه الارض ومن وجه الارض الى بطنها على انه كما نقل من موت الى حياة ومن حياة الى موت كذلك ينقل من الموت الى الحياة ومن القبر الى المحشر ومنه الى احدى الدارين لان الاستيداع في الدنيا والمستقر في العقبى

كما نقل في التفاسير فنطقت تلك الاحوال الحادثة لمن يفهمها ويفطن لها ويستدل بشاهدها على مغيبها ان بعد الموت بعثا وحشرا وثوابا وعقابا وهذا مما يفطن له فيفقهون أولى به . وأما قوله تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بعد ماعدد نعمه على خلقه وما وسمه من رزقه من الحب المعد للاقوات ومن ضروب الاشجار وصنوف الثمار وكان هذا مستدعيا للايمان به المشتمل على شكر نعمته والقيام بما فرض من طاعته وأوجب من عبادته كانت الآيات في ذلك معرضة لمن آمن بالله فلذلك قال في الاخير إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون

﴿ الآية الحادية عشرة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله الاهو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾ وقال في سورة المؤمن (ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فانى تؤفكون) ﴿للسائل﴾ أن يسئل فيقول لما ذا قدم في سورة الانعام لا اله إلا هو على قوله خالق كل شيء وقدم في سورة المؤمن خالق كل شيء على قوله لا إله الا هو ﴿والجواب﴾ أن يقال لأن ما في هذه السورة جاء بعد قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم فلما قال ذلكم الله ربكم أتى بعده بما يدفع قول من جعل له شريكا فقال لا اله إلا هو ثم قال خالق كل شيء وفي سورة المؤمن جاء هذا بعد قوله لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون فكان الكلام على تثبيت خلق الانسان لا على نفي الشريك عنه كما كان في الآية الأولى فكان تقديم خالق كل شيء ههنا أولى والله أعلم

الآية الثانية عشرة منها

قوله تعالى ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ وقال بعده ﴿ ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسئل فيقول كيف قال ولو شاء ربك فى الآية الأولى وفى الثانية ولو شاء الله وهل فى المكانين ما يوجب اختلاف الاسمين ﴿والجواب﴾ أن يقال ان الأولى قبلها وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الي بعض زخرف القول غروراً أي كان الانبياء قبلك أذىً من قبل العدو من الانس والجن ولو شاء من ربك وقام بمصالحك لالجأهم الى موافقتك وترك مخالفتك وان كان من يقوم بربابتك يحجزهم عن مضرتك وان يظفروا بمرادهم من عداوتك فقد تضمن قوله ـ ربك ـ هذا المعنى . . وقوله فى الاية الاخرى ولو شاء الله جاء بعد قوله « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا» فأخبر انهم أقامو لله الذى يحق افراده بالعبادة شريكا ولو شاء الله أى ولو شاء من نعمته عليهم نعمة توجب التأله له أن لا يعبدوا سواه ما تمكنوا من فعله فهذا موضع لم يلق به الا الاسم الذى يفيد معنى فيه حجة عليهم دون غيره من الاسماء فأفاد كل اسم من الاسمين في مكانه مالم يكن ليستفاد بغيره والله أعلم

الآية الثالثة عشرة منها

قوله تعالى ﴿ ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ وفى سورة ن القلم ﴿ ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن الفرق بين اللفظين وحذف الباء واثباتها وهل كان يصح اللفظ الذي هاهنا هناك والذي هناك هنا ﴿ والجواب ﴾ ان

يقال ان مكان كل واحد يقتضي ما وقع فيه وبين اللفظين فرق فى المعنى يوجب اختصاص اللفظ الذى جاء له فقوله ﴿ ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله ﴾ معناه الله يعلم أي المأمورين يضل عن سبيله أزيد أم عمرو وهذا المعنى يقتضيه ما تقدم هذه الآية وما جاء بعدها مما تعلق بها فالذى قبلها وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله أى إن تطع الكفار يضلوك عن طاعة الله وعبادته . ثم انه أخبر انه يعلم من الذين يغوونه ويضلونه ومن الذين لا يتمكنون من اضلاله وبعد هذه الآية وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين . وأما قوله ﴿ ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ﴾ فمعناه غير معنى ما فى الآية الاولي أى الله أعلم بأحوال من ضل كيف كان ابتداء ضلاله وما يكون من مآله أيصر على باطله أم يرجع عنه الى حقه وقبلها فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون من جعل المفتون بمعنى الفتون كالمفعول بمعنى الفعل كان معناه ستعلم ويعلمون بك أو بهم المفتون وخبال الرأى وفساد العقل ومن جعل المفتون للمبتلى بفساد التمييز وهو حكاية معنى قولهم انه صلي الله عليه وسلم مجنون كان كما يقال فى أى الفرقتين المجنون أى فى فرقة الاسلام أو فى فرقة الكفر والباء تقارب معنى فى كما قال فيه عيب وبه عيب فينوب كل واحد من الحرفين مناب الآخر في أداء المعنى . . ويجوز ان تكون الباء معناها على ما يقال فلان بالمة وبك أي ثباته به وبك معناه أى سيعلم بأى الطائفتين ثبات الجنون ودوام الفتون . . واذا كان مدار الكلام علي انه سيبصر بأيكم الخبال والجنون كان قوله تعالي ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله أى الله أعلم بى وبكم المخبل المجنون مني . . ومنكم واذا قال ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله أى هو أعلم

بابتداء ضلاله وانتهاء أمره وهل يقيم على كفره أم يقلع عن غيه لرشده فقد بان لك ان كل موضع أتى فيه بما اقتضاه المعنى من اللفظ

﴿ الآية الرابعة عشرة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ وقال في سورة يونس ﴿ كذلك زين للمسرفين ما كانو يعملون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسأل فيقول مافائدة اختصاص المكان الاول بالكافرين والثانى بالمسرفين ﴿ الجواب ﴾ أن يقال أن الاول قبله أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانو يعملون والمراد بالميت هاهنا الكافر والنور الايمان وحياته به ومن في الظلمات من استمر به الكفر ولم ينتقل عنه فكان ذكر الكافرين بعده أولى .. وأما المكان الثانى فان قبله إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمئنوا بها وهذا صفة الكفار نعموا أبدانهم ونسوا أديانهم واقتصروا علي عمارة الحياة الدنيا ولم يتعبوا بطلب الأخرى وهم المسرفون الذين قال الله تعالي فيهم وان المسرفين هم أصحاب النار لانهم غلوا فى إيثار الدنيا وتعجل نعيمها وتجاوزوا الحد في عمارتها والاعراض عما هو أهم منها .. ويجوز أن يكون الكفار سموا المسرفين لمجاوزتهم الحد فى العصيان اذ يقال لمن أفرط فى ظلم أسرف فالذين رضوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها وغفلوا عن تدبريات الله يقال لهم مسرفون علي وجهين . أحدهما المبالغة فى تنعيم النفوس وجعلهم الدنيا حظهم بما عرضوا له من النعم .. والثانى مجاوزتهم الحد فى معصية الله . فلما قال فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون وأشار الى من تقدم ذكرهم فى قوله إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ثم

وصف حال الانسان فى الشدة والرخاء وانقطاعه فى الشدة الى الدعاء ونسيانه له فى الرخاء فسمى الذين هذه صفتهم مسرفين علي أحد الوجهين الذين ذكرنا لاسرافهم فى الحالين

الآية الخامسة عشرة منها

قوله تعالى ﴿ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ وقال فى سورة هود ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسأل فيقول لم قال في الاولى غافلون وفي الآخرة مصلحون ﴿والجواب﴾ ان ذلك اشارة الي ما تقدم ذكره من العقاب فى قوله «قال النار مثواكم خالدين فيها» وبعده «يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا» يعنى العقاب فى يوم القيامة لانه لم يكن ربك ليفعله من قبل أن يحتج عليهم برسل يهدونهم وينذرونهم ماوراءهم من محذورهم ولا يتركونهم فى غفلة من أمورهم فاقتضي هذا المكان أن يقال لم يؤخذوا وهم غافلون بل كانوا منبهين بالاعذار والانذار علي السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام .. وأما الموضع الثانى الذى ذكر فيه وأهلها مصلحون فللبناء علي ما تقدم وهو قوله تعالى «فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين» فدل علي أن القوم كانوا مفسدين حتى نهاهم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض وكان نقيض الفساد فى الارض الصلاح فقال لم يكن الله ليهلكهم وهم مصلحون فاقتضي ما تقدم فى كل آية ما اتبعت من الغافلين والمصلحين

﴿ الآية السادسة عشرة منها ﴾

قوله تعالي ﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون﴾ وقال فى سورة هود فى قصة شعيب (ويا قوم اعملوا علي مكانتكم انى عامل سوف تعلمون) وقال فى سورة الزمر (قل ياقوم اعملوا علي مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون) ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن الآية التى فى سورة هود لم جاءت بحذف الفاء من سوف وجاءت الآيتان الآخرتان باثباتها فقال فسوف تعلمون وهل يصلح ما فيه الفاء مكان مالا فاء فيه ﴿ والجواب ﴾ أن يقال أمر الله نبيه صلي الله عليه وسلم فى سورة الأنعام بأن يخاطب الكفار على سبيل الوعيد اعملوا علي طريقتكم وجهتكم أو علي تمكنكم فسوف تعلمون انكم أسأتم الى أنفسكم والعمل سبب للجزاء الذى عبر عنه بقوله (فسوف تعلمون) فالفاء متعلقة بقوله اعملوا أو التقدير اعملوا فسوف تعلمون أنى عامل فسوف أعلم فحذف للعلم به وكذلك ما فى سورة الزمر من خطاب من الله تعالي للنبي صلى الله عليه وسلم على هذا الوجه وأما فى سورة هود فانه حكاية عن شعيب عليه السلام لما تجاهل قومه عليه فقالوا له ياشعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز فقال لهم اعملوا علي مكانتكم انى عامل سوف تعلمون وتعرفون عملي وان قلتم انا لا نفقه أكثر ما تقوله فجعل سوف تعلمون مكان الوصف لقوله عامل فلم يصح على هذا المعنى دخول الفاء وقصد هذا المعنى لما أظهروا من جهلهم به وانهم لا يعرفون ما يقوله لهم فقال لهم انى عامل سوف تعلمون عملي وتعرفونه بعد ما أنكرتموه

الآية السابعة عشرة منها

قوله تعالى ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ وقال في سورة النحل (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم) ﴿للسائل﴾ ان يسئل هنا عن مسئلتين .. احداهما انه ذكر في الثانية من دونه من شيء ولم يذكر في الاولى وهل كان يجوز لو وصلت احداهما بما وصلت به الاخرى .. والثانية توكيد الضمير في سورة النحل ثم العطف عليه وفي سورة الأنعام لم يؤكد وعطف عليه ولا آباؤنا والفصل الذي يقوم مقام التوكيد في المكانين حاصل ﴿الجواب﴾ ان يقال قوله ما أشركنا مستغن عن ذكر المفعول به وان كان في الاصل متعديا اليه لقوله ان تشركوا به شيئاً وانما لم يحتج الي ذكر المفعول به كما احتاج اليه عبدنا لان الاشراك يدل علي اثبات شريك لا يجوز اثباته والعبادة لا تدل علي اثبات معبود لا يجوز اثباته لانها تدل على معبود هو مثبت لا يصح نفيه فقوله ما عبدنا غير مستنكر ان يبدو وانما المستنكر ان يعبدوا غير الله شيئا فكان تمام المعنى بذكر قوله من دونه من شيء وكذلك ولا حرمنا من دونه من شيء لا بد مع حرمنا من قوله من دونه من شيء ولم يحتج اليه بعد قوله ما أشركنا لان الاشراك دال علي أن صاحبه يحرم شيئا من دون الله ولا يدل عبدنا علي ذلك فوفي اللفظان في سورة النحل حقهما من التمام ﴿والجواب﴾ عن السؤال الثاني وهو توكيد علامة الضمير في سورة النحل بنحن وترك ذلك في سورة الانعام مع ان بعد واو العطف لا في الموضعين هو ان كل ما اكد معنى الفعل الذي ضمير الفاعل كالجزء منه اذا

وليه ولم تكثر الحواجز بينهما قام مقام التوكيد بعلامة الاضمار مثل انا
ونحن فقوله (ماأشركنا ولا آباؤنا) أشركنامنه منفى بما ولا بعدالواو مؤكد
معنى ما الداخلة علي الفعل فكأنها مؤكدة للفعل واذا أكدت الفعل وعلامة
الاضمارجزء منه فكأنها أكدتها ومثله (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك)
ومن تاب عطف علي المضمر لقوله فاستقم وصح لان قوله كما أمرت بمعنى
استقامة مثل ما أمرت به فكما أمرت في موضع المصدر والمصدر توكيد
للفعل نفسه فصار مثل توكيد ماهو كجزء منه فكان هذا المؤكد للفعل يليه
فى هذا المكان وفى قولهما أشركنا ولاآباؤنا . فاما قوله (ماعبدنا من دونه
من شيء) لم يكن الفعل مؤكداً لنفس الفعل كما كان المصدر فى قوله فاستقم وكما
كانت لا بعد واو العطف في قوله ولا آباؤنا مؤكدة معنى ما التى تنفي الفعل
فتصير كأنهامؤكدةماهو كبعض الفعل لانالفصل هاهنا بالمفعول به وهومن
شيء وبقولهمن دونه ومعناه ماعبدنا غيره شيئا فيكون بمعنى الاستثناء وليس
شيء من هذين مؤكداً لنفس الفعل فلما لم يؤكداها وجاءت ولا آباؤنا
وكانت لا مؤكدة الا انها لم تل علامة الضمير المعطوف عليها لحجزة بينهما
بقوله من دونه من شيء والحواجز اذا كثرت وبعدت مابين الكلمتين
اختير إعادة العامل مع ان في المتقدم كفاية كقوله عز وجل (ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجرمن أحسن عملا) وكقوله (أإذا كنا
ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) وكقوله (أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا
وعظاما انكم مخرجون) فلما بعد الخبر وهو مخرجون من انكم الاولى
أعيدت واذا كان الاختيار ما ذكرنا فيما طال الفصل بهوكان الفصل في قوله
(ماعبدنا من دونهمن شيء) قد طال بجارين ومجرورين بين علامة الضمير

في عبدنا وبين لا المؤكدة لما التي تنفي الفعل الذي علامة الضمير في تضاعيفه كجزء من اجزائه وكحرف من حروفه احتاج الضمير في العطف عليه الى ما يؤكده فلذلك ادخل نحن هنا ولم يدخل هناك في قوله ما اشركنا ولا آباؤنا فافهمه فانه من دقيق النحو وفقنا الله واياكم لمعرفته والسلام

﴿ الآيه الثامنة عشرة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئا وبالوالدين احساناً ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ﴾ وقال في سورة بنى اسرائيل (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم) ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول قوله عز وجل نحن نرزقكم وإياهم هو ما عليه الاختيار في كلام العرب من تقديم ضمير المخاطب على ضمير الغائب بناء على قولك اعطيتكه والآية في سورة بنى اسرائيل قدم فيها ضمير الغائب علي ضمير المخاطب فكأنها بنيت على قولك اعطيتهوك وهذا ليس بمختار فما الذي أوجب اختصاص الاول بتقديم ضمير المخاطب وأوجب اختصاص الثانى بتقديم ضمير الغائب ﴿ والجواب ﴾ ان يقال أولا ليس الضميران اذا اتصلا بالفعل كالضميرين اذا انفصل أحدهما وعطف علي الآخر لأن قولهم أكرمته وإياك مثل قولهم أكرمتك وإياه فى ان كل واحد منهما مختار فى مكانه الذي يوجب تقديم ما قدم وتأخير ما أخر بخلاف ما يختار اذا اتصلا بالفعل في مثل ما أعطيتكه . . فاما قوله في سورة الانعام (نحن نرزقكم واياهم) فلأن قبله (ولا تقتلوا أولادكم من املاق) أى من أجل إملاق وانقطاع مال وزاد وهذا نهى عن قتلهم مع فقرهم وخوفهم علي أنفسهم اذا لزمتهم مؤنة غيرهم فكأنه قال الذي يدعوكم اليه من حالكم في أنفسكم ثم

في غيركم لا يجب أن تشفقوا منه فاني أرزقكم واياهم .. واما الآية الثانية فانه قال فيها خشية املاق ـ والاملاق ـ غير واقع فكأنه قال خوف الفقر على الأولاد وكان عقيب هذا ازالة الخوف عنهم ثم عن القاتلين أى لا تقتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر فالله يرزقكم واياهم فقدم في كل موضع من الموضعين ما اقتضى تقديمه وأخر ما اقتضى الموضع تأخيره

﴿ الآية التاسعة عشرة منها ﴾

قوله تعالى في الوصية الأولى من هذه السورة ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ وفى الثانية ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ وفي الثالثة ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسئل فيقول ما الذى اقتضى في الأولي تعقلون وفي الثانية تذكرون وفي الثالثة تتقون وهل صلحت الثانية مكان الأولى فى اختيار الكلام ﴿والجواب﴾ أن يقال قدم الله تعالى الوصية بالاشرف الأعظم وهو الايمان بدل الشرك وفيه أداء حق أكبر المنعمين ثم الاحسان الى الوالدين ونعمتهما على الولد أكبر النعم بعد نعمة الله فحقهما يتلو حقه ثم الاحسان الي الاولاد بتر بيتهم وترك ما كانت عليه العرب فى جاهليتها من وأد البنات للفقر والاملاق ثم ان لا يقربوا ما لعله ان يكون سبب ولد لا يصح نسبه وهذا في النهى عن سبب الاحداث كالاول فى النهى عن سبب الاهلاك ثم ان يحقنوا الدماء ولا يسفكوها الا بحقها وهو أن يقتلوها للقصاص والزنا بعد الاحصان والكفر بعد الايمان فهذه خمسة تتعلق بأكبر الحقوق وأوكد الاصول والشرك إعتقاد مذهب باطل بهوى وترك الاحسان الى الوالدين يكون اما لمحبة مال لا يسمح به لهما أو اتباع هوى يدعو الى مخالفتهما ووأد البنات لخوف الفقر والعار والزنا وما يقبح جدا من المعاصي تحمل عليه

الشهوة وقتل النفس بغير حق يدعو اليه شفاء غيظ النفس الامارة بالسوء وكل ذلك قبيح في العقول محتاج في زم النفس عنها الى زاجر من عقل يدفع الهوى فلهذا قال لعلكم تعقلون أى تستعملون العقل الذى يحبس نفوسكم عن قبيح الارادات وفواحش الشهوات وبعد هذه الخمسة خمسة أخرى هى متعلقة بالحقوق في الاموال دون النفوس فاولها حفظ مال اليتيم عليه لانه لايقوى على حفظه والاطماع تمتد الى ماله وذو الولد يفكر في حاله وما يكرهه لولده فلا يستجيزه لولد غيره وبعده التعديل في الكيل وايفاء الكيل والوزن بالقسط وهو الذى توعد الله عليه في قوله (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أووزنوهم يخسرون [1] ومعنى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها أى اذا اجتهدت فى التحرى وتوخى القسط فقد أسقط عنها ما يتعذر تجنبه من أقل القليل فيما يكال ويوزن والرابع القول بالعدل وهو في الحكم والشهادة والخامس الوفاء بعهد الله وهو أن يحلف بالله في غير معصية وكل هذه قد دعى فيه الانسان الى تذكر حاله ورضاه في نفسه لو كان هو المعامل بما يعامل هو به غيره أى لو كان ولده اليتيم أو كان الذى يكال له ويوزن أو كان الذى يحكم عليه أو تقام الشهادة بما لا يلزمه أو يحلف بالله على اذهاب حق له أو يحلف له بما يلزم الوفاء به فلا يرضين من ذلك لغيره إلا ما يرضاه لنفسه فذكرهم حالا مرت لهم أو يخافون مرورها عليهم فلذلك قال لعلكم تذكرون . وأما الآية الاخيرة وهى «وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» أي الشرع الذى شرعته لكم هو

---

(١) في نسخة زيادة قوله ثم الموزون مثله ومعنى الخ

طريق أشرعتـه الى نعيمكم الدائم فاسلكوه ولا تتبعوا الديانات المخالفة له فتبعدكم عن سبيله المؤدى الى نعيمه لعلكم تتجنبون بلزومه معصيته وتتقون بطاعته عقوبته فاتبع كل صنف من الوصية ما اقتضاه معناها وبالله التوفيق [1]

﴿ سورة الاعراف ـ الآية الأولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿قال مامنعك الا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين﴾ وقال في سورة الحجر ﴿قال ياابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم﴾ [2] ﴿للسائل﴾ أن يسأل فيقول اذا كان هذا في قصة واحدة ووقع في كلام الله حكاية عما قال ابليس وعما قيل له عند ما كان يظهر من عصيانه فلماذا اختلفت الحكايتان والمحكى شيء واحد ﴿والجواب﴾ ما قلته فيما قبله وأقوله فيما بعده من أن اقتصاص ما مضى اذا لم يقصد به أداء الالفاظ باعيانها وانما المقصود ذكر المعاني فان الالفاظ اذا اختلفت وأفادت المعنى المقصود كان اختلافها واتفاقها سواء. فقوله عز وجل هنا مامنعك ألا تسجد اذ أمرتك وقوله في الحجر ياابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين وقوله [3] في سورة ص « يا ابليس مامنعك أن

(١) في النسخة المقدسية تمت المسائل في سورة الانعام وانقضت عن ثماني عشرة آية وعشرين مسئلة خارجا عن الزيادة التي وجدت في نسخة أخرى .. ثم أعقب ذلك بقوله سورة الاعراف تسع وعشرون آية الآية الاولى الخ

(٢) في المقدسية .. وقال في سورة بني اسرائيل (وقال أأسجد لمن خلقت طينا) وقال في سورة ص (يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين) للسائل الخ .. ثم قال الحكايات بدل الحكايتان

(٣) في المقدسية هنا زيادة التي في سورة بني اسرائيل

تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين» أقوال ثلاثة في بعض ألفاظها اختلاف وفي المعنى اتفاق وهى مامنعك أن تسجد ومامنعك ان لا تسجد ومالك الا تكون مع الساجدين.. وأما قوله لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين ففيه زيادة إخبار عن حال لم تكن فى الآيتين المتقدمتين[1] ولم يقل عندهما انه لم يكن هناك خطاب إلا ماحكيناه فيهما فتكون الزيادة معدودة فى الاختلاف.. وأما قوله وهو حكاية ما كان من جواب ابليس في سورة الاعراف وفى سورة ص أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وفى سورة الحجر لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وفى سورة بنى اسرائيل ﴿ قال أأسجد لمن خلقت طينا ﴾ فانه يحصل للسامع من الآيات الاربع معنى واحداً وهو ذكر ما حمله علي ترك السجود لآدم عليه السلام لما كان مخلوقا من النار وآدم مخلوقا من الطين ورأى أصله أشرف من أصله وان كان في احداهما ذكر بعض مادعاه الي مافعل وفي الآخرتين ذكر كله من مقابلة أصله بأصله وتوهمه أنه أشرف وان سجود الاشرف لما دونه لايجوز وكذلك ما حكاه الله تعالى من قوله فى سورة الاعراف قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين لا يخالف قوله فى سورة الحجر ﴿ قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين ﴾ ولا يخالف أيضا قوله في سورة ص قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين لانه اذا أمره بالخروج من الجنة أو من السماء فقد أمره بالهبوط الي الارض .. وقوله ان عليك اللعنة ولعنتى واحد لان اللعنة فى الحقيقة ابعاد الله من يعصيه عن الخير ثم لعن

(١) المقدسية فى الآيات المتقدمات ولم يقل عندهم .. وبعده ماحكيناه فيهن

الملائكة والناس من التبع للعنه نعوذ بالله منه

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى﴿قال أنظرنى الى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين﴾ وقال في سورة الحجر وسورة ص ﴿ قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن ادخال الفاء فى قوله رب فانظرنى فى سورتى الحجر وص وحذفها منه في سورة الاعراف﴿والجواب﴾ أن يقال ان قوله انظرنى الى يوم يبعثون فى سورة الاعراف وقع مستأنفا غير مقصود به عطف على ماتقع به هذا السؤال عقيبه فلم يحتج الى الفاء ﴿والجواب﴾ أيضا لما لم يكن اجابة له الى ماطلب لم يكن أيضا معطوفا عليه بالفاء وانما سأل تأخير أجله فقال انك فى حكمى ممن أخر أجله لا لاجل مسئلتك . . وأما فى الآيتين في سورتى الحجر وص فانه قال عز من قائل قال رب فانظرنى وجاء بعد إخبار الله بلعنه له وكأنه قال يارب إذ لعنتنى وآيستنى من الخير فاخر أجلى الى يوم يبعثون وهو يوم القيامة وليس يوم الاماتة انما هو يوم البعث والاحياء فلم تقع الاجابة الي ماطلب لانه قال عز من قائل فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم أى الى الوقت الذى هو آخر أوقات الاحياء فاقتضي إضمار إذ لعنتني يارب ان يأتى بالفاء فيقول فانظرنى ويأتى فى جوابه بها وهو فانك من المنظرين لان التقدير ان طلبت تقدير الاجل وتنفيس المهل من أجل ان لعنت فانك مؤخر الموت بما حكمت به لك لا لاجابتك الى مسئلتك فهو معطوف على السؤال عطف الكلام علي الكلام الذى يقتضيه لا عطف الايجاب على السؤال لان الله تعالى لن يجيب عاصيا مثله الى ما يسأله فدخول الفاء في الموضعين لتقدم ذكر اللعن وان المعنى ان آيستنى من رحمتك فاخر

أجلي لانال من عدوى الذى كان سبب ذلك ما أقدر عليه من الاغواء له ولمن يكون من نسله وأستشفى بذلك لجهله نعوذ بالله من طاعة الهوى المؤدى الى سبيل الردي

﴿ الآية الثالثة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ قال فبما أغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ وقال فى سورة الحجر ﴿ قال رب بما أغويتنى لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل في هذه الآية عن شيئين. احدهما اختلاف الحكايات ففى موضع فبما أغويتنى وفي آخر فبعزتك . والثانى حذف الفاء في سورة الحجر من قوله رب بما أغويتنى واثباتها في الآيتين الآخرتين ﴿ والجواب ﴾ عن اختلاف الالفاظ المحكية أن يقال متى حملت الباء على القسم في قوله بما أغويتنى فى الآيتين بشهادة الآية الثالثة وهى فبعزتك لم يكن هناك اختلاف فى المعنى لأن المراد في قوله باغوائك إياى وهو يحتمل وجوها من المعنى . أحدها أن يكون المراد بتخييبك إياى لاجتهدن فى تخييبهم وهذا ظاهر الكلام لأن القسم متلقى باللام ولأن قوله فبعزتك فى مقابلتهما من الآية الاخرى وتخييب الله اياه هو بعزته ومنه قول الشاعر

ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

أى من يخب لم ينل خيرا .. يشهد لذلك صدر البيت وهو

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره

والثاني أن يكون المراد باهلاكك إياى بان لعنتني وهذا الفعل أيضا عزة

من الله وكذلك ن حمل على معنى الحكم بغوايته فهو عزة من الله تعالى
واذا كان كذلك تساوت في المعنى وكل قسم والاغواء الذى هو التخييب
أو الاهلاك أو الحكم بالغواية كل ذلك عزة من الله تعالى فالقسم به كالقسم
بعزته ﴿ والجواب ﴾ عن السؤال الثانى وهو حذف الفاء من قوله رب بما
أغويتنى فلان الدعاء فى المصدر يستأنف بعده الكلام والقصة غير مقتضاة لما
قبلها كما اقتضاها قوله رب فانظرنى والفاء توجب اتصال ما بعدها بما قبلها
والنداء أولا يوجب القطع واستئناف الكلام سيما فى قصة لا يقتضيها ماقبلها
فلم تحسن الفاء مع قوله رب بما أغويتنى والموضعان الآخران لم يدخل الكلام
فيهما نداء يوجب استئناف مابعده فلذلك وصل القسم فيهما بالأول
بدخول الفاء

﴿ الآية الرابعة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة كافرون ﴾ وقال فى سورة هود
﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول
الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا علي ربهم ألا لعنة الله علي الظالمين الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن
يسأل عن اعادة هم فى سورة هود وترك ذلك فى هذه السورة ﴿ والجواب ﴾
أن يقال إن الذى فى سورة الاعراف جاء على أصله غير مزيد فيه ما يجرى
مجرى التوكيد والذى فى سورة هود جاء بعد قوله ويقول الأشهاد هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم فاشير اليهم ثم قال ألا لعنة الله على الظالمين
فاظهر ذكر الظالمين في موضع الاضمار ولو أجرى علي الحكم فى اضمار

الاسم عقيب الذكر لكان ألا لعنة الله عليهم لأن المراد بالظالمين هم المشار اليهم بقوله هؤلاء الذين كذبوا على ربهم فلما أظهر مكان الاضمار تضمن معنى قوله وهم أى الظالمون هم الذين كذبوا على ربهم وأشير بالكلام المتقدم اليهم ، لما استمر الكلام على الاضمار بعد ذكر الظالمين صار الظاهر كانهم غير المشار اليهم بقوله هؤلاء الذين كذبوا على ربهم فاعيدهم في قوله هم كافرون لتحقق الكفر عليهم بنسبة الاوصاف المتقدمة اليهم وأولها كذبهم على ربهم ثم ظلمهم لانفسهم وصدهم عن سبيل الله ووصفهم لها بدل الاستقامة بالاعوجاج وكفرهم في هذه الاحوال[1] بالله واستحقاقهم به عقوبة الله في الآية فلما لم يصرف الخبر الثانى فى سورة الاعراف مصرف ما ليس هو بالاول لم يحتج الى توكيده ولما عدل في سورة هود عن اعادة الضمير الى الأول ووضع مكانه ظاهراً يحتمل أن يكون غير الأول وعنى به أنهم هم كان الموضع موضع توكيد لتحقيق الخبر عنهم بالكفر وتثبيته عليهم بأوكد لفظ لانا لماقلنا هم هم فهو المعاد في قوله وهم بالآخرة هم كافرون الا أن يتبين بذلك أن المكان مكان توكيد ليفرق بينه وبين الأول

﴿ الآية الخامسة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء ﴾ وقال فى سورة الفرقان ﴿ وهو الذى أرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيراً ﴾ وقال فى سورة الروم ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله

(١) نسختان الافعال

كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون ﴾ وقال في سورة الملائكة ﴿ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الي بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور﴾ ﴿للسائل ﴾ أن يسأل فيقول هذه الآي الاربع قد خصت اثنان منها بقوله يرسل علي لفظ المستقبل واثنان بقوله أرسل علي لفظ الماضى فهل في كل مكان ما يقتضي اللفظ الذى خصه أم كل جائز لو جاء عليه ﴿ الجواب ﴾ أن يقال بل كل ما يوجب في الاختيار اللفظ الذى جاء عليه وان كان الله وصفه بأنه أرسل الرياح فبسط بها السحاب فساقه فأنزل منه الامطار فأحيا بها البلاد كوصفه بأنه يفعل ذلك فى المستقبل لانه قادر كما كان وقد عود فعل ذلك وأعلمناه مشاهدة الا أن الآية التى فى هذه السورة جاء فيها يرسل بلفظ المستقبل لان قبلها (أدعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين) فكان فى ذلك بعث على الدعاء والتضرع وتعليق الخوف والطمع بما يكون منه من الرحمة وصنوف مارزق الله الخلق من النعمة فكان لفظ المستقبل أشبه بموضع الخوف والطمع للداعين وأدعى لهم الى الدعاء وأما فى سورة الفرقان ومجئ هذا اللفظ فيها بلفظ الماضى فلأن قبل الآية (ألم تر الي ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيراً وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشوراً وهو الذى أرسل الرياح) فلما عدد أنواع ما أنعم به وكان ارسال الرياح فى جملته عده بعد ما تقدمه وأخبر منه عما فعله وأوجده .. وأما في سورة الروم فلأن قبل الآية (ومن آياته أن

يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره) فبنى قوله الله الذى يرسل الرياح على البناء الذى جعل عليه ماهو من آياته لحث على الاعتبار بما يعتاد من فعله تبارك الله سبحانه.. وأما فى سورة الملائكة واختيار اللفظ الماضي فيها علي المستقبل فلأن أولها (الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا) بنى فطر وجعل وخاتمة هذه العشر من مبتدأ السورة الله الذى أرسل الرياح فلما افتتح العشر من أول السورة بالتمدح بما صنع أتبعه ما كان من جنسه مما فعل فكان الاختيار لفظ الماضي هاهنا كذلك فافهمه فانه يفتح عليك مايشتبه ان شاء الله تعالى

الآية السادسة منها

قوله عز وجل ﴿ لقد أرسلنا نوحا الي قومه ﴾ وقال فى سورة هود ﴿ولقد أرسلنا نوحا الي قومه ﴾ وقال في سورة المؤمنين ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن حذف الواو من لقد أرسلنا فى هذه السورة والاتيان بها فى سورتى هود والمؤمنين ﴿ الجواب ﴾ أن يقال ان الآيات التى تقدمت قوله لقد أرسلنا نوحا في هذه السورة الي ان اتصلت به فى وصف ما اختص الله به من احداث خلقه والبدائع من فعله من حيث قال (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) الى أن ذكر الشمس والقمر والرياح والنبات والامطار والسهل من الارض الطيب والحزن منها الصلد ولم يكن فيها ذكر بعثة نبي ومخالفة من كان له من عدو فصار كالاجنبي من الاول فلم يعطف عليه واستؤنف ابتداء كلام ليدل على انه في حكم المنقطع من الاول وليس كذلك الآية في سورة هود لان أولها افتتح الى قصة

نوح بما هو احتجاج علي الكفار بآيات الله التي أظهرها على أيدي أنبيائه وألسنتهم صلوات الله على جماعتهم وتوعد لهم علي كفرهم وذكر قصة من قصص من تقدمهم من الانبياء الذين جحد آياتهم أممهم فعطف هذه الآية على ماقبلها إذ كانت مثلها ألا ترى أن أول السورة ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير﴾ وبعد العشر منها (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز) الى قوله (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) ثم وصف حال من آمن بالله ورسله وأخبت الى ربه وحال من افترى على ربه وحصل على خسران نفسه وشبههما في قوله بحال من انطوى علي ذكر مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا فاقتضى تشابه القصتين عطف الثانية علي الاولى .. وأما في سورة المؤمنين فان قبل هذه الآية منها ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم قوله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ثم انقطعت الآي الي قوله تعالى (وعليها وعلى الفلك تحملون فكان ما تقدم في هذا المكان مثل ما تقدم الآية فى سورة الاعراف إلا انه باينه بأن كان فيه ولقد خلقنا الانسان وقوله ولقد خلقنا فوقكم ثم انقطعت الى قوله وعليها وعلي الفلك تحملون والفلك التى يحمل عليها مما اتخذه نوح عليه السلام فدخل واو العطف فى قصة نوح عليه السلام للفظتين المتقدمتين وهما ولقد خلقنا الانسان رؤس الآيتين وللمعنى المقتضي من ذكر الفلك الذى نجى الله عليه من جمله أصل الخلق وبذر[1] هذا النسل

(١) نسخة وبدء

—﴿ الآية السابعة من هذه السورة ﴾—

قوله تعالى متصلا بقوله ﴿ لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ وقال فى سورة هود ﴿ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ألا تعبدوا الا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ وقال فى سورة المؤمنين ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن اختلاف المحكيات كقوله بعد مالكم من إله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وانى أخاف عليكم عذاب يوم أليم وفى المؤمنين مالكم من إله غيره أفلا تتقون والقصة قصة واحدة ﴿ الجواب ﴾ أن يقال للانبياء مقامات مع أممهم يكون فيها الاعذار والانذار ويرجع فيها عوداً على بدء الوعد والوعيد ولا يكون دعاؤهم الى الايمان بالله ورفض عبادة ماسوى الله فى موقف واحد بلفظ واحد لا يتغير عن حاله بل الواعظ يفتن في مقاله والجاحد المنكر تختلف أجوبته في مواقفه فاذا جاءت المحكيات على اختلافها لم يطالب وقد اختلف فى الاصل باتفاقها لانه قال لهم مرة باللفظ الذى حكى ومرة بلفظ آخر في معناه كما ذكر وكذلك الجواب يرد من أقوام يكثر عددهم ويختلف كلامهم ومقصدهم وصدق الخبر يتناول الشيء على ما كان عليه فلا وجه اذاً للاعتراض بهذا ونحوه

﴿ الآية الثامنة متصلة بهذه الآية من سورة الاعراف ﴾

قوله تعالى ﴿ قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ﴾ وقال في سورة هود ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم

أراذلنا ﴾ وقال في سورة المؤمنين ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول لاي معنى خلت في سورة الاعراف من الفاء وقد جاء مثلها في السورتين بالفاء وهو فقال ﴿ الجواب ﴾ أن يقال ان الموضعين اللذين دخلتهما الفاء مابعدهما مما اقتضاه كلام النبي عليه الصلاة والسلام مما رواه الكفار جوابا له فكان بناء الجواب على الابتداء يوجب دخول الفاء وليس كذلك الآية فى سورة الاعراف لانهم فى جوابهم صاروا كالمبتدئين له بالخطاب غير سالكين طريق الجواب لانهم قالوا انا لنراك فى ضلال مبين قال ياقوم ليس بي ضلالة فكان كلامهم له كالكلام الذى يبتدئ به الانسان صاحبه فلذلك جاء بغير فاء مخالفا طريقة ما الكلام بعده مبنى بناء الجواب . ومما أخرج من الاجوبة مخرج الابتداء بالكلام وان كان فى ضمنه الجواب مثل قوله تعالى (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) فلم يأت بالفاء فى اللفظين اللذين كان مابعد كل واحد منهما كالجواب لما قبله . . ومما يؤكد صحة هذا القول قوله تعالى فيما كان من جواب عاد لهود (والى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين) ولم يقل فقال الملأ لأن مابعد قال هنا مسلوك به طريق الابتداء بالخطاب اذ رمى بالسفاهة كما رمى نوح عليه السلام بالضلالة فلم يدخل على واحد منهما الفاء التى تجعل الثانى متعلقا بالاول تعلق الجواب بالابتداء

﴿ الآية التاسعة من سورة الاعراف ﴾

قوله تعالى ﴿ أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون ﴾ وقال في قصة هود ﴿ أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن الفرق بين قوله وأنصح لكم وبين قوله وأنا لكم ناصح أمين وما الذى اقتضى الاسم في الآخر والفعل فى الاول وهل كان يصح احدهما مكان صاحبه ﴿ الجواب ﴾ عن ذلك من وجهين . أحدهما أن يقال ان معنى كلام نوح عليه السلام ما نطق به القرآن ومعنى كلام هود عليه السلام ماذكره الله تعالي حاكيا عنه وليس لقائل أن يقول اذا كان القولان صحيحين فى موضعهما فهلا قال أحدهما قول الآخر . والوجه الثانى أن يقال ان قول نوح عليه السلام جواب من ضال لانه قيل له انا لنراك فى ضلال مبين وهود عليه السلام قيل له انا لنراك فى سفاهة والضلال من صفات الفعل تقول ضل فهو ضال والسفاهة من صفات النفس وهى ضد الحلم وهو معنى ثابت يولد الخفة والعجلة المذمومتين والحلم معنى ثابت يولد الأناة المحمودة فكان جواب من عيب بفعل مذموم نفيه بفعل محمود لا بل بافعال تنفي ما ادعوه عليه وهى أن قال لست ضالا ولكنى رسول من رب العالمين أؤدى اليكم ما تحملت من أوامره وادعوكم باخلاص الي صلاح أمركم واعلم من سوء عاقبة ما أنتم عليه مالا تعلمون فنفى الضلال بهذه الافعال وهود عليه السلام لما رمى بالسفاهة وهى من الخصال المذمومة البطيئة وليست من الافعال التي ينتقل الانسان عنها الى اضدادها فى الزمن القصير مراراً كثيرة فكان نفيها بصفات ثابتة تبطلها أولى كما كان نفى الفعل المذموم بالفعل المحمود أولي . . فقوله ناصح أى أنا ثابت لكم على النصح

صفة فى النفس لا تنتقل لكم عن النصح الي الغش ولا تتبدل خيانة بالامانة وكان جواب كل من الكلامين ما لاق به واقتضاه

﴿ الآية العاشرة من سورة الاعراف ﴾

قوله تعالي ﴿ فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين ﴾ وقال فى سورة يونس ﴿ فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول لم اختصت الآية الاولى بقوله أنجيناه والذين معه والثانية بقوله فنجيناه ومن معه في الفلك وزاد فيها وجعلناهم خلائف ﴿ الجواب ﴾ أن يقال السورتان مكيتان جميعاً والآية [1] في سورة الاعراف وقوله أنجيناه أصل فى هذا الباب لان أفعلت في باب النقل أصل لفعلت وهو أكثر تقول نجا وأنجيته كما تقول ذهب وأذهبته ودخل وأدخلته وخرج وأخرجته فاما فعلته فمن القلة بحيث يمكن عده نحو فزع وفزّعته وخاف وخوفته وقد يجاء معه بالهمزة فيقال أفزعته وأخفته ولا يجاء مع تشديد العين بالهمزة لا تقول ذهبته ولا دخلته فى أذهبته وأدخلته فالآية الاولي جاءت على الاصل الاكثر ولهذا أكثر ما جاء فى القرآن جاء علي أنجينا كقوله فأنجيناه والذين معه برحمة منا وكقوله وأنجينا موسي ومن معه أجمعين وقوله فأنجاه الله من النار وليست الجيم المزيدة في نجيناه للكثرة وإنما هي المعاقبة للهمزة بدلالة قوله فى ذى النون فاستجبنا له ونجيناه من الغم ولا كثرة هناك . وأما قوله والذين معه فى الفلك فهو الاصل ومن تجئ بمعناها وتكونان مشتركتين [2] في معان والذين خالصة للخبر مخصوصة

---

(١) المقدسيه الا انه فى سورة الاعراف الخ (٢) المقدسية تكون مشتركة

بالصلة فاستعمل الاصل فى اللفظتين أنجينا والذين ولما كرر هذا الذكر كان العدول الى اللفظين الآخرين اللذين هما بمعناهما وهما نجيناومن أشبه بطريقة الفصحاء وعادة البلغاء . فاما قوله وجعلناهم خلائف فى الآية الثانية فانه زيادة في الخبر عن الخوالف[1] الذين نجوا من الغرق فصاروا خلفاء للهالكين وقيل كانوا ثمانين نفسا وهلك سائر أهل الارض . فان قال فالاغراق قبل أن جعلوا خلائف فكيف قدم عليه .. قيل يجوز أن يكون معنى وجعلناهم خلائف انما قدم لانه من صفة أنجيناهم فلما أخبر عنهم بذلك ضم اليه الخبر الثانى ويجوز أن يكون معنى وجعلناهم خلائف أى حكمنا لهم بذلك ثم كان الاغراق بعده على ان الواو لا ترتيب فيها ولا يمتنع أن يكون المذكور بعدها مقدما على ما قبلها

﴿ الآية الحادية عشرة من سورة الاعراف ﴾

قوله تعالى فى قصة صالح ﴿ قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ وقال في سورة هود ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ﴾ وقال في سورة الشعراء ﴿ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن اختلاف الخبر الواحد فى الاماكن الثلاثة وهو حكاية ما قاله صالح عليه السلام لقومه لما حذرهم التعرض للناقة ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان هؤلاء سألوا أن يخرج لهم من هضبة ملساء ناقة فسأل الله تعالى صالح ذلك وفى خبر آخر انه بدرهم بهذه الآية لا عن مسئلة

(١) المقدسية والكتبخانه عن أحوال الذين الخ

كانت منهم فانفرجت عن ناقة بعد ما تمخضت تمخض المرأة والناقة عشراء فنتجت بعد ذلك فصيلا فكانت ترد ماء لهم بين جبلين يوما فتشرب كله وتسقيهم اللبن بدله وللقوم شرب يوم يخصهم فثقل عليهم أمر شربها وانقطاع الماء يوما عن مواشيهم بسببها وحذرهم صالح عليه السلام التعرض لها الى ان عقرها أحمر ثمود فصار سبب هلاكهم فالآية الأولى من سورة الاعراف عامة في جمل ما كان من وعظه لهم لانه قال قد جاءتكم بينة من ربكم أى آية تشهد بصحتها نفوسكم انها من قدرة الله المختصة بفعله لا يفعل غيره ثم قال هذه ناقة الله لكم آية أى هى ناقة ليست ملك أحد منكم وانما هى لله استخرجها من الصخرة أو الهضبة امارة لصدق نبيه عليه السلام لتؤمنوا عندها فاتركوها ترع في الصحارى التى هى أرض الله من الكلأ الذى هو من نعمة الله ولا تعرضوا لها بسوء فيأخذكم عذاب ينال منكم ويؤلمكم وهذه المعانى المجملة فى الآية الاولي زيدت بيانا في الآيتين فالآية الاولى تحذير للقوم علي طريق العموم . فاما قوله فى الثانية فيأخذكم عذاب قريب بعد ماقال فى الاولى أليم فانه اختص هذا المكان بقريب لما بعده من قوله فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام فذكر المدة التى بينهم وبين هلاكهم وقرب ما توعدهم به من عذاب الله لهم والقريب لا ينافي الاليم بل هو أشد ألما إذ لم يكن بعد مهل فاختصاص الآية الثانية بقريب دون أليم لما ذكرنا من قرب الميعاد المقرون ذكره الى ذكره . وأما الآية الثالثة واختصاصها بقوله فيأخذكم عذاب يوم عظيم فلأن قبلها ذكر اليومين المقسومين بين الناقة وبينهم كأنه قال لهم إن منعتموها يومها بعقر تنزلونه بها أخذكم عذاب يوم عظيم فيوم تؤلمونها فيه فيكون به يوم يؤلمكم الله فيه بعذاب

الاستئصال وهو يوم عظيم عليكم وكل ذلك بمعنى واحد وهو أنهم إن عقروها عوقبوا فالالفاظ المختلفة دائرة على هذا المعنى واختلافها لاختلاف مواضعها المقتضية تغيير الالفاظ فيها

﴿ الآية الثانية عشرة منها ﴾

قوله تعالى في قصة صالح عليه الصلاة والسلام ﴿ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ وقال فيهم في سورة هود ﴿ فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ﴾ وقال في قصة شعيب عليه الصلاة والسلام في سورة الاعراف ﴿ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها ﴾ وقال في هذه القصة في سورة هود ﴿ وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن قوله تعالى فأصبحوا في دارهم وتوحيد الدار في موضع وجمعها في موضع وهل هناك فرقان بين موضع الواحد وموضع الجمع ﴿ الجواب ﴾ أن يقال اذا كان الجمع والتوحيد جائزين كان وجه التوحيد على طريقين . أحدهما أن يراد بدارهم بلدهم فيوحد ذهاباً الى معنى الدار وهو موحداً ويذهب به مذهب الجنس كما تقول دينارهم شر من درهمهم كما قال

دينار آل سليمان ودرهمهم　　كنائلين حفًا بالعراقيب

بني الكلام في اختصاص موضع بالتوحيد وموضع بالجمع وأن يقال هل ذلك لفائدة تخصصه به فيقال ان الله تعالى وجد في كل مكان ذكر في ابتدائه والى ثمود أخاهم صالحاً . والى مدين أخاهم شعيباً . ولم يذكر اخراج النبي ومن آمن معه من بينهم فجعلهم بني أب واحد وجعلهم كذلك أهل دار واحدة

ورجا أيضاً أن يصيروا بالايمان فرقة واحدة وكل موضع أخبر عن تفريقه بينهم واخراج النبي ومن آمن منهم معه أخبر عنهم الاخبار الدال على تفرق شملهم وتشتت أمرهم وذهاب المعنى الذي كان يجمعهم لأب واحد ودار واحدة وأن يصير وامع المؤمنين فرقة واحدة فقال ﴿ولما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى دارهم جاثمين﴾ وقال ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ فان قال فقد قال في قصة شعيب عليه الصلاة السلام في سورة الاعراف فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها فوحد الدار وقد خرج شعيب عليه الصلاة والسلام من بين أظهرهم ووقع الحكم بتفرق شملهم فكان ماذهب اليه يقتضى أن يجمع الدار فيقال ديارهم في هذا المكان ﴿والجواب﴾ أن يقال إنه لم يتقدم فى هذا الموضع ذكر اخراجه من بينهم مع الذين آمنوا معه كما ذكر فى الموضعين الآخرين فى قصته عليه الصلاة والسلام فى سورة هود وفي قصة شعيب عليه السلام فيها ألا ترى أنه قال في قصة صالح عليه الصلاة والسلام فى سورة الاعراف وسورة هود قبل أن أخبر أنه نجاه ومن آمن معه منهم لما جاء أمره مرتين فوحد الدار فيهما وفى الموضع الذى ذكره بقصته مع المؤمنين منهم جمع الدار فيهما وكذلك جاء فى قصة شعيب فى موضعين أحدهما جمع فيه وفي الآخر وحد والجمع حيث ذكر اخراجه منهم مع المؤمنين معه فتدبره ان شاء الله تعالى

﴿ الآية الثالثة عشرة من سورة الأعراف ﴾

قوله تعالى فى قصة صالح ﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة

ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ وقال في قصة شعيب ﴿ الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسي على قوم كافرين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن إفراد الرسالة في قصة صالح وجمعها في قصة شعيب وما الفائدة المخصصة لكل واحد من اللفظين بمكانها ﴿ الجواب ﴾ عن ذلك أن يقال ان الذى نطق به القرآن من تحذير صالح عليه السلام قومه بعد ان أمرهم باتقاء الله تعالى وطاعته هو أمر الناقة والمنع من التعرض لها فجعل الرسالة جملة لما لم يفصل ما أتى به شعيب حين نهاهم عن عبادة الاوثان بدلالة قوله قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك ان نترك مايعبد آباؤنا أوأن نفعل في أموالنا مانشاء إنك لأنت الحليم الرشيد ثم قال انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون ثم قال أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين وقال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون.. قيل في التفسير هم العشارون عن قتادة والسدى وقيل كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيبا يتوعدونه ويصدونه عن دين الله فهذه التى أمر شعيب بها قومه أشياء كثيرة ليس ما أمر به صالح قومه مثلها كثرة فلهذا جمع الرسالة فقال رسالات ربى وقال في قصة صالح عليه السلام رسالة ربى ﴿ وجواب ﴾ ثان وهو ما يروى ان أصحاب الايكة غير مدين وان شعيبا بعث الى أمتين [1] وهذا عن قتادة وقيل الأيكة الغيضة الملتفة وأصحاب الأيكة هم أهل مدين فاذا حمل على الاول كان الى كل واحد من أمته رسالة فجمع لاختلاف قومه وتخصيص كل منهم برسالة من الله .. فان قل قائل فبأى

(١) نسخة الى المثنين

عذاب الله أهلكوا وقد نطق القرآن بالرجفة فى أمرهم ونطق بالصيحة التى خروا لها وماتوا ونطق بعذاب يوم الظلة وهى سحابة أظلتهم فأحرقهم الحر تحتها وهذه أنواع من العذاب مختلفة وفي كل واحد ما يغنى عن الآخر فى الاهلاك فاذا أهلكوا بأحدها اكتفى به عن غيرها ﴿ والجواب ﴾ أن يقال فى التفسير عن محمد بن كعب قال عذب قوم شعيب بثلاثة أصناف من العذاب أصابتهم الرجفة فخرجوا من ديارهم ثم أصابهم حر شديد ففرقوا من أن يدخلوا البيوت خوف الزلزلة فبعث الله عليهم الظلة وهي سحابة أنشئت لهم فصاح رجل منهم هل لكم فى الظلة هل لكم فى الظلة وفي رواية عليكم بالظلة فمارأيت كاليوم من ظل أطيب ولا أبرد فلجؤا اليها هربا من الحر الذى أصابهم فلما اجتمعوا تحتها أمطرتهم ناراً فأحرقتهم وقيل صيح بهم صيحة واحدة فماتوا منها فعلى هذا سلطت عليهم الانواع الثلاثة من العذاب عذاب الاستئصال

﴿ الآية الرابعة عشرة من سورة الاعراف ﴾

قوله تعالى ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله ﴾ الآية وقال فى سورة النمل ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴾ وقال فى سورة

العنكبوت﴿ ولوطا إذ قال لقومه أئنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا إئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين قال رب انصرنى على القوم المفسدين ﴾﴿ للسائل ﴾أن يسأل في هذه الآى عن مواضع .. فالاول قوله في سورة الاعراف شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وقال فيما وقع موقعه من سورة النمل شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون .. والثانى قوله بعد ذلك وما كان جواب قومه في سورة الاعراف بالواو وقال فيما أشبهه من سورة النمل فما كان جواب قومه بالفاء وهل صلح احدهما مكان الآخر في الاختيار ..والثالث قوله فى سورة الاعراف إلا أن قالوا اخرجوهم وقال فى سورة النمل الا أن قالوا اخرجوا آل لوط. فاضمر فى الاول وأظهر فى الثانى .. والرابع قوله فى سورة الاعراف الا امرأته كانت من الغابرين وفى سورة النمل الا امرأته قدرناها من الغابرين ..والخامس قوله في الاعراف أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين وقال فى سورة النمل أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ..والسادس[1] اختلاف المحكيات فان فى سورتى الاعراف والنمل فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اخرجوهم واخرجوا آل لوط. وقال في سورة العنكبوت فما كان جواب قومه الا أن قالوا أئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴿فاما المسئلة الأولى ﴾وهو مجىء بل أنتم قوم مسرفون فى الاعراف وبل أنتم قوم تجهلون في النمل فالمسرف يجهل[2] باسرافه والجاهل مسرف في

(١) نسخة الكتبخانة بدل قوله والسادس .. وأما اختلاف الخ (٢) نسخة مجهل .. والمقدسية والجاهل يسرف بدل مسرف

أفعاله إذ الاسراف مجاوزة الحد الواجب الى الفساد فيجوز أن يكون لوط عليه السلام لما كانت له مع قومه مقامات قال فى بعضها هذا اللفظ وقال فى المقام الآخر اللفظ الثانى ولم ينافِ أحدهما صاحبه ثم اختصاص مسرفين بسورة الاعراف فلأن الآيات التى قبلها فواصلها أسماء جمعت هذا الجمع من حيث قال واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض فكانت فاصلة هذه الآية مفسدين وفاصلة ما بعدها مؤمنين وما بعدها كافرين وبعدها المرسلين وبعدها جاثمين وبعدها الناصحين وبعد ذلك اذا انتهى الى هذه الآية العالمين فكان الاسم أحق بالوضع فى هذا المكان لتتساوى الفواصل وفي سورة النمل تقدم الآية التى فاصلتها بل أنتم قوم تجهلون فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون فلما تناسبت هذه الافعال في هذه الفواصل التى قبل هذه الفاصلة كان بناؤها علي ما قبلها علي لفظ الفعل أولى بها فجاء تجهلون فى هذا الموضع ومسرفون فى الاول لهذا من القصد والله أعلم ﴿ واما المسألة الثانية ﴾ في اختصاص الواو في سورة الاعراف في قوله وما كان جواب قومه والفاء في سورة النمل فما كان جواب قومه فلأن قبلها مسرفون وهو اسم وإن أدى معنى الفعل وتجهلون صريح لفظ [1] الفعل والاجوبة التى تتعلق بالأول المبتدأ به انما أصلها فى الافعال التى تقع وتوجد لوجود غيرها والواو والفاء جائزتان في الموضعين الا انه يختار حيث جاء الاصل الذى وضعت الفاء فيه لتوجب مابعدها لوجود ماقبلها وهو الفعل واختيرت الواو حيث كان

(١) نسخة صريح الفعل

اللفوظ به الاسم لتفرق بين الموضعين فتختار لكل ماهو به أليق إذ ليس الاسم أصلا فيما جعلت الفاء الجواب فيه ﴿ وأما المسئلة الثالثة ﴾ وهى اضمار آل لوط في الاعراف حيث قال إلا أن قالوا اخرجوهم واظهاره فى سورة النمل لما قال اخرجوا آل لوط من قريتكم ﴿ والجواب عنه ﴾ أن يقال ان السورتين مكيتان وموجب هذا الاضمار والاظهار أن يكون ماجاء فيه الاظهار نازلا قبل ماجاءفيه الاضمار فلما أظهر في الآية المنزلة قبل اعتمد في القصة التى هى عند ذكرهم على الاضمار الذى أصله أن يكون بعد تقدم الذكر ﴿وأما المسئلة الرابعة﴾ وهى الا امرأته كانت من الغابرين في سورة الاعراف وفي سورة النمل إلا امرأته قدرناها من الغابرين ﴿ فالجواب عنه ﴾ ما يدل عليه الجواب على المسئلة الثالثة وهو ان هذه القصة فى سورة النمل نازلة قبل القصة فى سورة الاعراف بدليل الاضمار والاظهار واذا بنينا على هذا فان قوله إلا امرأته قدرناها من الغابرين أى كتبنا عليها أن تكون من الباقين فى القرية الهالكين مع أهلها فلما ذكر فى الآية المنزلة أولا أحال في الثانية على الاولي فى البيان فقال كانت من الغابرين أى فى تقدير الله الذي قدره لها وأخبر فيما قبل عن حكمه عليها ﴿وأما المسئلة الخامسة﴾ فعن قوله في سورة الاعراف أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين وقال فى سورة النمل أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ﴿ فالجواب عنها ﴾ مابينا وهو أن ذكر قصة لوط وقومه نزل القرآن به قبل ذكره فى سورة الاعراف وتبكيتهم على الفاحشة وتعظيم أمرها وفحشهم فيها قبل الاخبار عن سبقهم اليها فكان قوله وأنتم تبصرون أى لاتتساكون بها لانهم كانوا في مجالسهم لايتحاشون عنها وقيل وأنتم تبصرون فحشها وشناعة قبحها وهذه صفة ترجع الى الفعلة نفسها ثم انهم لم يسبقوا

اليها كما قيل في الخبر ماروي ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وهذا وصف حقه أن يجيء بعد توفية الفاحشة حق وصفها في نفسها فأخر ذكره الى الحكاية الثانية لهذه القصة وقد خاطبهم لوط عليه السلام بذلك وبأكثر منه في مقامات انكاره عليهم ودعائه لهم ﴿ وأما المسئلة السادسة ﴾ فمن اختلاف الحكيات اذ كان في سورة الاعراف والنمل فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم وأخرجوا آل لوط وقال في سورة العنكبوت فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ﴿ الجواب ﴾ عن ذلك ان هؤلاء لما كرر عليهم لوط عليه السلام الانكار وأعاد اليهم الاعذار والانذار قال في موقف ماحكاه الله تعالى فكان جوابهم له في ذلك الموقف ماذكره الله تعالي والجواب الثاني وان خالف الجواب الأول فهو من جهتهم واذا خالفوا بين الاجوبة تناولت الحكاية مختلفها على انه لو كان كل ذلك في موقف واحد لكان جائزا أن يكون جواب طائفة منهم ماذكر أولا وجواب طائفة أخرى ماذكر ثانيا وكل من الطائفتين قومه ..فاذا قيل ما كان جواب قومه أي بعض قومه فاذا قاله بعض ورضي به الآخرون فكلهم قائلون أو في حكم القائلين فلا يقدح ماجاء من اختلاف أجوبتهم في الآيات التى نزلت في هذه القصة على ما يظنه المعترض وانما يتعلق بمثله من جهل الأنبياء عليهم السلام مواقفها ولم يعرف اللغات ومصارفها وهذا كثير في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وحكايتها في هذه السورة وغيرها مما تقف عليه إن شاء الله تعالي

﴿ الآية الخامسة عشرة من سورة الاعراف تشتمل علي ثلاثة مسائل ﴾

قوله تعالى ﴿ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات

فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾
وقال في سورة يونس﴿ ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات
فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾
﴿ للسائل أن يسأل ﴾ عن اختلاف ما اختلف من الآيتين المتشابهتين
واختصاص ما في سورة الاعراف بسقوط ـ به ـ من قوله تعالي فما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ثم قال كذلك يطبع الله علي قلوب الكافرين
وأثبت ـ به ـ في سورة يونس وهو بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على
قلوب المعتدين﴿ والجواب ﴾ عن ذلك ان سقوط به من قوله كذبوا هو
للبناء على ماجعل صدرا لهذه الآيات التى نزلت في الترغيب والترهيب
وهو ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون فقوله ولكن كذبوا لم يذكر
له مفعول وانساقت الآيات بعد التحذير المتوالي بقوله أفأمن أهل القرى أن
يأتيهم بأسنا ثم ختمت بقوله تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد
جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل فالمكذبون
هنا هم المكذبون في قوله ولكن كذبوا يدل [1] علي ذلك بأن أجرى
مجراه في حذف ماتعدى اليه ومايتعدى اليه كذب اذا كان غير مميز يتعدى
اليه بالباء كقوله كذبوا بآياتنا واذا كان من المميزين فانه يتعدى اليه
بغير حرف اضافة نحو كذبه كقوله تعالى وكذبوا رسلي فالمحذوف في هذا
المكان هو المفعول به وهو الذى يتعدى اليه الفعل بالباء ..وأمّا قوله في
سورة يونس فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل واثبات المفعول به هنا

---

(١) نسختان فدل

فلأن قبله قصة نوح وهي واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامى ثم بعده فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك ثم بعده وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فجاء كذب امام القصة المبنية على القصة التي قبلها متعدية الى ما وجب لها(في موضعها[١] ونوعى تعديها) فلما وقعت الاشارة في قوله ثم بعثنا من بعده رسلا الي قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الى تكذيب من كذب من قوم نوح اختير تعدية الفعل المكرر علي الفعل الاول ليعلم ان هذا الفعل معنى به ما تقدم فلما جاء ذاك متعديا جاء هذا مثله وكما[٢] لم يجيء فى الآية التى فى سورة الاعراف متعديا لم يجيء فيما بنى عليه الا محذوف الفعل ﴿ وأما الجواب ﴾ عن اختلاف قوله كذلك يطبع الله وكذلك نطبع على قلوب المعتدين فلأن الآية في سورة الاعراف مبنية علي ما تقدمها من الآيات[٣] وهي تنتقل من الاضمار الى الاظهار ومن الاظهار الى الاضمار أعني فى إخبار الله عز وجل عن نفسه كقوله أفأمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا أوان يأتيهم بأسنا ضحى .. وقوله بعده أفأمنوا مكر الله فأظهر ولم يقل أفأمنوا مكرنا فلما وقع هذا الاخبار في هذا المكان ثم جاء بعده أو لم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فاجرى الفعل علي اضمار فاعله ثم عاد الى ذكر الطبع في الآية الأخرى كان إجراؤه علي اظهار الفاعل أشبه بما بنيت عليه الآيات المتقدمة من الانتقال من الاضمار الى الاظهار المختار استعماله فى هذا المكان.. واما الآية التى فى سورة يونس

(١) كذا فى نسخة الكتبخانة ..وأما المقدسية فسقطت الجملة الواقعة بين الدائرتين

(٢) المقدسية ولما لم يجيء (٣) فى غير المقدسية الآية

وهي كذلك نطبع على قلوب المعتدين فلأن ما قبلها جار على حد واحد وسنن لاحب وهو اضمار الفاعل من حيث أخبر في قصة نوح قبله وهي من مبتدأ العشر واتل عليهم نبأ نوح إلى أن قال فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الي قومهم فقال بعده كذلك يطبع الله ولم يتقدمه مايخالف هذا المنهج ولم يبن على الطريقين فاتبع الأول وحمل عليه فى اضمار الفاعل فيه ﴿والمسئلة الثالثة﴾ في هذه الآية قوله في سورة الاعراف على قلوب الكافرين وفي يونس على قلوب المعتدين ﴿والجواب﴾ عنها ان الآيات التى قد تقدمت في سورة الاعراف تضمنت وصف الكفار لانه لايحذر عذاب الله ومجيئه بياتا أو ضحي الا الكفار ثم اطلاق الخاسرين لا يكون إلا فى الكافرين فلما وقع التصريح بصفات الكفر صرح به عند ذكر الطبع ولما كانت الآية في سورة يونس قد تقدمها في وصف الكفار ما كان كالكناية عنهم [1] وقال فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وما كل منذر كافر كنى عن الكفار بعده عند ذكر الطبع بالمعتدين وما كل معتد كافر فمخالفة كل واحدة من الآيتين للأخرى انما هي لموافقة ماقبل كل واحدة منهما من طرح الكلام وقصد الالتئام

﴿ الآية السادسة عشرة من سورة الأعراف ﴾

قوله تعالى فى قصة موسى ﴿إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقي عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم

(١) نسخة .. ماكان كانيابه عنهم

فماذا تأمرون قالوا ارجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا ياموسى إما ان تلقى واما أن نكون نحن الملقين﴾ وقال فى سورة الشعراء مكان قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم ﴿ قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل فى هذه القصة عن مسائل .. أولها قوله في سورة الأعراف قال الملأ من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم من أرضكم ثم قال في سورة الشعراء قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم فاخبر في الاولى ان قائل ذلك الملأ من قومه وفي الثانية ان فرعون هو القائل ذلك لملائه وهذا اختلاف ظاهر فى الخبرين ﴿الجواب﴾ أن يقال ان قول الملاء فيما حكاه الله تعالى في سورة الاعراف قول فرعون ورؤساء قومه أدواعنه ما كان من قوله الي عامة أصحابه والدليل على ان ذلك قوله وانهم فيه مؤدو رسالة عنه قول العامة فى جوابه أرجه وأخاه فكان هذا خطابا لفرعون ولم يكن للملأ اذ لو كان لهم لقيل أرجوه وأخاه واذا كان كذلك لم يخالف ما قاله فى الشعراء من انه قال للملأ حوله بل يكون هو البادى بذلك لمن حوله ليؤدوا الى من بعد عنه قوله .. فان قال فكيف اختصت سورة الاعراف بحكاية ما قال الملأ وسورة الشعراء بما قال فرعون .. قيل ان أول من رد قول موسى عليه السلام فرعون ثم مالأه عليه ملأه وهو ماحكاه الله تعالى فى سورة الشعراء فاقتضى[1] حاله

(١) فى نسختين فاختص

حيث أخبر عنه بما قاله (ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين) الى أن انتهت الآيات الى القصة المودعة ذكر السحرة فقال فرعون للملأ حوله ما أدوه عنه الى غيرهم وسورة الشعراء مكية كسورة الأعراف وترتيب الاقتصاص يقتضى أن يكون قبلها وفى السورة الثانية أخبر عما أداه ملأه الى الناس الذين أجابوه بأن أرجه وأخاه فكان قول فرعون للملأ حوله سابقا قول الملأ الذين أدوا الى غيرهم فذكر حيث قوله قصد اختصاص أول مادعاه[1] موسي عليه السلام الى طاعة الله عز وجل

﴿ الآية السابعة عشرة من سورة الاعراف ﴾

قوله تعالى ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ وقال في سورة الشعراء ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل فيقول ذكر في الاولي انه قال يريد أن يخرجكم من أرضكم فحسب وذكر في الثانية انه قال يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره والقول واحد فلماذا اختلف ﴿الجواب﴾ أن يقال لما أسند الفعل في الاولى الى فرعون وحكى ما قاله وانه قال للملأ من قومه ان هذا لساحر عليم وكان أشدهم تمردا وأولهم تجبراً وأبلغهم فيما يرد به الحق كان في قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم ذكر السبب الذى به يصل الي الاخراج وهو بسحره فاشبع المقال بعد قوله ان هذا لساحر عليم بان ذكر انه يريد اخراجكم بسحره وأما الموضع الذى لم يذكر فيه بسحره فهو ماحكى من قول الملأ فى سورة الاعراف حيث قال قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن

(١) في نسختي الكتبخانة والمقدسية ما ادعاه

يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون والملأ لم يبلغوا مبلغ فرعون فى ابطال ما أورده موسى عليه السلام ولم يجفوا فى الخطاب جفاه فتناولت الحكاية ماقاله فرعون على جهته بتكرير لفظ السحر من لفظه بعد ما أخرجه فى صفته حيث قال ان هذا لساحر عليم .. فان قال قائل فقد ذكر الله فى سورة طه عن الملأ انهم قالوا (ان هذان لساحران يريدان أن يخرجا كم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) قيل له قوله (فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران) خبر عن فرعون وملائه فلما كان في جملتهم غلب أمره على أمرهم ألا ترى ان ابتداء ذلك (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) وهذا خبر عن فرعون ثم قال بعده (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لانخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة) وهو خطاب لفرعون ومن تبعه ويجوز أن يكون له وحده على مايخاطب به الملوك من لفظ الجمع كما يخبرون بمثله[1] عن أنفسهم فذكر قوله بسحره فيما حكاه من كلام فرعون فلذلك خلا منه الموضع الذى كان الخبر فيه عن الملأ من قومه فاعلمه ان شاء الله تعالى

الآية الثامنة عشرة من سورة الاعراف

قوله تعالى ﴿ قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين ﴾ وقال فى سورة الشعراء ﴿ قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين ﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل فيقول لاى معنى اختلف الالفاظ فى الآيتين فكان في الاولى أرسل وفي الثانية وابعث وهل جاز أحدهما مكان الآخر ﴿ الجواب ﴾ أن يقال اللفظتان

---

(١) نسخة به

نظيرتان تستعمل إحداهما مكان الاخرى وقد جاء[1] بعث الرسول وأرسله معاً الاأن أرسل يختص بما لايختص به بعث لان البعث لايتضمن ترتيباً والارسال أصله تنفيذ من فوق الى أسفل وأرسل في سورة الاعراف حكاية قول العامة للملأ المؤدين كلام فرعون اليهم فلما تعالى عليهم ولم يخاطبهم بنفسه كان قولهم في جواب ما استأمرهم فيه واستشارهم في فعله على الترتيب الذى رتب لهم فى الخطاب فكانت الحكاية باللفظ الذي يفخم به المخاطب كما فخم فى تحميله ملأه أن يؤدوا كلامه الي من دونهم ولما تناولت الحكاية فى سورة الشعراء ماتولاه فرعون بنفسه من مخاطبة قومه باسقاط الحجاب بينهم وبينه وتسوية قدرهم بقدره لقوله قال للملأ حوله كان هذا الموضع مخالفا للموضع الأول في مقتضى الحال من التفخيم فخص باللفظ الذى ليس فيه ما فى الاول من التعظيم وهو قوله ابعث

—﴿ الآية التاسعة عشرة من الاعراف ﴾—

قوله تعالى بعد ماقال يأتوك بكل ساحر عليم ﴿وجاء السحرة فرعون قالوا أئن لنا لأجراً﴾ وقال فى سورة الشعراء بعد سحار عليم ﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلماجاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجراً ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول المحكى فى الشعراء أكثر من المحكى فى سورة الأعراف بعد قوله يأتوك بكل سحار عليم الى ان انتهى قوله تعالي الى ماهو خبر عن السحرة من قولهم لفرعون أئن لنا لأجرا ﴿ والجواب ﴾ مادللنا عليه من ان مافى سورة الشعراء اشد اقتصاصا للاحوال التي كانت بين موسى وبين عدوه

(١) نسخة يقال بعث

فرعون لاشتماله علي ذكر ابتداء مبعثه اليه حيث قال (واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون) فجاء في هذه الآيات التى فى ذكر السحرة من بيان ما جرى ما لم يجىء فى سورة الاعراف فمنه قوله فجمع السحرة لميقات يوم معلوم كما قال تعالى في سورة طه (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى) فهذا قوله فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وفى سورة الاعراف لما لم يبدأ القصة فيها بذكر مبعثه عليه السلام وابتداء أمره لم تكن مبنية على ما بينا عليه من اقتصاص معظم حاله وأول ما كان من مبعثه حيث يقول (اذهب الى فوعون انه طغى قال رب اشرح لى صدرى) فلما كان القصد في سورة الاعراف ذكر الجمل من بعض ما كان ذكر تفصيله كان الاقتصار بعد ذكر ارسال الحاشرين الي السحرة ومجيئهم يغنى عن تواعدهم ليوم يظهرون فيه حيلهم وتمويهاتهم اذ معلوم ان مثل ذلك الخطب المظيم[1] وحشر العدد الكثير ينتهى الى يوم يتواعد اليه مشهود وعلى هذا بنى الكلام فى أكثر متشابه هذه القصة

﴿ الآية العشرون من سورة الاعراف ﴾

قوله تعالي فى الآية التى قبل ﴿ وجاء السحرة فرعون قالوا أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ﴾ وقال فى سورة الشعراء ﴿ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً ان كنا نحن الغالبين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول كيف اختلفت الآيتان وكيف جاز وجاء السحرة فرعون قالوا وحق الكلام

---

(١) فى نسخة الجسيم

ان يكون فى قالواواو أوفاه نحـو جاء السحرة فرعون فقالوا أئن لنا لاجراً أوقالوا ﴿ الجـواب ﴾ ان يقال لما تقدم فى سورة الشعراء ما شرحه أكثر وما فى سورة الاعراف أوجز واخصر كان قوله فى الاعراف وجاءالسحرة فرعون بمعنى ما كان بازائه فى سورة الشعراء فلما جاء السحرة فلم يحتج فى جواب لما الى فاء ولا واو وكذلك هنا في سـورة الاعراف لـما قصد هذا المعنى دل بحذف العاطف على هذا القصد فـكأنه قال فلماجاءالسحرة فرعون قالوا أئن لنا لأجراً

﴿ الآية الحادية والعشرون ﴾

قوله تعـالى في سورة الاعراف ﴿ قالوا أئن لنا لاجراً ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين ﴾ وقال في سورة الشعراء ﴿ قال نعم وانكم اذا لمن المقربين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن زيادة اذا في سـورة الشعراء وخلو سورة الاعراف النها ﴿ والجواب ﴾ أن معنى قوله اذاً جواب وجزاء وكان من قول فـرعون لهم ان غلبتم فجـزاى أن أجازيكم باعلاء رتبتـكم وتقريب منزلتكم فلأجـل ذلك أفعل هذا بكم فاختصت سورة الشعراء بهذا دون غـيرها لانها موضع بنى على فضـل اقتصاص لمـا جري لم يبن غيرها عليه من نحو ما تقدم وما يجيء بعد

﴿ الآية الثانية والعشرون من الاعراف ﴾

قوله تعالى ﴿ قالوا ياموسى إما ان تلقى وإما ان نكون نحن الملقين ﴾ وقال في سورة طه ﴿ قالوا ياموسي إما ان تلقى وإما أن نكون أول من ألقى ﴾ ﴿ للسـائل ﴾ أن يسئل عن اختلاف الحكى في الموضعين مع ان ذلك في شيء واحد ﴿ والجواب ﴾ ان المقصود معني واحـد واختـير في سورة الأعراف واما

ان نكون نحن الملقين لان الفواصل قبله علي هذا الوزن واختير في سورة طه واما ان نكون أول من ألقى ومثله قوله فألقي السحرة ساجدين فى سورة الاعراف وسورة الشعراء لتكون الفاصلة فيها مساوية للفواصل قبلها وبازاء ساجدين قوله فألقى السحرة سجداً فى سورة طه كذلك ومثله قوله قالوا آمنا برب العالمين رب موسي وهارون فى السورتين للفواصل التى حملت هذه عليها وقال في سورة طه (قالوا آمنا برب هارون وموسى) فقدم هارون ليكون موسي فاصلة مثل الفواصل المتقدمة فهذا ونحوه مما يراعى فى الفواصل ألا ترى الي قوله تعالى (وأطعنا الرسولا وأضلونا السبيلا) فزيدت الالف لا للبدل من التنوين اذلا تنوين مع الالف واللام وانما ذلك للتوفقة بينهما وبين الفواصل التى قبلهما وبعدهما نحو تقتيلا وتبديلا وقريبا وسميرا وبصيرا وبعدهما كبيرا ووجيها وسديداوعظيما

﴿ الآية الثالثة والعشرون من الاعراف ﴾

قوله تعالي ﴿ قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ﴾ وقال فى سورة الشعراء مثله وقال في سورة طه ﴿ قالوا آمنا برب هارون وموسى ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول لم كررت رب فى السورتين ولم تكرر فى سورة طه انما قال قالوا آمنا برب هارون وموسى ﴿ الجواب ﴾ أن يقال اذا قيل رب العالمين فقد دخل فيهم موسي وهارون وهما دعوا الى رب العالمين لما قالا انا رسولا رب العالمين إلا أنه ذكر فى السورتين رب موسى وهارون ليدل بتخصيصهما بعد العموم علي تصديقهما بما جاآ به عليهما الصلاة والسلام عن الله تعالى فكأنه قيل آمنا برب العالمين وهو

الذى يدعو اليه موسي وهارون وأما فى سورة طه فلم يذكر رب العالمين لانه‌ما كان الكلام يتم به آية كما تم فى السورتين فيكون مقطع الآية فاصلة مخالفة للفواصل التى بنيت عليها فواصل سورة طه فقال تعالي آمنا برب هارون وموسي وربهما هورب العالمين وكان القصد حكاية المعنى لاأداء اللفظ على جهته بما دللنا عليه قبل

﴿الآية الرابعة والعشرون من سورة الاعراف﴾

قوله تعالى ﴿قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم﴾ وقال في سورة طه والشعراء ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسئل عن موضعين من هذه الاية.. احدهما اظهاره إسم فرعون لعنه الله في سورة الأعراف فى هذا اللفظ واضماره له فى مثله من سورتى طه والشعراء..والثانى قوله آمنتم به وقال فى الموضعين الآخرين آمنتم له ووجه اختلافهما ﴿والجواب﴾ عن الموضع الاول وهو اظهار الاسم فى سورة الأعراف واضماره فيما سواها ان الذكر العائد الي فرعون بعد فى سورة الاعراف لانه جاء فى الآية العاشرة من الآية التى أضمر فيها ذكره وهي قوله قال نعم وإنكم لمن المقربين وجاء في الآية العاشرة من هذه السورة قال فرعون آمنتم به ولم يبعد هذا الذكر فى الآيتين اللتين في سورة طه والشعراء لان فرعون مذكور في سورة طه في جملة قومه الذين أخبر عنهم بقوله قالوا أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى وبعده فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسي ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى وهذا خطاب لفرعون وقومه وضميرهم منطو على ضميره الي قوله فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا والذكر في قوله قال آمنتم له انما هو فى السابع من الآى التى جري

ذكره فيها وكذلك في سورة الشعراء لم يبعد الذكر بعده في سورة الاعراف ألا ترى ان آخر ما ذكر فيما اتصل بهذه الآية قوله تعالى (قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) وذكره بعد ذلك في الآية الثامنة من الآية التى جرى ذكره فيها فلما بَعُدَ الذكر في سورة الاعراف خلاف بُعْدِهِ في السورتين إذ كان فى احداهما فى السابعة وفى الاخرى فى الثامنة وهى في الاعراف في العاشرة أعيد ذكره الظاهر لذلك ﴿والجواب﴾ عن السؤال الثانى وهو قوله آمنتم به في سورة الاعراف وآمنتم له في السورتين الأخريين هو أن الهاء فى آمنتم به غير الهاء في آمنتم له وكل واحدة تعود الى غير ما تعود اليه الأخرى فالتى فى آمنتم به لرب العالمين لانه تعالى حكى عنهم قالوا امنا برب العالمين وهو الذى دعا اليه موسى عليه السلام.. وأما الهاء فى آمنتم له فلموسي عليه السلام والدليل على ذلك أنها جاءت فى السورتين وبعدها فى كل واحدة منهما انه لكبيركم الذى علمكم السحر فالهاء فى أنه هى التى فى آمنتم له ولا خلاف ان هذه لموسى عليه السلام والذى جاء بعد قوله آمنتم به قوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة أى اظهاركم ما أظهرتم من الايمان برب العالمين وقع على تواطؤ منكم أخفيتموه لتستولوا على العباد والبلاد ويجوز أن يكون الهاء فى آمنتم به ضمير موسى عليه السلام لانه يجوز أن يقال آمن بالرسول أى أظهرتم تصديقه وأقدمتم على خلافى قبل أن آذنت لكم فيه وهذا المكر مكرتموه وسرأسررتموه لتقلبوا[1] الناس على فاقتضى هذا الموضع الذي ذكر فيه المكر انكار الايمان به فأما الايمان له فى الموضعين الآخرين فاللام تفيد معنى الايمان من أجله ومن أجل ما أتى به من الآيات فكأنه قال آمنتم برب

(١) فى نسخة لتفتنوا.

العالمين لاجل ماظهر لكم على يدى موسى عليه السلام من آياته وفى الموضع الذى ذكر فيه من أجله وعبر عنه باللام هو الموضع الذى قصد فيه الى الاخبار بأنه كبيركم الذى علمكم السحر فلذلك خص باللام والأول خص بالباء وقد تدل اللام على الاتباع فيكون المعنى اتبعتموه لانه كبيركم فى عمل السحر وقد يؤمن بالخبر من لا يعمل عليه ولا يتبع الداعى اليه

﴿ الآية الخامسة والعشرون من سورة الاعراف ﴾

قوله تعالى ﴿فسوف تعلمون﴾ وقال فى سورة طه ﴿ انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلاقطعن أيديكم ﴾ وقال فى سورة الشعراء ﴿انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن أيديكم ﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل فيقول قال فى الاعراف فسوف تعلمون ولم يقل فى طه ولم أدخل الفاء فى قوله فلاقطعن وأما فى سورة الشعراء فانه أتى بسوف تعلمون مع اللام فقال فلسوف تعلمون فما وجه اختلاف هذه واختصاص بعض بمكان دون غيره ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان قوله تعالى فسوف تعلمون من الوعيد المبهم المعرض به أى فعلت بجهل ماتعرف من بعد نتيجته وطرحت بذر شر عند حصده تعلم نهايته وهذا النوع من الوعيد أبلغ من الافصاح بعذره على انه قد قرن اليه بيانه وهو لأقطعن أيديكم الآية فنطق القرآن بحكاية التعريض بالوعيد والافصاح بالتهديد معا . فاما اختصاص سورة الشعراء بقوله فلسوف وزيادة اللام فلتقريب ماخوفهم به من اطلاعه عليهم وقربه منهم حتى كأنه فى الحال موجوداً واللام للحال والجمع بينها وبين سوف التى للاستقبال انما هو لتحقيق الفعل وإدنائه من الوقوع كما قال تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فجمع بين اللام وبين يوم القيامة كما جمع بينها وبين سوف على ما قاله تعالى وما أمر

الساعة إلا كلمح البصر أوهو اقرب .. وقد بينا ان سورة الشعراء اكثر اقتصاصاً لاحوال موسى عليه السلام فى بعثه وابتداء امره وانتهاء حاله مع عدوه فجمعت لفظ الوعيد المبهم مع اللفظ المقرب له المحقق ووقوعه الى اللفظ المفصح بمعناه ثم وقع الاقتصار فى السورة التى لم يقصد فيها من اقتصاص الحال ماقصد فى سورة الشعراء علي ذكر نقص مافي موضع البسط والشرح وهو التعريض بالوعيد مع الافصاح به ..فاما فى سورة طه فانه اقتصر فيها على التصريح بما اوعدهم به وترك فسوف تعلمون وقال فلأقطعن أيديكم إلا انه جاء بدل هذه الكلمة ما يعاد لها ويقارب ماجاء فى سورة الشعراء التى هى مثلها فى اقتصاص أحواله من ابتدائها الي حين انتهائها وهوقوله بعده ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى. فاللام والنون فى لتعلمن للقسم وهما لتحقيق الفعل وتوكيده كما اتى باللام في قوله فلسوف تعلمون لادناء الفعل وتقريبه فقد تجاوز ما فى السورتين المقصود فيهما الى اقتصاص الحالين من إعلاء الحق وازهاق الباطل

﴿ الآية السادسة والعشرون من سورة الاعراف ﴾

قوله تعالي ﴿ثم لاصلبنكم﴾ وقال فى السورتين طه والشعراء ﴿ولاصلبنكم﴾ بالواو ﴿ للسائل ﴾ ان يسأل عن اختصاص ما فى سورة الاعراف بثم والأخريين بالواو ﴿والجواب﴾ أن يقال إن السورتين اللتين جاءت الواو فيهما بهذا اللفظ منهما هما المبنيتان على الاقتصاص الاكثر والبسط الأوسع والواو أشبه بهذا المعنى لانه يجوز[1] أن يكون مابعدها ملاصقا لما قبلها كالتعقيب

(١) نسخة لجواز

الذى يفاد بالفاء ويجوز أن يكون متراخيا عنه كالمهلة التى يفادبثم لابل يجوز أن يكون ما بعدها مقدماً على ماقبلها ومجامعاً لها إذ هى موضوعة للجمع ولا ترتيب فيها فكانت الواو أشبه بهذين المكانين وثم تختص بأحد المواضع التى يصلح الواو لجميعها فلما كانت مقتصراً بها علي بعض ماوضعت له الواو استعملت حيث اختصرت الحال فاقترن بكل من المكانين ما كان أليق بالمقصود فيه فلذلك خصت ثم فى سورة الاعراف والواو فى السورتين الأخريين والله أعلم

﴿الآية السابعة والعشرون من سورة الأعراف﴾

قوله تعالى ﴿قالوا انا الى ربنا منقلبون﴾ وقال في سورة الشعراء ﴿قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن زيادة قوله لا ضير علي ماذكر فى سورة الاعراف واختصاص تلك بها دون هذه ﴿والجواب﴾ ان يقال انهم قابلوا وعيده بما يهونه ويزيل ألمه من انتقالهم الى ثواب ربهم مع المتحقق من منقلب معذبهم فجاء فى سورة الشعراء وهى التي قصد بها الاقتصاص الاكبر لا ضير أى لا ضرر علينا فان منقلبنا الى جزاء ربنا فننعم أبداً وتعذب أنت أبداً فالضرر الذى تحاول انزاله بنا يكون بك نازلا وعليك مقيما ونحن نألم ساعة لا يعتد بها مع دوام النعيم بعدها فكانه لم يلحقنا ضرر وفى سورة الاعراف وقع الاقتصار على قوله انا الي ربنا منقلبون وفيه كفاية وابانة عن هذا المعنى ودلالة نبأ علي ماقصد فيها مما بين وشرح فيما سواها

﴿ الآية الثامنة والعشرون من سورة الاعراف ﴾

قوله تعالى ﴿قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ وقال في سورة يونس ﴿ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ماشاء الله لكل أمة أجل إذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن الآيتين وتقديم النفع علي الضرفي الأولي وتأخيره عنه فى الاخرى وهل ذلك لفائدة اوجبت فى الاختيار تقديم المقدم وتأخير المؤخر ﴿والجواب﴾ ان يقال ان الاولى بعد قوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى وبعده قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون فكان معنى قوله قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا لا أملك تعجيل ثواب ولا عقاب لها الا ماملكنيه الله فلا أملك الا ماملكت ولا أعلم إلا ماعلمت والذى تسألون عنه اخفى الغيوب وانا لا اعلم منها ماهو اقرب الى رجم الظنون فكيف ما يخص به علام الغيوب ولو علمت الغيب لاستكثرت فى السنة المخصبة مايدفع كلب المجدبة وقيل لاستكثرت من العمل الصالح الذي اتحقق انه ارفع الاعمال عند الله تعالى درجة لان من علم الغيب وعرف الافضل عند الله لم يتركه الي ماهو دونه وقوله مامسنى السوء اى مابى من جنون كما زعم المشركون وقيل الفقر لاستكثارى من الخير الذى يتدارك به الفقر عند شدة الزمان وأما الآية فى سورة يونس فانها فيما كان يستعجله الكفار من عذاب الله تعالى وقبلها .. وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد علي مايفعلون أى ان أريناك بعض ماتتوعد به هؤلاء الكفار من

العذاب في عاجل الدنيا حتى تراه نازلا بهم في حياتك أو أخرنا ذلك عنهم الى بعد وفاتك ووفاتهم فان ذلك لايفوتهم لان مرجعهم الي حيث يجازى فيه العباد ولا يملك بعضهم أمر بعض ويقول الكفار متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لاأملك لنفسى ماوعدكم الله من هذا العذاب ولا ان أدفع عنكم سوء العقاب كما لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ماشاء الله أن يملكنيه منهما فتقديم ضر على نفع في هذه الآية بخروجها على ذكر العذاب الذى قال الله تعالى فيه بعدها أثمّ اذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون آثم ان اللفظة التى تزاوج لفظة الضر هى لفظة النفع ومعناه فى أنه لا يملك الا مايملك الله منه عباده واحد[1] فلذلك اتبع ذكره ذكره

﴿ الآية التاسعة والعشرون من سورة الاعراف ﴾

قوله تعالى ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم﴾ وقال في سورة حم السجدة ﴿واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل فيقول لاى معنى جاء في الاية من سورة الاعراف سميع عليم على لفظ النكرة وفى سورة حم السجدة معرفتين بالالف واللام مؤكدتين بهو ﴿والجواب﴾ أن يقال ان الاول وقع في فاصلة ماقبلها من الفواصل أفعال جماعة أو اسماء مأخوذة من الافعال من نحو قوله فتعالى الله عما يشركون وبعده يخلقون وينصرون ويبصرون والجاهلين فأخرجت هذه الفاصلة بأقرب ألفاظ الاسماء المؤدية معنى الفعل أعنى النكرة وكان المعنى استعذ بالله انه يسمع استعاذتك ويعلم استخارتك والتى فى سورة حم السجدة قبلها فواصل يسلك بها طريق الاسماء وهي مافى قوله

(١) هكذا في النسخ الثلاثة

تعالى ادفع بالتي هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذوحظ عظيم فقوله ولى حميم ليس من الاسماء التى يراد بها الافعال وكذلك قوله انه لذو حظ عظيم ليس في الحظ معنى فعل فاخرج سميع عليم بعد الفواصل التى هى على سنن الاسماء على لفظ يبعد عن اللفظ الذى يؤدى معنى الفعل فكانه قال إنه هو الذي لايخفى عليه مسموع ولامعلوم فليس القصد الاخبارعن الفعل كما كان فىالأولى انهيسمع الدعاء ويعلم الاخلاص فهذا فرق مابين المكانين انقضت سورة الاعراف عن تسع وعشرين آية فيها ثمان وثلاثون مسئلة

﴿ سورة الأنفال ﴾

قد مر فى سورة البقرة وآل عمران من الآيات التى تشبهالآياتالتى من هذه السورة وهى الآية التى نذكرها فيها قد سبقت نظيرتها فى سورة الاعراف فذكرناها فى هذا المكان وكرهنا اخلاء هذه السورة من تخصيصها بما خصصنا به امثالها

﴿ الآية الأولي منها ﴾

قوله تعالي ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ وقال فى سورة الاعراف ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ للسائل أن يسأل فيقول ان الخبر فىالموضعين عن الكفار فما بال أحدهما اختص بقوله بما كنتم تكفرون والآخر اختص بقولهبما كنتم تكسبون ﴿والجواب﴾ أن يقال ان التى فى سورة الاعراف خبر عن قوم ذكروا قبل هذهالآية فى قوله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أى حظهم من العذاب المكتوب عليهم بقدر ما كسبوه من سيآت الأعمال

حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم أى يستوفونهم من بين غيرهم ليسوقوهم الى النار وهذا عن الحسن وبين ذلك بعده بقوله قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون فأخبر ان أخراهم تسأل الله أن يضعف العذاب على أولاهم لانهم ضلوا وأضلوا فيستحقون العقاب على قدر الاكتساب فلذلك طلبوا أن يكون عذابهم ضعف عذاب هؤلاء لانهم فيما كسبوا بضلالهم في أنفسهم وإثمهم فيما اكتسبوا من اضلال غيرهم وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل أى أنتم مثلنا فى الضلال لم يكن لكم علينا فضل في تركه أو التقلل منه فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون أى يقول الله تعالى ذلك ذوقوا العذاب بقدر ما كنتم تكسبون فهذا موضع يقتضى ذكر لاكتساب وما يجب علي قدره من العقاب .. واما قوله فى هذه السورة فى ذكر الكفار الذين قال الله تعالي فيهم وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية أى صفيرا وتصفيقا لم تكن صلاتهم تسبيحا وتمجيداً وخضوعا لله تعالى كما يفعل المؤمنون فيقال لهم فى الآخرة ذوقوا العذاب بكفركم ولم تتقدم هذه الآية ما يوجب قدراً من العذاب دون قدر حتى يقال ذوقوا من العذاب بقدر كسبكم له كما كان في الآية الأولي وإنما ذكر كفرهم من حيث قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وذلك كله في كفار قريش فلذلك جاء فيه فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون دون ما كنتم تكسبون

﴿ الآية الثانية من هذه السورة ﴾

قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض ﴾ وقال فى سورة براءة ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول ما الذى قدم له في الآية الاولى ذكر أموالهم وأنفسهم على قوله في سبيل الله ثم ماله قدم ذكر في سبيل الله فى سورة براءة على ذكر أموالهم وأنفسهم ﴿ والجواب ﴾ ان يقال ان الآية الاولى فى سورة الانفال عقيب ما أنكره الله تعالى على من قال لهم (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما أسروا المشركين ولم يقتلوهم طمعاً فى الفداء فقال الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) أى فيما أخذتم من هؤلاء الاسرى من الفداء ثم قال الله تعالى لما غفر لهم ما كان منهم من ترك التقل الي الاسر (فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً) أى استمتعوا بما نلتم من أموال المشركين وبما أخذتم من فدائهم فعقب ذلك بهذه الآية التى مدح فيها من أنفق أمواله فى سبيل الله لا من يجاهد طلباً للنفع العاجل فقال (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) فقدم بأموالهم وأنفسهم على قوله في سبيل الله ليعلموا ان ذلك يجب ان يكون أهم لهم وأولى بتقديمه عندهم صرفا لهم عما حرصوا عليه من فائدة الفداء ولم تكن كذلك الآية التى فى سورة براءة لانها بعد ما يوجب تقديم قوله في سبيل الله على ذكر المال لانه قال تعالى (أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ثم قال في ابطال ما أتى به المشركون من عمارة المسجد

الحرام وسقاية الحاج مع المقام على الكفر (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله) فكان المندوب اليه في هذه الآية بعد الايمان بالله الجهاد في سبيله فقال بعده مادحاً لمن تلق بالطاعة أمره (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله) ثم ذكر بأموالهم وأنفسهم لما قدم ذكر ما اقتضى الموضع تقديمه وان يجعل أهم اليهم من غيره نخالف هذا المكان قوله في سورة الانفال فقدم فيه ما أخر هناك لذلك فاعلمه وبالله التوفيق انقضت سورة الانفال عن آيتين ومسئلتين

﴿ سورة براءة ـ الآية الاولى منها ﴾

قوله عز وجل ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ بعد قوله ﴿ اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ﴾ وقال بعده ﴿ والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ بعد قوله ﴿ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم ﴾ الآية وقال في هذه السورة ﴿ والله لا يهدى القوم الكافرين ﴾ موصولا بقوله ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن تخصيص بعض هذه المواضع [1] بالظالمين وبعضها بالفاسقين وبعضها بالكافرين وهل ذاك لمعنى يخصه ﴿ والجواب ﴾ أن يقال الظالمون في الآية الأولي المراد بهم مشركو العرب الذين قاموا بسقاية الحاج وانفقوا على المسجد الحرام رجاء الثواب مع المقام على الكفر والعصيان فهم لانفسهم بالكفر ظالمون وبعملهم الذى يؤملون الانتفاع به مع مصامة الكفر واضعون الشيء غير موضعه فلما فعل هؤلاء المشركون

(١) نسخة الآيات

ذلك وكان كل مشرك ظالما وكل من وضع شيئا في غير موضعه ظالما وانما يكون غير ظالم اذا اتفق فى حال الاسلام على المسلمين من الحجاج دون الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية عبر عنهم بالظالمين لانطواء هذه الصفة على الكفر وعلي المعنى الزائد بتضييع المال فى حال الشرك والمعنى لا يهديهم الى نيل الثواب الذى له ينفقون وبسببه يعمرون ولا يدلهم علي ثمرة ما يؤملون .. وأما الموضع الثانى وهو (والله لا يهدى القوم الفاسقين) فانه تحذير لمن قال فيهم من المسلمين (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) فعرفهم ان من آثر مراعاة هذه الابواب التى عدها على طاعة الله التى أوجبها من الجهاد فى سبيله فليتربص نازل عقاب الله به وانه بفعله ذلك من جملة الفاسقين وان حكمه حكمهم والله لا يهديهم الى ماأعده للمؤمنين من الثواب لتعرضهم بمخالفة أمر الله تعالى للعقاب فكان ذكر الفاسقين اليق بهذا المكان .. واما الموضع الثالث وهو (والله لا يهدى القوم الكافرين) فانه بعد قوله في وصف الكفار(انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً) وهو ما كان بعض العرب يأتيه من تحليل بعض الأشهر الحرم وتحريم بدله من الشهر الذى ليس بمحرم ليوفى عدة الأربعة فيكون في ذلك تحريم ما حلله الله وتحليل ما حرمه فأخبر الله تعالى ان ذلك زيادة في كفرهم ثم عقبه بوصفهم بأنه لا يهديهم فكان أحق الأوصاف فى هذا المكان لفظة الكافرين التى اقتضاها المعنى والذكر المتقدم في مكانين من الآية والله أعلم

﴿ الآية الثانية من سورة براءة ﴾

قوله تعالى ﴿ يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ وقال فى سورة الصف ﴿ يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول قال الله تعالى فى الآية الاولى يريدون أن يطفؤا نور الله وقال في الثانية ليطفؤا فما الذى أوجب اختصاص الأولى بما اختصت به والثانية باللام دون أن تكون مثل الاولى بأن وهى الأصل في تعدى الارادة اليه ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان الارادة فى الآية الأولى تعلقت باطفاء نور الله بأفواههم واطفاء نور الله انما هو بما حاولوه من دفع الحق بالباطل والحق يسمى نور الله لان حججه وبراهينه تضىء لطالبه فيهتدى بها اليه والباطل هو قولهم بافواههم وهو ما أخبر الله تعالى به قبل عن اليهود والنصارى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم) أى هو قول لاحقيقة له ولا محصول وبمثله لا يدفع الحق وبالافواه لا يطفأ هذا النور كما يطفأ السراج لان هذا النور وان اشبهه فى أنه يهدى ويبين الحق من الباطل فهو بخلافه فى الامتناع من الاطفاء كما يتهيأ ذلك فى السراج والنور يجوز أن تكون الآية المنيرة والحجة الساطعة ويجوز أن يكون المراد به القرآن ويجوز ان يكون المراد به النبي صلى الله عليه وسلم كما قال (انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجا منيراً) فالسراج المنير يسمى نوراً وكل واحد من الثلاثة اذا دفعوه جاز أن يقال حاولوا إطفاءه والخبر عن اليهود والنصاري الذين قال تعالى فيهم (ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا) من قبل أن يشا كلوا بأنبائهم لله ابنا

وشريكا قول من أثبت مع الله آلهة (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لااله الا هو سبحانه عما يشركون) وهذا واضح وتعدى الارادة الى هذا المراد ظاهر وهو وجه الكلام والاصل .. فأما الآية في سورة الصف وتعليق الاراد فيها بالاطفاء مع زيادة الكفر فان للنحويين في ذلك مذهبين لاحدهما ان اللام توضع موضع ان لكثرة مايقال زرتك لتكرمني فاللام لما شهرت بنيابتها عن ان وقيامها مقامها فى الموقع كان تعدى الفعل اليها مع مابعدها من الفعل كتعديه الى أن وما يتضمنه من المستقبل فيقال قصدت أن تفرح وقصدت لتفرح وهذا لا يكون الا على سبيل التوسع دون الحقيقة فأما المذهب الآخر فللمحققين وهو أن الفعل تعدى الي مفعول محذوف واللام الداخلة على الفعل المنصوب تكون مبينة عن العلة التى لها انشيء الفعل واللام فى الآية على هذا التحقيق وهوان المراد يريدون ان يكذبوا ليطفؤا نور الله بأفواههم لان قبلها (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعي الي الاسلام) فقوله يريدون لم يذكر مفعول مايريدونه اعتمادا على مانبه عليه بقوله (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) فكأنه قيل يريدون افتراء الكذب ليطفؤا نور الله وعلي هذا قوله

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل عادى نمته ثمود

أى أردت ان أنزع سراويلي ليعلم الناس اذا رأوا طولها أنها على عادى القامة ثمودى الخلقة فلهذا خصت الآية الثانية بدخول اللام على تطفؤ ولما كان المراد فى الآية الأولى الاطفاء بالافواه لما دل عليه مفتتح العشر وهو (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم) كانت الارادة معداة الي اطفاء نور الله بأفواههم وهو ماحكى

الله تعالى عنهم انه قولهم بأفواههم أى يريدون أن يدفعوا الحق بالباطل من أفواههم وهذا واضح

﴿ الآية الثالثة من سورة براءة ﴾

قوله تعالى ﴿ وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ﴾ وقال فى موضعين آخرين من هذه السورة ﴿ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ وبعدها ﴿ ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن الفرق بين هذه الاماكن حتي أعيد فى الاول حرف الجر مع المعطوف ولم يعد فى المكانين الآخرين ﴿ الجواب ﴾ ان يقال لما كان الاول فيه ايجاب بعد نفى صار الخبر أوكدو الى امارة التوكيد أحوج ألا تري ان قوله ما زيد الا فاضل أوكد من قولك زيد فاضل وكذلك ما زيد الا قائم أوكد من قولك زيد قائم فلما كان كذلك احتاج فى المعطوف على قوله بالله الى توكيد لم يحتج اليه فى قوله ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله اذ ليس واحد من الموضعين الآخرين متضمنا ايجابا بعد نفى كما تضمنه قوله وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله

﴿ الآية الرابعة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ولا ينفقون إلا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ﴾ الآية وقال بعده ﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل في الآيتين عن أربع مسائل

.. أولها قوله فلا تعجبك أموالهم بالفاء فى الآية الأولى وقوله ولا تعجبك أموالهم فى الآية الثانية .. والمسئلة الثانية تكرار لا فى قوله ولا أولادهم وتركه في قوله ولا تعجبك أموالهم وأولادهم .. الثالثة قوله انما يريد الله ليعذبهم باللام وقال فى الآية الأخرى انما يريد الله أن يعذبهم .. المسئلة الرابعة قوله فى الحياة الدنيا فى الآية الأولى وفي الآخرة في الدنيا من غير ذكر الحياة الموصوفة بها ﴿الجواب﴾ عن المسئلة الأولى فى الفاء والواو ومجيء أول الآية على فلا تعجبك والآخر على ولا تعجبك وهو ان قبل الفاء قوله تعالى (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون) فأخبر عن المنافقين بما يقصدونه بافعالهم التى يوقعونها فى حالهم واستقبالهم على معنى أن يكسلوك عن الصلاة وتكرهوا الصدقات فان الله ليس يجازيهم بما يسرهم من أموالهم وأولادهم بل يعجل ذلك عذابا لهم مدة بقائهم بما ينالهم من النقص فى الأموال مما أباح منه للمسلمين بالقتال وما يصيبهم في الأولاد من السبي والاستعباد ثم عند الفراق يكون الألم على قدر محبة الأحباب هذا سوى سوء الانقلاب وما أعد لهم من العذاب ليوم المآب فلما كان الفعل الذى قبل الفاء بمعنى الشرط صار مابعدها فى موضع الجزاء نخصت بالفاء لذلك أما الآية التى دخلتها الواو فان قبلها افعالا ماضية كقوله (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وهذه الافعال بمضيها وانقطاعها لاتكون شرطاً فتعقب بالفاء التى تدل على الجزاء فعطفت الآية بعدها على ماقبلها بالواو لبطلان المعنى الذي يقتضي الفاء ألا ترى انه قال وماتوا وهم فاسقون ولا يشترط فعل من قد مات فيعقب بذكر الجزاء فلذلك اختلفا فى الواو والفاء ﴿والجواب﴾ عن المسئلة الثانية وهى توكيد قوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم بلا في قوله

فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وتعرية الثانية منها حيث قال ولا تعجبك أموالهم وأولادهم هو ان الذى انبأ عن معنى الشرط فى الفعل الأول وهو (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون) بنى علي أوكد ما تبنى عليه الاخبار من الايجاب بعد النفى فلما علقت الجملة الثانية به تعليق الجزاء بالشرط اقتضت من التوكيد مافصد به مثله في الأول فكان ذالك أن وكدمعنى النهى بتكرير لا فى قوله فلا تعجبك أموالهم ولاأولادهم وأما الآية الثانية فهى مخالفة للاولي فى هذا المعنى لانه لا شرط ينطوى عليه الفعل الذى قبلها كما انطوى عليه الفعل الذي قبل الفاء ولم يتضمن أيضا من التوكيد المقتضي بناء مايتعلق به عليه خلامن الدواعى الى التوكيد فلم يكرر فيه لا لذلك ﴿ والجواب ﴾ عن المسئلة الثالثة وهى وصل الارادة باللام فى الأول حيث قال ليعذبهم بهاووصلها بأن فى الثانية حيث قال ان يعذبهم هو أن الأولي معناها انما يريد الله انيزيد في نعمائهم بالأموال والأولاد ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا فمفعول الارادة محذوف واللام لام الصيرورة والآية الاخيرة مخالفة للأولى فى ذلك لانها في الاخبار عن قوم قد ماتوا وانقرضوا على النفاق فلم تتضمن الآية مفعولا وهو ان يزيد فى نعمائهم لانقطاع الزيادة بالموت عنهم فعديت الارادة الى مآل اليه حالهم من تعذيبهم فصار المعنى انما يريد الله في حال انعامه عليهم تعذيبهم به فى الدنيا ففرق بين الخبرين اذ كان احدهما خبرا عن قوم معرضين لزيادة انعام الله عليهم والآخر خبراً عمن انقطعت أعمالهم وبلغت نعمة الله عليهم غاية لامزيد فيها لهم والله يريد تعذيبهم بذلك بعد كفرهم ومقامهم على نفاقهم ﴿ والجواب ﴾ عن المسئلة الرابعة وهى قوله فى الاولى فى الحياة الدنيا فجعل الدنيا صفة للحياة

وقوله في الاخيرة في الدنيا فاغنى بذكر الصفة عن ذكر الموصوف هو أن الثانية لما كانت بعد الاولي وقد نبه فيها علي الموصوف كان في ذكره هناك غنى عن ذكره في هذا المكان لا سيما والدنيا كاسم علم للحياة الاولى والدار الدنيا فاغنى كل ذلك عن ذكر الحياة والاتيان بالموصوف وهذه حال الصفة

﴿ الآية الخامسة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع علي قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ وقال بعد العشر الذى يلى هذه العشر ﴿ انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل هنا عن مسألتين .. احداهما قوله في الأولى وطبع بفعل ما لم يسم فاعله وفي الثانية سمى فاعله بقوله وطبع الله .. والمسألة الثانية قوله في الأولى فهم لا يفقهون وفى الاخرى فهم لا يعلمون ﴿ والجواب ﴾ عن المسألة الاولى أن قوله وطبع في آخر آية افتتحت بقوله واذا أنزلت سورة والمعنى واذا أنزل الله سورة فلما صدرت الآية فى فعل علم ان فاعله الله فيما لا يقتضي ذكر الفاعل بل يقام المفعول به مقامه كان مثل هذا الفعل فى منتهى الآية محمولا عليه لانه معلوم ان الله يطبع كما علم ان الله ينزل السورة فكان التوفقة في ذلك بين آخر الآية وأولها الاخبار والآية الأخرى وقعت هذه اللفظة منها فى موضع اشباع وتأكيد ألا تراها في قوله انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء فجاءت انما بعد نفى مكرر فى قوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم

ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه فنفى الحرج عمن قعد عن الجهاد لاحدى المعاذير التى ذكرها ثم ألزم الحرج القوم الذين حالهم مضادة لاحوال أولئك فقال انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف أي الاثم يتوجه على من يستأذن فى المقام وهو قادر على الجهاد بالغنى واليسار وصحة الابدان رضوا بأن يكونوا مع النساء والزمنى والضعفاء والله طبع على قلوبهم فهم لا يعلمون فلما كان هذا الموضع موضعاً يتبين فيه مضادة حالهم لاحوال غيرهم لتخالف بين أحوالهم وأحوال من فسح فى القعود لهم كان موضع تنبيه وتأكيد وتخويف وتحذير فسمى الفاعل وهو الله تعالى ليليق الفعل اذا جاء هذا المجيء بمكانه ﴿والجواب﴾ عن المسألة الثانية(١) هو ان الذين ذكروا بالطول وهو الفضل فى النفس والمال والقدرة على الجهاد انما مالوا الى الدعة وأخلدوا الى الراحة واشفقوا من الحر ولم يفطنوا ان الراحة فى تحمل التعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الدعة توجد بتحمل المشقة معه فطلبوا ما كان مطلوبهم ضده لو فقهوا له وفطنوا فكان هنا موضع يفقهون. وأما الآية الأخرى وهى انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء أى العقاب متوجه على هؤلاء وهم لا يعلمون بما أعد الله لكل ذى عمل محق عمله ما يعلمه المؤمنون الذين يستجيبون للخروج والذين تفيض مدامعهم اذا لم يعنهم بالركوب فلما كان بازائهم فى الآيتين اللتين قبل ذكر من تحقق بالدين وعلم الثوب والعقاب علم اليقين وخالفهم هؤلاء نفى عنهم ما أثبته لاولاء وهو العلم فلذلك جاء فى

(١) وفى المقدسية زيادة نصها. وهو قوله فى الاولى فهم لا يفقهون وفى الاخرى فهم لا يعلمون هو الخ

هذا المكان فهم لا يعلمون

﴿ الآية السادسة من سورة براءة ﴾

قوله تعالى ﴿ قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ وقال بعده ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن شيئين في هذا المكان .. أحدهما ذكره المؤمنين فى الآية الاخيرة وتركه فى الأولى .. والسؤال الثانى قوله في الآية الأولى ثم تردون وفي الآية الثانية وستردون وهل لاختلافهما معنى يوجبه ويخصصه بالمكان الذى يختصه ﴿ والجواب ﴾ عن الأول ان يقال ان المخاطبين فى الآية الأولى هم المنافقون والمخاطبون فى الثانية هم المؤمنون لانه قال فى الاولي يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم والثانية خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وبعده ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ثم قال وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .. واذا اختلف المخاطبون بما بينا فى الآيتين كان قوله وسيرى الله عملكم ورسوله بعد قوله قد نبأنا الله من أخباركم معناه ان الله قد أخبرنا باخباركم التى تخفونها فى أنفسكم وتجاهرون بها من كان من المنافقين مثلكم والله يرى ما سيكون منكم بعد ويرى رسوله باطلاع الله له عليه وأعمالهم التى لاجلها يحكم عليهم بالنفاق يراها الله تعالى ويطلع عليها رسوله صلى الله عليه وسلم وما كل مؤمن يعلمها فلذلك لم يقل فى هذا المكان والمؤمنون بعد قوله وسيرى الله عملكم ورسوله وأما الآية الثانية فانها فيمن أمر الله تعالي

نبيه صلى الله عليه وسلم وهو الذى أوجب عليهم الصدقات بأن يقول
لهم اعملوا ماأمركم الله به من الطاعات كالصلوات والصدقات فان الله
ورسوله والمؤمنين يرون ذلك وهذه الأعمال مما ترى بالعين خلاف أعمال
المنافقين التى تقتضى لهم النفاق لاضمارهم خلاف اظهارهم وهو مما لا يرى
بالعين وانما يعلمه عالم الغيب فلذلك لم يذكر المؤمنون في الاولى وذكروا
فى الثانية ﴿ والجواب ﴾ عن المسألة الثانية ان معنى قوله للمنافقين قد
نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله أى سيعلم الله حقيقة عملكم
وانه عن غير صحة اعتقاد منكم وان اعتذاركم قول بلسانكم لا يطابقه منطوى
ضميركم وهذا ظاهر بكون الجزاء عليه خلافه ففصل بينه وبين ردهم الى الله
تعالي للجزاء عليه بقوله ثم تردون أى عملكم يعلم الله من باطنه خلاف ظاهره
وقد أمرنا بالرضاء به وحقن دمائكم له ثم ان الحكم اذا رددتم الي الله تعالى
فى الآخرة بخلافه فلبعد ما بين الظاهر من عملهم وما يجازون به دخلت
ثم وليست كذلك الآية الاخيرة لان قبلها بعثا علي عمل الخير لقوله وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وهذا وعد والاول وعيد وبعده
ستردون لانه وعد مما يشا كل أفعالهم ويطابق أعمالهم من حسن الثواب
وجميل الجزاء ولم يبعد عنها كبعد جزاء المنافقين عما هو ظاهر من أعمالهم
التى يراؤن بها ويعلم الله تعالى خلافها منهم فجرى الكلام على نسق واحد فقال
فسيرى الله عملكم وستردون ولم يدخل ثم التى هى للتراخي والتباعد
فاختصاص كل موضع بما اختص به من اللفظ لما ذكرنا

﴿ الآية السابعة من سورة براءة ﴾

قوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل

الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ وقال بعده﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل فى ذلك عن مسئلتين .. إحداهما قوله تعالى في الآية الاولى الا كتب لهم به عمل صالح وقوله في الثانية الا كتب لهم فحسب ولم يذكر عمل صالح كما ذكر في الأولي .. والمسألة الثانية تعقيبه الاولي بقوله ان الله لا يضيع أجر المحسنين وتعقيبه الثانية بقوله ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ووجه الاختلاف في هاتين الآيتين ﴿ والجواب﴾ عن المسئلة الأولى هو أن في جملة ماذكره تعالى مما أوجب لهم الأجر أشياء ليست من أعمالهم لان الظمأ ليس هو فعل الانسان والنصب والمخمصة كذلك فلما تضمن ما نسق بعضه على بعض ما ليس بعمل لهم وما هو عمل لهم بقوله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الحق اجر ماليس بعمل لهم بما هو عمل لهم فقال الا كتب لهم به عمل صالح أى أجر عمل صالح وما ذكر فى الثانية كله من أعمالهم وهو قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم أى لا يخرجون من أموالهم مادق أوجل ولا يقطعون فى مسيرهم الى أعدائهم واديا إلا كان ذلك محفوظا لهم معلوما مكتوبا أو كالمكتوب عند الله ليجزيهم عليه الله أحسن الجزاء فلما كان ما فى الثانية عملهم كتب على جهته لم يحتج إلى أن يكتب به عمل صالح لانه هو .. والأول كان فيه ما ليس بعملهم فكتب به أجر مثل عملهم فلذلك كانت الزيادة فى الأولى ولم تحتج اليها الأخرى ﴿ والجواب ﴾ عن المسألة الثانية وهى تعقيب الأولى بقوله ان الله لا يضيع أجر المحسنين هو ان من أخبر

عنه بأنه أصابه ظمأ ونصب وجوع فقد أخبر عنه بفعل غيره به ولم يخبر عنه بفعل فعله هو إلا انه يجب له بما وصل اليه من ألم العطش والجوع والتعب والنصب الاجر فلذلك عقبه بقوله ان الله لا يضيع أجر المحسنين أي من أحسن طاعة الله وتعرض منها لما يلحقه فيه هذه الشدائد. وأما الآية الثانية وتعقيبها بقوله ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون فلأن جميع ماذكر كان عملا لهم فوعدهم حسن الجزاء علي عملهم وذلك ظاهر والله أعلم. انقضت سورة براءة عن سبع مواضع فيها ثلاث عشرة مسألة

﴿ سورة يونس عليه السلام ﴾

﴿ الآية الأولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم﴾ وقال في سورة الفرقان ﴿ ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن تقديم يضرهم على ينفعهم فى الآية الاولى وتقديم ينفعهم على يضرهم فى الآية الثانية وهل صلح احدهما مكان الآخر ﴿ والجواب ﴾ أن يقال انما قدم يضرهم على ينفعهم فى الآية الاولى لأن العبادة تقام للمعبود خوفا من العقاب أولا ثم رجاء للثواب ثانيا وقد تقدم فى هذا المكان ماأوجب تقديم يضرهم علي ينفعهم في الآية الاولى وهو قوله قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم فكأنه قال ويعبدون من دون الله مالا يخافون ضررا في معصيته ولا يرجون نفعاً فى عبادته وقدم مالا يضرهم علي مالا ينفعهم فى هذا المكان لهذا المعنى ولهذا اللفظ المتقدم. وأما فى سورة الفرقان فقد تقدمت قبلها آيات قدم فيها الافضل على الادون كقوله عزوجل وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وقوله بعده وهو الذى خلق

من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً وصلة النسب أفضل من صلة المصاهرة كما ان العذب من الماء أفضل من الملح وقال بعده ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم أي يتكلفون المشقة بعبادة مالا يرجونه لنفع ولا يخشونه لضر فقدم الافضل على الادون لهذا المعنى وللبناء على ما تقدم من الآيات . فجاء في كل موضع على ما اقتضاه ماتقدمه وصح في المعنى الذى اعتمد له

﴿ الآية الثانية من سورة يونس ﴾

قوله تعالى ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون ﴾ وقال في سورة المؤمن ﴿ وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل في هاتين الآيتين عن ثلاث مسائل .. احداها دخل الواو على كذلك في سورة المؤمن وخلوها منها في سورة يونس .. والثانية قوله في الاولى عن الذين فسقوا وفى الثانية على الذين كفروا .. والثالثة قوله في الاولى انهم لا يؤمنون وفي الثانية انهم أصحاب النار وعن الوجه في اختلاف ذلك ﴿ والجواب ﴾ عن المسئلة الاولى وهى ترك الواو في هذا الموضع واثباتها في سورة المؤمن أن القصة بعد كذلك هى التى قبلها فهى مرتبطة بها بعودها اليها وبكاف التشبيه فاستغنت بهذين الرباطين عن حرف العطف فهؤلاء الذين حقت عليهم كلمة ربك انهم لا يؤمنون هم الذين خوطبوا بقوله قل من يرزقكم من السماء والارض وليس كذلك ما فى سورة المؤمن لانه وان تعلق به وبكاف التشبيه فانه ينقطع عنه بان المذكورين بعد كذلك غير المذكورين قبلها ألا ترى قوله كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من

بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل خبراً عن الذين كانوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم وما بعد قوله وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار انما هو وعيده من فى عصره عليه الصلاة والسلام فلما انقطع ما بعد كذلك هنا عما قبلها احتاج الى الواو ما لم يحتج اليها ما في سورة يونس عليه السلام ﴿والجواب﴾ عن اختصاصه بقوله على الذين فسقوا فى سورة يونس واختصاص ما فى سورة المؤمن بقوله على الذين كفروا فلأن الأولى فى ذكر قوم أخبر عنهم بقوله قل من يرزقكم من السماء والارض فأخذ اقرارهم بان الله تعالى هو الذى يرزقهم من مطر السماء ونبات الارض وهو الذى يملك اسماعهم وأبصارهم فان أحب سمعوا وأبصروا وان لم يرد ذلك صموا وعموا وهو الذى يخرج الحى من الميت كالفرخ من البيضة ويخرج الميت من الحى كالبيضة من الدجاجة وانه هو الذى يدبر أمور الخلق من ابتداء أحوالهم الى انتهائها وكانوا ممن أخبر عنهم بقوله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى فباينوا باثبات الصانع وما زعموه من معرفة الخالق من أنكره وجحد بآياته وفسقوا بأن عبدوا معه غيره ولم يثبتوا النبي صلى الله عليه وسلم ونبوته الفسق الذى هو كفر لا ينتفع معه بالاقرار الاول فقال تعالى هؤلاء الذين أقروا بالصانع وصفات فعلهم هم خرجوا عما دخلوا فيه بانكار نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبعبادة آلهة مع الله تعالى كان ذلك فسقاً لخروجهم عن حكم من يقر بما أقروا به .. والفسق فسقان أحدهما هو الكفر وتسميته به لهذا الوجه الذى قلناه وهو كقوله تعالى وأما الذين فسقوا فمأواهم النار والثانى فسق ليس بكفر كقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون

ليس المراد بهم الكافرين فأخبر عن هؤلاء بالذين فسقوا فى سورة يونس كذلك . . وأما فى سورة المؤمن فانه لم يتقدمه مثل ماتقدم هنا بل قال تعالى قبله مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلايغررك تقلبهم فى البلاد كذبت قبلهم قوم نوح فأخبر عن الكفار الذين في عصرهم بأنهم كفروا بمجادلتهم فى آيات الله فشبههم بالقوم الذين مضوا قبلهم حيث قال وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ثم قال تعالى كذلك حقت كلمة ربك علي الذين كفروا أنهم أصحاب النار فلما أراد الذين قدم ذكرهم في أول القصة وهم الذين أخبر عنهم بقوله مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد كان أن يصفهم بما وصفهم به قبل من الكفر أولى وأدل على أن المعنيين بوجوب النار لهم هم الذين قدم ذكرهم ﴿ والجواب ﴾ عن المسئلة الثانية وهى قوله كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون وقوله فى سورة المؤمن انهم أصحاب النار فلانه تعالى أراد أن يبين أنهم وان أقروا بالله تعالى وأثبتوه خالقا قادرا صانعاً غير مؤمنين وما داموا يعبدون غيره لا يؤمنون فالقصد الى ابطال ما بذلوه بألسنتهم من الاقرار بخالقهم والقصد فى الآية التى فى سورة المؤمن توعدهم على كفرهم بالنار اذ لم يتقدم ذكر اقرار يشبه اقرار المؤمنين فيبطل بتركهم سائر ما أمر الله تعالى به

﴿ الآية الثالثة من سورة يونس ﴾

قوله تعالى ﴿ ألا ان لله ما فى السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ وقال بعده في العشر التى تلى هذه العشر ﴿ ألا إن لله من فى السموات ومن فى الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ وقال بعده في هذه العشر ﴿ قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني

له ما فى السموات وما فى الارض ان عندكم من سلطان بهذا ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فى ذلك عن مسائل . احداها لماذا كان في الآية الأولى ما فى السموات والارض وفى الثانية من فى السموات ومن فى الارض وهل صلح من فى الآية الأولى وما فى الثانية . والمسئلة الثانية ما الذى دعا الى التوكيد فى من حتى أعيدت فى قوله ومن في الارض ولم تعد ما في الآية الأولى عند ذكر الارض . والمسئلة الثالثة عما دعا الى تكرير ما فى قوله له ما فى السموات وما في الارض ولم يكررها في الآية الأولى فى قوله ألا ان لله ما فى السموات والارض ولم يقل وما فى الارض ﴿ الجواب ﴾ عن المسئلة الأولى واختصاص ما حيث اختصت واختصاص من حيث اختصت هو ان الأولي جاءت بعد قوله ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به فكان المعنى ان النفس الظالمة اذا رأت عذاب الله لو ملكت جميع ما فى الارض لبذلته فداء نفسها وهى تحرص علي اليسير من حطامها فى ظلم أهلها فكرر علي ذلك بقوله ألا ان لله ما فى السموات والارض أى النفس الظالمة لا تملك ما فى الارض فتفتدى به ولو ملكته لما قبل فى فدائها وكيف يكون لها ذلك والله مالك ما في السموات والارض وليس للعبد ذلك ولا محله هنالك فوجب لهذا المكان ما لقوله ما في السموات والارض والمراد تقايس ما فى الارض مما ملكه الله العباد . وأما الموضع الذى ذكر فيه من فلم يصح فيه غيرها لان قبله ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعاً هو السميع العليم ألا ان لله من فى السموات ومن في الارض والمعنى لا يحزنك ما يتوعدك به الكفار من القتل وأنواع المكروه فان القدرة لله تعالى وهو لا يمنح الكفار قدرة علي ما يريدونه منك بل يعطيك العزة عليهم والغلبة لهم فانه يملك من فى السموات ومن في

الارض ولا قوة لهم الا به ولا قدرة لهم الا من عنده فاقتضي هذا المكان من كما رأيت ﴿ والجواب ﴾ عن المسئلة الثانية والسبب فى اعادة من فيها وترك اعادة ما فى الآية الاولى فقال ومن فى الارض وقال هناك ألا ان لله ما في السموات والارض ولم يقل وما فى الارض فهو لان المقصود بالذكر هو انه قادر علي ان يكفى النبي صلى الله عليه وسلم أمره وهو من فى الارض من الكفار الذين بعث اليهم وخوفوه أذاهم فقرن الي ذكرهم ذكر من في السموات وهم أكبر شأنا وأعظم أمراً فاذا ملكوا كان من دونهم أدون فاعادة من مع ذكر الارض للتوكيد الذى اقتضاه القصد الى ذكرهم وأما حذف ما في الآية الاولى عند ذكر الارض فلان ذكره قد تقدم وهو ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الارض فلما قال ألا ان لله ما فى السموات والارض كان ذكر ما فى الارض هناك ورجوع هذا الى ذلك المعنى مثل ذكره فى هذا الموضع فاغنى ذلك عن التكرير ﴿ والجواب ﴾ عن المسئلة الثالثة وهى تكرير ما في قوله له ما فى السموات وما فى الارض مع حذفها من الآية الاولى هو ان قبله قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنى له ما في السموات وما فى الارض فنزه نفسه عن الولد وأخبر انه غنى عما يجتلب باتخاذه ويستفاد بمكانه اذ كان مالكا لكل ما فى السموات ومافى الارض فكان الموضع موضع تأكيد فكأنه قال اذا كان له كل ما في السموات وكل ما في الارض فلماذا يتخذ الولد ولا يجوز عليه اجتلاب مسرة وانتفاع به لانه الغنى بنفسه تعالى فإعادة ما فى هذا المكان لهذا الضرب من التوكيد أى هو غنى لا يحتاج الى ولد يعينه على شيء في السموات وهو مالك له كله ولا أن يعينه فى شيء ما فى الارض وهو مالك له بأسره فلما توكد الكلام

في مثل هذا المكان جاءت ما معادة لهذا الشأن والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ الآية الرابعة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ وأمرت أن أكون من المؤمنين ﴾ وقال في سورة النمل في آخرها ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن اختصاص هذا المكان بالمؤمنين واختصاص آخر سورة النمل بالمسلمين ﴿ والجواب ﴾ ان قبل هذه الآية في سورة يونس قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين فقال بعده وأمرت أن أكون منهم اما في سورة النمل فان قبل هذه الآية منها وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون فكأنه قال أمرت أن أكون ممن اذا سمع بآياته آمن بها وكان من المسلمين الذين مدحوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم يسمعهم أي ينتفعون بما يستمعونه منه فلما تقاربت اللفظتان وكانتا تستعملان لمعنى واحد حملت كل واحدة منهما على اللفظ الذي تقدمها ولاءمها

﴿ الآية الخامسة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾ وقال في سورة النمل ﴿ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن اختلاف الموضعين وقوله في الاولى ومن ضل فانما يضل عليها وفي الثانية ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين [1] ﴿ والجواب ﴾ أن يقال أما الآية الأولي فانه لما قال فيها (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) أي منفعة اهتدائه

(١) سقط هذا السؤال مما عدا النسخة المقدسية

له وهى دوام النعمة والخلود فى الجنة واقتضى هذا فى الضلال ضده فقال ومن ضل فانما ضرر ضلاله عليه وهو دوام العقاب بأليم العذاب وما أنا عليكم بوكيل وما يلزمنى أن أقيكم مالا تقونه أنفسكم كالوكيل الذي يلزمه حفظ ما وكل به مما يضره وأما الآية التي فى آخر سورة النمل فانها عدل بها عند ذكر الضلال عما حملت عليه في الآية التي فى آخر سورة يونس لتحمل على الفواصل التى قبلها وهى مختومة بالواو والنون أوالياء والنون فقال تعالى (ومن ضل فقل فانما أنا من المنذرين) أى ممن يعلمكم مايلزمكم أن تحذروه ويخوفكم مايجب عليكم أن تجتنبوه فاشتمل هذا على معنى ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل لان في قوله تعالى فانما يضل عليها تخويفا وانذاراً وفيه اذا قال انما أنا ممن ينذر أى لست ممن يكره علي مايحميكم من النار ويقيكم حر العقاب كالوكيل الذى يحامى على ماوكل به أن يناله ضرر مثل وما أنا عليكم بوكيل فجاء علي لفظ انما أنا من المنذرين لتكون الفاصلة مشاكلة للفواصل قبلها مع تأدية مثل المعنى الذىأدته الآية التى شابهتها..انقضتسورة يونس عن خمس آياتفيها تسع مسائل فذلك الى هذه الغاية مائة وآيتان تشتمل على مائة وتسعة وثلاثين مسئلة والله سبحانه وتعالى الموفق

﴿ سورة هود عليه السلام ﴾

(الآية الاولى منها)

قوله تعالي ﴿ لاجرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون ﴾ وقال فى سورة النحل ﴿ لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عما خصص

كل واحد من اللفظين بمكانه دون الآخر ﴿ والجواب ﴾ أن يقال الآية التي في سورة هود قد تقدمها قوله وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما قال يضاعف لهم العذاب لانه خبر عن قوم اخبر عنهم بالفعل الذى استحقوا به مضاعفة العذاب في قوله تعالى «الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون » فاذا صدوا هم عن الدين صدودا وصدوا غيرهم عنه صداً استحقوا تضعيف العذاب لانهم ضلوا وأضلوا فهذا موجب الاخسرين دون الخاسرين من طريق المعنى وهاهنا مايضاهيه من طريق اللفظ وهو ان ماقبله من الفواصل يبصرون وضل عنهم ما كانوا يفترون فماقبل الواو والنون متحركان لا يعتمد ان على الف قبلهما والخاسرون ليس قبل نونه وواوه متحركان مستندان الى مدة قبلهما فاجتماع المعنى الذى ذكرنا والتوفقة بين الفواصل التى بينا أوجبا اختيار الأخسرين فى هذا الموضع على الخاسرين. وأما التى في سورة النحل فانها فى آية لم يخبر فيها عن الكفار بأنهم مع ضلالهم أضلوا من سواهم وانما قال فيهم (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين) فلم يذكر مايوجب مضاعفة العذاب ثم كانت الفواصل التى حملت هذه عليها على وزان الكافرين والغافلين فاقتضى هذان الشيئان أن يقال هم الخاسرون كما اقتضى الشيئان فى الأولى المخالفان للشيئين هنا أن يقال الاخسرون

﴿ الآية الثانية من سورة هود ﴾

قوله تعالى في قصة نوح ﴿ قال ياقوم أرأيتم ان كنت علي بينة من ربي

وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم ﴾ وقال في قصة صالح عليه السلام في هذه السورة ﴿ قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن مخاطبة النبيين نوح وصالح عليهم السلام قوميهما باللفظين اللذين تساويا الا فيما اختلفا فيه من تقديم المفعول الثانى فى الآية الاولى على الجار والمجرور وتأخيره عنهما فى الآية الثانية ﴿ والجواب ﴾ ان يقال ان المعنيين واحد في الموضعين وقولاهما سواء للامتين وانما اختلفا باختيار الله فى موضع خبرا قدم فيه المفعول الثانى على الجار والمجرور لاجراء هذا الفعل ومفعوليه على ماجرى عليه الفعل الذى قبله وهو مانراك الا بشرا مثلنا فبشرا مفعول ثان من نراك وقوله مانراك اتبعك فى موضع المفعول الثانى من نراك ثم بعده بل نظنكم كاذبين فلما تقدمت افعال ثلاثة كل واحد منها يتعدى الى مفعولين والمفعول الثانى منها لا يحجزه عن الأول معمول فيه كان إجراء هذا الفعل الذى هو وآتانى رحمة من عنده مجري تلك الافعال التى وقعت آتانى فى جوابها وجاءت من كلام نوح عليه السلام فى مقابلتها أولى وأما فى قصة صالح عليه السلام فانه بازاء قول قومه له ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا فوقع خبر كان الذى هو كالمفعول لكان وقد تقدمه الجار والمجرور فجرى جواب صالح عليه السلام فيما صار عبارة عنه من العربية مجرى الابتداء فى هذا المعنى فترجح فى هذا المكان تقديم الجار والمجرور في قوله وآتانى منه رحمة على المفعول الثانى كما ترجح هناك تقديم المفعول الثانى على الجار والمجرور وكل جائز إلا أن كلامنا فى الترجيح في الموضعين وفى هذا القدر كفاية

﴿ الآية الثالثة منها ﴾

قوله تعالى فى قصة هود عليه السلام وذكر قومه ﴿ واتبعوا في هذه الدنيا

لعنة ويوم القيامة ألا أن عاداً كفروا ربهم الا بعداً لعاد قوم هود﴾ وقال فى قصة موسى عليه السلام في هذه السورة وارساله الى فرعون وملائه﴿ واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن حذف الدنيا من الآية الثانية وآثباتها فى الأولى وهل كان يجوز في الاختيار عكس ذلك ﴿ الجواب ﴾ أن الاولى أتى فيها بالموصوف والصفة جميعا وهو الأصل الاول ثم الاكتفاء بالصفة عن الموصوف بعده لقيام الدلالة على الموصوف فيجوز لذلك حذفه واقامة الصفة مقامه ولما جاءت الآيتان في سورة واحدة وفيت الاولى ماهو أولى بها من الاجراء على الاصل والاتيان بالموصوف والوصف فقال تعالى فى هذه الدنيا واكتفى في الثانية لما قامت الدلالة على الموصوف بالصفة وحدها فقال واتبعوا فى هذه لعنة

﴿ الآية الرابعة من سورة هود ﴾

قوله تعالى فى قصة صالح عليه السلام ﴿ قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد مايعبدُ آباؤنا وانّنا لفى شك مما تدعونا اليه مريب﴾ وقال فى سورة ابراهيم عليه السلام ﴿ وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول لم قال فى الاولى واننا فى شك على الاصل مما تدعونا بنون واحدة وقال فى الثانية وانا لفى شك على التخفيف فحذف احدى النونات وهى المتوسطة ثم جاء بعده تدعوننا بنونين ﴿ والجواب ﴾ أن يقال اما تدعونا فى الاولى وتدعوننا فى الثانية فلا يصح مكانهما غيرهما فلا يجوز فى الاولى إلا نون واحدة ولا يجوز فى الثانية الا نونان أثنتان لان الاولى خطاب لصالح عليه السلام والنون مع الالف ضمير المتكلم

وتدعو فعل واحد لانون فيه وليس كذلك تدعوننا في الثانية لانه خطاب للرسل وهم جماعة ولا يقال لهم في حال الجمع إلا تدعوننا عند الرفع ولا تسقط النون الا لناصب أو جازم نحو لن تدعونا أولم تدعونا فاما اذا وقعت خطاب الجماعة لم تكن الا تدعوننا وهذا من مبادى هذا العلم وأما اننا فى الأولى وانا فى الثانية مع جواز اللفظتين في كل مكان فلان الضمير الذى دخلت عليه ان في هذا المكان هو على لفظ ضمير المنصوب المتصل بالفعل فى قوله انهانا ان نعبد وضمير المنصوب اذا اتصل بالفعل لم يغير له آخره كما يغير اذا اتصل به ضمير المرفوع نحو ضربنا تسكن الباء لاتصال ضمير الفاعلين بها ولا تسكنها لاتصال ضمير المفعولين بها اذا قلت ضربنا فلما أشبه المنصوب بان المنصوب فى ضربنا ولم ينازعه شبه الفاعل سلم لفظ ان عند إتصالها به ولم يلحقه حذف ولما كانت انا فى سورة ابراهيم وان كانت منصوبة مشبهة للفظ الفاعل اذا قلت ضربنا بكونها على لفظها وبوقوعها موقع المرفوع المبتدا وبأن هذا اللفظ المتقدم عليها فى الآية التى قبلها هو ضمير المرفوع خلاف ما تقدم الآية فى سورة هود وهو قوله كفرنا بما أرسلتم به وقبل ذلك ضمير مرفوع على غير هذا اللفظ للذين لهم هذا اللفظ وهو الواو فى قوله تعالى (فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) ثم قوله تعالى (انا كفرنا) حذفت منه النون تشبيهاً للضمير بمدها بالضمير المرفوع بعد الفعل فكما ان الفعل يلحقه حذف حركة عند اتصال هذا الضمير به وكان الضمير الذى يحذف من أن النون حذفت ليقتضى لفظها عند اتصاله بما هو كالضمير المرفوع لفظاً ومعنى وموقعا حملا على ما تقدم كما يكون عليه إذا لم يواصله وجاءت تدعوننا على مقتضى الاعراب الواجب لها بنونين فهذا

فرق مابين الموضعين

﴿ الآية الخامسة من سورة هود ﴾

قوله تعالى فى قصة صالح عليه السلام ﴿ وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ وقال فى هذه السورة في قصة شعيب عليه السلام ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن اختلاف الفعلين فى اتصال علامة التأنيث بأحدهما وسقوطها من الآخر مع أن الفاعل فى الموضعين شئ واحد وهو الصيحة مع ان الحاجز بين الفعل والفاعل فى المكانين حاجز واحد وهو الذين ظلموا ﴿ الجواب ﴾ أن يقال إن مثل هذا اذا جاء فى كلام العرب سهل الكلام فيه لانه يقال حمل على المعنى والصيحة بمعنى الصياح كما ان قول الشاعر

يا أيها الراكب المزجى مطيته   سائل بنى أسد ماهذه الصوت

حمل على المعنى اذ الصوت بمعنى الصيحة غير ان السؤال الذى بنيت عليه الآيات لازم وهو أن يقال فهل كان يجوز مكان أخذت أخذ في القرآن وهل لتخصيص قصة شعيب بأخذت فائدة ليست لها فى قصة صالح عليه السلام ﴿ الجواب ﴾ عن هذا الموضع هو أن يقال ان الله تعالى أخبر عن العذاب الذى أهلك به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة ألفاظ منها الرجفة فى سورة الاعراف في قوله (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً انكم اذاً لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها) وذكر ذلك قبله في مكان آخر ومنها الصيحة في

سورة هود فى قوله تعالى (وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود) ومنها الظلة فى سورة الشعراء فى قوله تعالى (فأخذهم عذاب يوم الظلة) وفي التفسير ان هذه الثلاث جمعت لهم لاهلاكهم واحدة بعد أخرى لان الرجفة بدأت بهم فانزعجوا لها عن الكن الى البراح فلما أصحروا نال منهم حر الشمس وظهرت لهم ظلة تبادروا اليها وهي سحابة سكنوا الى روح تحت ظلها فجاءتهم الصيحة فهمدوا لها فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الالفاظ في العبارة عن العذاب الذى أهلكوا به غلب التأنيث في هذا المكان علي المكان الذى لم تتوال فيه هذه المؤنثات فلذلك جاء فى قصة شعيب وأخذت الذين ظلموا الصيحة

﴿ الآية السادسة من سورة هود ﴾

قوله تعالى ﴿ألا ان ثموداً كفروا ربهم ألا بعداً لثمود﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن صرف ثمود فى قوله تعالى « ألا ان ثموداً » ومنعه الصرف بعد قوله تعالى (ألا بعداً لثمود) وهل كان يجوز أن يمنع الصرف اللفظ الأول ويصرف اللفظ الثانى ﴿ والجواب ﴾ أن يقال الأول بالصرف أولى والثانى بالامتناع منه أحق لانه فى الاول ينحي به نحو الأب والاقربين من أولاده اذ كان أولهم فى الكفر واذا قصد هذا القصد انصرف الاسم وفى الثانى قصد ذكر الاهلاك وكان للقبيلة بأسرها لما أصرت عليه من كفرها فنحى نحو القبيلة فمنع الصرف للتعريف والتأنيث الحاصلين فيما خرج عن أخف الاصول ألا

ترى الى قوله تعالى (ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود) فالكفر من أولهم والاهلاك قصد به ذكر كلهم فكان معنى القبيلة به أولى وبالله تعالى التوفيق

﴿ الآية السابعة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ﴾ وقال في سورة الحجر ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن شيئين في هذا المكان .. أحدهما أن يقول انه استثنى في سورة هود من قوله تعالى (فأسر باهلك بقطع) قوله تعالى (الا امرأتك) ولم يستثن ذلك في سورة الحجر .. والثاني قوله تعالى في سورة الحجر (واتبع أدبارهم) وتركه في سورة هود ﴿ الجواب ﴾ عن المسئلة الاولى ان الاستثناء في سورة الحجر أغنى عنه قوله تعالى فيما حكى عن الرسل انا أرسلنا الى قوم مجرمين الى آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين الا أمرأته قدرنا انها لمن الغابرين فهذا الاستثناء الذي لم يقع مثله في سورة هود أغنى عن الاستثناء من قوله فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك .. والجواب عن المسئلة الثانية ان يقال انه لما اقتص في هذه السورة بعض ما اقتص في الاخرى فذكر ان الرسل قالوا له انا رسل ربك لن يصلوا اليك والمعنى لن يصلوا اليك والى المؤمنين من أهلك قيد ذلك من قوله فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك بان أمروه باخراج أهله من بين أظهرهم ليلا من غير أن يعرج أحد منهم على شيء خلفه يعوقه عن المضي الى

حيث ما أمر به ولما قال في سورة الحجر انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته إخبارا عن الرسل انهم خاطبوا ابراهيم عليه السلام به ثم أخبر عن مخاطبتهم لوطا فى هذه السورة بما يضاهى قولهم لابراهيم عليه السلام اردفوا قولهم له فأسر بأهلك بقولهم واتبع أدبارهم لانه اذا ساقهم وكان من ورائهم كان تحقيقاً لخبرهم انهم منجوهم أجمعين فزيد واتبع أدبارهم لتجاوب مخاطبتهم لابراهيم عليه السلام بسببه

﴿ الآية الثامنة من سورة هود ﴾

حكم هذه الآية أن يكون ذكرها فى سورة الاعراف ثم لما تأخرت وجب أن تذكر فى سورة العنكبوت الا انا رأيناها تتعلق بهذه السورة فذكرناها فيها وهى قوله تعالى ﴿ والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ﴾ وكذلك قال تعالى فى سورة الاعراف ﴿ والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ﴾ ومثله في سورة العنكبوت يخالفه بزيادة الفاء وهي قوله ﴿ والى مدين أخاهم شعيباً فقال ياقوم اعبدوا الله ﴾ ففى كل القرآن والى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله وفي سورة العنكبوت خصوصاً فقال ﴿ للسائل ﴾ ان يسأل عن اختصاص هذا المكان بالفاء وخلو المكانين قبله منها ﴿ الجواب ﴾ أن يقال ان مفتتح قصص الانبياء عليهم السلام فى سورة الاعراف قوله لقد أرسلنا نوحاً الى قومه وبعده والى عاد أخاهم هوداً وبعده والى ثمود أخاهم صالحا وبعده والى مدين أخاهم شعيباً وكذلك في سورة هود على هذا النسق إلا ان قصة نوح مفتتحة بالواو ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه وهي في سورة الاعراف بلا واو وقد ذكرنا السبب فى ذلك فلما تساوت هذه المعطوفات

مع المعطوف عليها الاول فكان الفعل المضمر للمعطوف مثل المظهر أولاً في التعلق بالمرسل والمرسل اليهم كعاد المرسل اليهم هود وكثمود المرسل اليهم صالح وكمدين المرسل اليهم شعيب عليه السلام جري الجميع مجرى واحداً فكان التقدير ولقد أرسلنا الى عاد أخاهم هوداً وأرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا وأرسلنا الى مدين أخاهم شعيباً ولم يعترض بين القصص ما أضمر فيه خلاف ما أظهر قبل وهو ولقد أرسلنا نوحا الى قومه وكان الامر في ذلك في سورة العنكبوت مخالفا له بعض المخالفة لانه افتتحت القصة بقوله ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وجاءت بعدها قصة ابراهيم ولوط عليهما السلام فلم يجريا على الفعل الاول في التعلق بالمرسل والمرسل اليهم كما كان ذلك في قصة هود وصالح عليهما السلام في السورتين بل جاء بعد قوله ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه قوله وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه وقوله ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين ولم يكن المعطوف على قصة نوح عليه السلام في هذه السورة مثل المعطوف عليها فيما تقدم من سورة الاعراف وهود ولم يتعد الفعل المضمر تعدى الفعل المظهر وكان جائزاً أن يكون المعنى واذكر ابراهيم اذ قال لقومه واذكر لوطا اذ قال لقومه ثم جاءت قصة شعيب فاجريت مجرى القصة الاولي التي هي قصة نوح عليه السلام في تعدى الفعل فيها الى المرسل والى المرسل اليهم وقد تخلل ذلك ماليس مثله من الافعال المضمرة فجاء والى مدين أخاهم شعيباً فاقيمت فيها دلالة على ان هذه القصة مجراة مجرى القصة البعيدة عنها دون القريبة منها وكانت الاولى يتساوى عطفها على ما قرب منها وبعد عنها لاستواء الفعل المظهر والمضمر فكانت تلك الدلالة التي تدل على

انها مردودة على القصة الاولى أن تتلق بما تلقيت به تلك من الفاء مع صحة المعنى فلما كان ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة قبل والى مدين أخاهم شعيباً فقال ياقوم اعبدوا الله تعلق مابعدها بها بالفاء كما كانت الفاء في قوله فلبث فيهم لما ذكرناه

﴿ الآية التاسعة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون ﴾ وقال فى سورة حم المؤمن ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ﴾ وقال فى سورة الزخرف ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول السلطان المبين من آيات الله فلم جاء في الآيتين المتقدمتين مع ذكر الآيات ذكر السلطان المبين ولم يجئ فى الآية الاخيرة الا الآيات وحدها ﴿ الجواب ﴾ أن يقال الآيات الامارات التى يكتفى بها في صدق الرسول عليه السلام ويقوم الحجة على من يبعث اليهم والسلطان المبين هى الحجج القاهرة التى تقهر القوم كانواع العذاب التى أنزلت علي قوم موسى عليه السلام وكانت عند قوله فلما كان القصد فى الآيتين المتقدمتين ذكر جملة أمرهم الى منتهى حالهم من هلاك الابد انطوت تلك الجملة على جميع ما احتج به عليهم الي ان زال التكليف عنهم وأخبر عن مستقرهم من العقاب الدائم عليهم الاترى الكلام فى الآية الاولى فى سورة هود ينساق الى قوله وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة وكذلك فى الآية الثانية ينساق الكلام فيها الي قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب

النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب فذكر في الآيتين جميع ما احتج به عليهم من الآيات التى سحروا بها عند رؤيتها والآيات التى فزعوا الى مسئلته عند مشاهدتها فى كشفها لقوله (ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسي ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك) وأما الآية الثالثة التى اقتصر فيها على ذكر آياتنا دون سلطان مبين وهى التى فى سورة الزخرف (ولقد أرسلنا موسي بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) فلم يكن القصد الى ذكر جملة ما عوملوا به فى الدنيا وانتهائه بهم الى عذاب الأخرى بل كان بعده (وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون) فاقتص ماعوملوا به حالا بعد حال الى أن هلكوا في الدنيا حيث (قال فاغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) . فان قال فقد قال تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين) لم يذكر فى هذه القصة أحوالهم المنتهية بهم الى عقاب الابد . قلت أولا ليست الآية على سنن الآي التى ذكرنا مما افتتح بقوله ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون فانها مثل الاثنتين المتقدمتين في تضمنها ذكر الجملة من ابتداء أحوالهم الى ما كان من هلاكهم لقوله (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) والهالكون فى الحقيقة هم المعاقبون بالنار والخلود فيها نعوذ بالله منها فقد صار كل ما ذكر فيه مع آياتنا وسلطان مبين هو ما اشتمل على جملة ما عوملوا به الي ان استقر مقرهم من عذاب الله الدائم عليهم وحقيقة السلطان من السليط وهو الزيت الذي يضيء به السراج والسلطان الحجة لانها تضيء فتبين الحق من الباطل

والسلطان الذي يملك الناس ضياء يدفع ظلام الظامة عنهم اذ كانوا لولا هو لصاروا من التغاور والتناهب في ظلام يتزايد ولا يتناقص كأنه ضياء يجلو ظلام الدنيا والآيات التي جاءت بعد التوراة والعصي واليد جاءت وقد أنارت وأوضحت عندهم الحق حتى سألوا أن يمهلوا ليؤمنوا اذ كشف عنهم ما أظلهم وان عادوا بعد كشفه جللهم

﴿ الآية العاشرة من سورة هود ﴾

قوله عز وجل ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ وقال في سورة القصص ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن الفرق بين وما كان ربك ليهلك القرى وبين قوله وما كنا مهلكي القرى وكيف اختصت الآية في سورة هود بلفظ الفعل في خبر كان والأخريان بالاسم وهو مهلك ﴿ الجواب ﴾ عن ذلك ان يقال ان هذه اللام تسمى لام الجحود ولا تخلو منه وهي تخالف لام كي بأشياء منها ان لام كي يصح اظهار أن بعدها اذا قلت جئت لتكرمني وهذه لا يصح فيها ذلك لا تقول ما كنت لان أفعل ومنها ان المصدر الواقع موقعه أن مع الفعل يصح اللفظ به فتقول جئت للاكرام ولا يصح ما كنت للاكرام ومنها ان اللام يصح حذفها والاتيان بأن مكانها فتقول جئت ان تكرمني ولا يجوز ذلك في لام الجحود والسبب في ذلك ان لام كي تدخل على ماهو عذر في انشاء الفعل ويصح ان يقصد به الماضي فحسب فتقول جئتك أمس لتكرمني فلم تفعل فهذا وان كان لفظه لفظ المستقبل فانه بمقارنة كان صار بمعنى الماضي كما تقول كان زيد يركب على حكاية الحال التي يستأنف فيها

الركوب ويقول القائل جئتك اليوم لتكرمني غداً فتى علق بزمان لم يصح فيه الزمان الآخر وكذلك ان كان زيد فاعلا يصلح للماضي والحال وعلى معنى انه كان على ان يفعل فى أقرب الأوقات التي يستقبلها وليس كذلك معنى ما كنت لافعل لانه مبالغة فى نفي هذا الفعل في الازمنة كلها والمعنى كون هذا الفعل مناف لكوني فاذا جعل السبب فى نفي هذا الحدث كون الحدث والحدث كونه فيما مضي كونه فيما يستقبل وفيما هو للحال فالمعنى لم يكن فيما مضى يقع مني هذا الفعل ولا يقع فيما يستقبل ولا فى الحال لسبب ينافى وجوده وهو كون الفاعل ولذلك لا يصح من الافعال في هذا المكان غير ما يتصرف لفظه من كان واذا كان كذلك وكان هذا نهاية فيما يخاطب به العرب في نفي الفعل وامتناع وقوعه خصه الله تعالى بالمكان الذى لا يقع منه ذلك أبداً ولم يقع منه قط وهو انه لم يكن فيما مضي يهلك القرى ظالما لها مع صلاح أهلها ولا يفعله ولا يليق بعدله وهو يتنزه عنه تعالى الله عن ذلك . وأما قوله (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) فانه لم يكن فيها صريح ظلم ينسب اليه ولم يكن ملفوظا به فيؤتى باللفظ الأبلغ فى نفيه كما كان فى قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم .. فان قال فلم ادعيت ان هذا أبلغ فى الانتفاء من الظلم . قلت أول ما يستدل به أن من عرف كلام العرب يعقل من قول القائل ما كنت لاظلمك وما كنت لاشتمك وما كنت لأوذيك ما لا يعقله من قوله ما كنت ظالما لك وما كنت شاتما لك وما كنت مؤذيا لك لان ذلك نفي الظلم والشتم فى وقت دون وقت واذا قال ما كنت لاشتمك فكأنه قال ما كنت بضام كوني شتيمة لك فيجعل

كونه منافياً لشتمه.. فان قال فلم ذا ألزم لفظة الاستقبال والنصب .. قلت لان التقدير ما كنت في شئ من الاوقات بمستقبل شتمك وما كان كونى بضام شتمك وهذا مستمر أبداً بينى وبينك فكما لم أشتمك لكونى كذلك لا أشتمك لكونى .. فان قال فلأى معنى لم يجز اظهار ان كما جاز فى لام كى . قلت لأنها لو ظهرت لوجب ان يصح الاسم مكانها فلما الزمت لفظة كنت وأكون وجب ان يكون النفى الداخل عليها خبراً ان كونى ينافى ان أفعل كذا وانى كما لم أحصل فى حال وجودى على استئناف شتمك كذلك لا أحصل على هذه الصفة وهى الشروع فى شتمك اذ كان وجودى هو الذى بنا فيه وجب ان يحفظ لفظ المستقبل المنصوب فلم يكن بد من اضمار ان .. فان قال فهلا جوزت حذف اللام كما كان ذلك فى لام كى .. قلت لان اللام شأنها يسد عن الفعل المنصوب طرق العوامل فكأنها أقيمت مقام ان لان اللام لا تدخل الا على الاسم فى المعنى وهذا موضع خبر كان فحفظ لفظ الفعل لما ذكرنا وألزم الحذف المختص بالاسم ليدل به على ان الموضع موضع الاسم فافهمه .. فان قال فهذا الفعل الذى حفظت له لفظ الاستقبال والنصب كيف جاز أن يراد به الازمنة كلها وهو مختص بزمان واحد . قلت هذا اللفظ يصحب كان فى الحال وفي الاستقبال تقول قصدت فلانا فكان يصلي تريد به الحال وتقول قصدته فكان قد ركب تريد به المستقبل ولو قلت فكان ركب لم يحسن حسنه مع قد التى تقرب من معنى المستقبل وعلى هذا حمل قوله تعالى (أو جاؤكم حصرت صدورهم) في بعض الاقاويل فكان ذلك عائداً الى لفظ الاستقبال وما يجوز لقربه منه فى المعنى فلذلك صلح النفى فى الاول واستمراره في المستقبل

﴿ الآية الحادية عشرة من سورة هود ﴾

قد تأخرت عن مكانها من السورة لانها سئل عنها بعد ما أملينا ما تقدم منها فذكرناها في آخرها لئلا تغير تراجم السائل وترتيب الآى فيها فان قال قائل في قوله تعالى في سورة هود ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا هوداً ﴾ وفي آخر السورة في قصة شعيب ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا ﴾ فعطف لما على ما قبلها بالواو وقال في قصتي صالح ولوط ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا ﴾ وقال ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ﴾ فعطف لما بالفاء دون الواو وما الفرق الذي أوجب اختلاف حرفي العطف في المواضع الاربعة من هذه السورة ﴿ الجواب ﴾ ان يقال ان هذا الحرف في قصة هود بعد خروج من خبر عنه حكاية لقوله الى ما هو اخبار من الله عما كان من فعله الا تراه قال تعالى (انى أشهد الله واشهدوا انى برىء) الى قوله (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً) أن يهلككم ويقيم غيركم مقامكم فينزل بكم أكبر الضرر ولا تضرونه شيئاً بعبادتكم غيره ثم قال (ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ) فلم يتقدم تخويف بقرب ما أوعدوا به ليدل على اتصال الثانى بالاول واقتضاء العطف بالفاء فكان الموضع موضع الواو لان المراد الجمع بين الخبرين من دون ذكر ما يقال الزمان بين الفعلين وكذلك قصة شعيب لم يدل فيها على أنهم أوعدوا بعذاب قد أظلهم وقرب منهم وانما أخبر عزوجل عن شعيب عليه السلام انه قال لهم (اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب) فلم يتوعدهم بالاقتراب بل دعاهم الى الارتقاب فالتخويف قارنه التسويف لقوله تعالى

سوف تعلمون فكان الموضع موضع الواو لخروج ماقبله عما يقتضى اتصال الثانى به وليس كذلك الموضعان اللذان نسقا على الاول بالفاء وهما قوله تعالى فى قصة صالح (فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجينا صالحا) وقوله فى قصة لوط (فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) فكان ذلك بعقبه غير متراخ عنه فاقتضى الفاء التى تدل على التعقيب واتصال مابعدها بما قبلها من غير مهلة بينهما وكذلك جاء في سورة العنكبوت فى قصة لوط في موضعين بالواو وهما على هذه السبيل فالاول قوله بعد قصة لوط وقوله لقومه ائنكم لتأتون الفاحشة الى قوله رب انصرنى على القوم المفسدين فاستنصر الله عليهم ولم يتوعدهم بقرب عذاب منهم وجاء بعده ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى فخرج عما كان بين لوط وبين قومه الى قصة هي بين ابراهيم والملائكة صلوات الله عليهم لما أتوه بالبشرى وباهلاك من فى قرية لوط فنزل لوط فيما كان من محاورتهم لابراهيم منزلة الغائب عنهم وكان الموضع موضع الواو لاختلاف القصتين وخلو الاولي عما يقتضي قرب مابين الحالين وكذلك قوله بعده ولما ان جاءت رسلنا لوطا سئ بهم وضاق بهم ذرعا خبر عن مجئ رسل الله عز وجل من الملائكة الى لوط وارتياعه لهم وفزعه لمجيئهم وكان مجيئهم الى ابراهيم عليه السلام مجئ المبشرين لما قالوا سلاما قال سلام فعطفت هذه القصة على الاولى بالواو لاختلاف مورديهما وانه لم يكن فى الاولى منهما مايقتضى التصاق الثانية بها فتعطف بالفاء عليها انقضت سورة هود عن احدى عشرة آية واثنتي عشرة مسئلة فكملت مائة واحدى وخمسين مسئلة

والله ولي التوفيق

﴿ سورة يوسف عليه السلام ﴾

(الآية الاولى منها)

قوله تعالي ﴿ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ﴾ وقال في سورة القصص في ذكر موسى عليه السلام ﴿ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن الفائدة فى تخصيص موسي بذكر بلوغ الاشد والاستواء واخلاء يوسف من ذلك وهل كان يصلح أحدهما مكان الآخر أم قصد الحكمة يمنع منه ﴿ الجواب ﴾ أن يقال ان بلوغ الاشد مختلف فيه قيل هو أن يبلغ ثلاثا وثلاثين سنة وقيل خمسا وعشرين سنة وقيل من عشرين سنة واحدى وعشرين لانه يقال ان الصبي يثغر لسبع سنين ويبلغ لسبع بعدها ويتناهى طوله لسبع بعدها وحجة من قال ذلك انه قال (آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين) فايتاء الحكم والعلم مجازاة على احسان كان منه وذلك بعد البلوغ وقيل ان بلوغ الاشد هو أن يحتلم والاشد جمع شد وهو قوى من العقل يحتمل التكليف ويجوز أن يكون البلوغ سمى الاشد لان الغلام اذا بلغ شدت أعماله وكتبت حسناته وسيئاته بعد أن كانت محلولة عنه غير مشدودة عليه وقد يأتى قبل البلوغ بحسنات يجازيه الله عليها وقيل في قوله بلغ أشده واستوى أى أدرك واستوت لحيته وقيل الاستواء أن يبلغ أربعين سنة وهو معنى بين في الآية الاخرى (حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة) والذى يفرق بين المكانين حتى لم ينتظر بيوسف عليه السلام الاستواء بعد بلوغ الاشد هو ان يوسف عليه السلام أخبر الله تعالى عنه أنه أوحى اليه لما طرحه اخوته في الجب حيث قال (وأوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم

لا يشعرون)وأراه عز ذكره الرؤيا التى قصها على أبيه وموسى عليه السلام لم يفعل به شيء من ذلك الى أن بلغ الاشد واستوى لانه لم يعلم ما أريد به الا بعد أن استأجره شعيب عليه السلام ومضت سنو اجارته وسار بأهله فهناك أتاه ما أتاه من كرامة الله تعالى وقيل انه بعد الاربعين فلم ينتظر بيوسف فى ايتاء الحكم والعلم والتشريف بالوحى ما انتظر به فى موسى والحكم هو الفصل بين المتحا كمين المبنى على العلم لانه يكون بحسب مايدعو اليه وقيل معنى استوى كمل جسده وتم طوله وعرضه وخرج عن جملة الأحداث

﴿ الآية الثانية من سورة يوسف ﴾

قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى ﴾ وقال فى سورة النحل ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر ﴾ وقال تعالى فى سورة الانبياء(وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) ﴿للسائل﴾ ان يسأل فيقول هل بين قوله وما أرسلنا من قبلك وقوله وما أرسلنا قبلك فرق ولاى معنى خص موضع بحذف من وموضع باثباتها ﴿ الجواب ﴾ أن يقال ان من لابتداء الغاية وقبلك اسم للزمان الذى تقدم زمانك فاذا قال وما أرسلنا من قبلك فكانه قال وما أرسلنا من ابتداء الزمان الذى تقدم زمانك فيخص الزمان الذى يقع عليه قبل تحديه ويستوعب بذكر طرفيه ابتدائه وانتهائه واذا قال وما أرسلنا قبلك فمعناه ما فعلنا في الزمان الذى تقدم زمانك فهو فى الاستيعاب كالاول الا ان الاول أوكد للحصر بين الحدين وضبطه بذكر الطرفين والزمان المتقدم قد يقع علي بعض ماتقدم فيستعمل فيه اتساعاً

فا كثرما فى القرآن وما أرسلنامن قبلك ولم يجئ بحذف من الا في موضعين احدهماهذا والآخر (وما أرسلناقبلك من المرسلين الا انهم ليأ كلون الطعام) فاما الاول فانه حذفت منه من بناء على الآية المتقدمة وهى (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون) فلما كان الزمان الذى تقدمهم هو الزمان الذى تقدم النبي صلى الله عليه وسلم المذكور فى قوله وما أرسلنا قبلك وكانت قبل اذا عريت من من موضوعة للزمان المتقدم كله صار بناؤه على قبل مذكورا كالتوكيد الواقع بمن في سائر المواضع فاما قوله (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) فانما لم يؤكد بمن لان المعتمد بالخبر انما هو الحال التى للمرسلين وهى انهم يأكلون الطعام وليسوا من الملائكة الذين طلب الكفار أن يبعثوا اليهم وأخبر الله تعالى به عنهم فى قوله (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) .. فان قال فقد جاء قوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته) والقصد ذكر حال الرسول والنبي وهو المعتمد بالخبر فأ كد مع ذلك قبلك بمن .. قلت القصد بمن في هذا الموضع توكيد ذكر الرسول وذكر حاله ألا تراه قال من رسول ولا نبي فجمعهما فى نفى ما نفى عنهما الاما أثبته لهما بعد قوله الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فلما كان المكانان معتمدين بالخبر صح التوكيد وكان المقصود

﴿ الآية الثالثة من سورة يوسف ﴾

قوله عز وجل ﴿ أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ﴾ وقال فى سورة الروم ﴿ أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة

وأثاروا الارض ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عما جاء من هذا في القرآن بالفاء وما منه جاء بالواو والمعنى المقتضي لكل واحد من الحرفين ﴿ الجواب ﴾ أن يقال كل موضع تقدم قوله أفلم يسيروا في الارض فانه في موضع يقتضي الاول وقوع ما بعده بالفاء وكل موضع تقدم أو لم يسيروا فانه في المواضع التى لا تقتضي الدعاء الى السير والبعث على الاعتبار فيكون ذاك مؤديا اليه وانما يكون بالواو عطف جملة على جملة وان كانت الثانية أجنبية من الاولى فقوله في سورة يوسف أفلم يسيروا قبله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) معناه كان الرسل من القرى التى بعثوا اليها فلما طغوا نزل بهم من العذاب ما بقي أثره في ديارهم من الخسف والانقلاب فصار معنى قوله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) أى لم يكونوا الا رجالا أرسلوا اليهم فخالفوهم فاعتبروا أنتم بآثارهم ومشاهدة ديارهم لتجتنبوا ما يجلب عليكم مثل حالهم وكذلك قوله تعالى في سورة الحج (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) هو بعد قوله (فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد) فكأنه قال اذا كان كذا فسيروا في الارض واعتبروا فأما قوله في الروم (أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض) فانه لم يتقدمه ما يصير هذا كالجواب عنه اذ لم يجر ذكر حال أمة من الامم خالفت نبيها فعوقبت على فعلها بل الآية التى قبلها قوله (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون) فكان الموضع موضع الواو وهذا مع انه معطوف على قوله

أو لم يتفكروا وهو بالواو فكان حمله على ذلك مع اقتضاء المعنى للواو وهو الواجب . وقوله في سورة الملائكة (أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء) لم يتقدمه ما يكون هذا كالجواب عنه فلم يحسن الا الواو ولان الآية التي قبله ليست في وصف قوم عوقبوا على مخالفة نبيهم وبقيت آثار ما نزل بهم من العذاب في منازلهم وديارهم . وكذلك قوله في سورة المؤمن (والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الارض) فالآيات التي تقدمت هذا ليس فيها ما يقتضي ان يكون هذا كالجواب له فلذلك جاء بالواو فأما الآية التي في آخر هذه السورة وهي أفلم يسيروا في الارض فان ما قبلها يقتضى الفاء ألا ترى قوله (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) فانه في وصف من بعث من الانبياء ومجيء أمر الله فيمن خالفهم وكيف خسر مبطلهم .. فان قال فقوله في سورة محمد صلى الله عليه وسلم (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) لم يتقدمه ما يقتضي الفاء .. قلت قوله (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فاحبط أعمالهم) معناه ان أولياء الله منصورون وان الكفار مخذولون فليعتبروا بمن تقدمهم في الكفر ليعلموا أنهم صائرون الى مثل حالهم

(الآية الرابعة من سورة يوسف)

قوله تعالى ﴿ ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون ﴾ وقال تعالى فى سورة الاعراف ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ وكان حق هذه الآية ان تذكر هناك الا أنا ذكرناها لما انتهينا الى هذا المكان وقد تقدمت نظيرتها وهى قوله وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فى الآيتين عن موضعين أحدهما قوله تعالى في سورة الاعراف والدار الآخرة بوصف الدار بالآخرة وفي الآية التى في سورة يوسف أضاف الدار الى الآخرة . والثانى قوله للذين يتقون هناك وفي هذا المكان خير للذين اتقوا أفلا تعقلون *(فالجواب)* عن الاول ان قبله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى فقوله هذا الادنى انما يعنى هذا المنزل الادنى وهو والدار الدنيا بمعنى واحد فلما جعل الادنى وصفا للمنزل ذكر الدار الآخرة بعده فجعل الدار موصوفة والآخرة صفة لها وكل يؤدى معنى واحدا الا انه يختص ببعض اللفظ دون بعض لمشاكلة ما قبله وموافقته له . فأما قوله ولدار الآخرة فى يوسف فان قبله أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة والساعة هى الساعة الآخرة وهى القيامة فلما ذكرت الدار أضيفت اليها فكأنه قال ولدار الساعة الآخرة خير فتقدم كل آية ما كان المذكور بعده أليق به ﴿ والجواب ﴾ عن المسألة الثانية وهى قوله للذين يتقون فى سورة الاعراف وقوله للذين اتقوا فى سورة يوسف هو ان القوم دعوا الى الاعتبار بأحوال الأمم الذين أهلكوا في أزمنة أنبيائهم بالنظر الى منازلهم وهي خاوية على

عروشها ليعلموا ان دار الآخرة خير لمن اتقى منهم وقوله في سورة الاعراف ترهيب لليهود الذين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وارتشائهم على كتمان أمر النبي صلى الله عليه وسلم وترغيب لهم فيما عند الله اذا صدقوا عما في كتاب الله عز وجل والترغيب والترهيب لا يتعلقان الا بالا نف المستقبل فلذلك قال للذين يتقون أفلا تعقلون وفى هاتين الآيتين مسئلة ثالثة وهى ادخال اللام على دار الآخرة فى سورة يوسف وأخلاؤها منها فى سورة الاعراف فى قوله والدار الآخرة ﴿والجواب﴾ عن ذلك ان قوله ولدار الآخرة جاء بعد قوله فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ومعناه فيعلموا كيف حال من قبلهم وان الدار الآخرة خير لهم فاللام هى التى تدخل على المبتدأ فتعلق الفعل والفعل هو فيعلموا لدار الآخرة خير كما تقول علمت لزيد أفضل من عمرو وأما قوله والدار الآخرة فى سورة الاعراف فلم يتقدمه ما يقتضى اللام بل قوله (أولم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير) من غير ان يتقدمه ما يجرى مجرى التوكيد والقسم الذى يتلقى باللام انقضت سورة يوسف عليه السلام عن أربع آيات وخمس مسائل

﴿ سورة الرعد ﴾

﴿ الآية الأولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا﴾ الى قوله ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ وقال بعده ﴿وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب﴾ الى قوله ﴿ان فى ذلك لايات لقوم

يعقلون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن قوله يتفكرون وقوله في الآية التي بعدها يعقلون هل كان يصح احدهما مكان الآخر ﴿ والجواب ﴾ ان يقال ان التفكر هو المؤدى الى معرفة الشيء والعلم بالآيات التي تدل على توحيد الله تعالى وهو قبل فاذا استعمل على وجهه عقل ماجعلت هذه الاشياء أمارة له ودلالة عليه فبدأ في الاول بما يحتاج اليه أولا من التفكر والتدبر المفضيين بصاحبهما الى ادراك المطلوب وخص الآخر بما يستقر عليه آخر التفكر من ادراك سكون النفس الى عرفان مادلت الآيات عليه فكان في تقديم ماقدم وتأخير ما أخر إشارة اليه

﴿ سورة ابراهيم ﴾

﴿ الآية (١) الاولي منها ﴾

قوله تعالى ﴿ الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴾ وقال في سورة النمل ﴿ أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول قال في هذه الآية الاولي وأنزل من السماء ماء وقال في الثانية وأنزل لكم من السماء ماء فما الذى أوجب ذكر لكم في الثانية ولم يوجبها في الاولى ﴿ والجواب ﴾ ان لكم في آخر الآية الاولى مذكورة لانه قال فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فاغنى ذكرها هناك عن ذكرها أولا والآية الثانية لما لم يكن في آخرها ذكر انه فعل ذلك لهم ذكر في أولها لكم لان بعدها فانبتنا به حدائق

(١) في نسخة الكتبخانة قبل قوله الآية الاولي قد تقدمت نظائر آيات فيها قبلها فذكرت معها الاية الخ

ذات بهجة وليست لكم في قوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها يكفى من ذكرها فى أولها لانها فى معنى غير معنى خلق لكم أصناف النعم

﴿ سورة الحجر ﴾

(الآية الاولى منها)

قوله تعالى *(فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين)* وقال في سورة ص ﴿ وان عليك لعنتى الى يوم الدين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول اذا كان المراد باللعنة وبلعنتى شيئاً واحداً فما بال اللفظين اختلفا فجاء فى سورة الحجر بالالف واللام وفي سورة ص مضافا وهل يصح في الاختيار أحدهما مكان الآخر ﴿ الجواب ﴾ أن يقال ان القصة فى سورة الحجر ابتدئت فى المتمد بالذكر وهو خلق الانسان والجن باسم الجنس المعرف بالالف واللام بقوله (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) ثم قال مالك أن لا تكون مع الساجدين وكان ما استحقه ابليس بترك السجود من الجزاء ما أطلق عليه اللفظ الذى ابتدئت بمثله القصة وهو اسم الجنس المعرف بالالف باللام وكان الامر في سورة ص بخلاف ذلك لان أول الآية (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين) فلم تفتتح الآية بذكر الصنفين من الجن والانس باللفظ المعرف بالالف واللام كما كان فى سورة الحجر ولما كان موضع مالك الا تكون مع الساجدين جاء بدله ما منعك أن تسجد ثم

قال لما خلقت بيدى استكبرت فجعل بدل الساجدين أن تسجد ثم قال لما خلقت بيدى نخصصه بالاضافة اليه دون واسطة يأمره بفعله أجرى لفظ ما استحقه من العقاب على لفظ الاضافة كما قال بيدى فقال وان عليك لعنتى فكان الاختيار فى التوفقة بين الالفاظ الذى افتتحت بها الآية واستمرت الى آخرها هذا

(الآية الثانية منها)

قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لاية للمؤمنين﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسئل فيقول لاى معنى جمع الاية فى القصة التى وحدها فيها بعد فقال لايات للمتوسمين ثم قال لاية للمؤمنين وهل كانت الايات لو ذكرت في الثانية والاية لو ذكرت فى الأولي مما يكون فى اختيار الكلام ﴿الجواب﴾ ان يقال ذلك في قوله ان فى ذلك لايات للمتوسمين اشارة الى ما قص من حديث لوط وضيف ابراهيم وتعرض قوم لوط لهم طمعاً فيهم وما كان من أمرهم آخرا من اهلاك الكفار وقلب المدينة علي من فيها وامطار الحجارة على من غاب عنها وهذه أشياء كثيرة فى كل واحد منها آية وفى جميعها آيات لمن يتوسم أى لمن يتدبر السمة وهى ما وسم الله تعالي به العاصين من عباده ليستدلوا بها على حال من عند عن عبادته فتجنبها وكان ذكر الايات هاهنا أولى وأشبه بالمعنى . وأما قوله وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لاية للمؤمنين أى تلك المدينة المقلوبة ثابتة الاثار مقيمة للنظار فكأنها بمرأى العيون لبقاء آثارها وهذه واحدة من تلك الايات فلذلك جاء عقبها ان في ذلك لاية للمؤمنين

﴿ سورة النحل ﴾

(الآية الأولى منها)

قوله تعالى ﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسئل عن توحيد الاية أولا وآخراً وعن جمعها في المتوسطة ولم كان ذلك الاختيار وفى كل ذلك آيات كثيرة ولم عبر عنها بآية واحدة لدلالتها [1] بمجموعها على واحد ﴿ والجواب ﴾ ان يقال انما وحد فى الاول لان جميع ما أخبر عنه انه خلقه انما هو في جنس من صنعه ونوع من خلقه وهو كل ما نجم من الارض مما فيه قوت الخلق والذى ذكر فيه الآيات الليل والنهار وهو اظلام الجو لغروب الشمس الى طلوع الفجر وبدو الضياء مقدمة طلوع الشمس الي غروبها والشمس والقمر النيران اللذان في كل واحد منهما آيات كثيرة ثم النجوم السيارة وغيرها الى ما جعل الله تعالى لكل واحد منها من مسير فى فلك ثم ما أجرى العادة به من احداث ريح أو مطر عند انتهاء أحدها الى بعض المجارى فكان ذكر الآيات هنا أولى وذكر الاية فى الاولى أحق لان الاولى فيما يطلع من الارض بالماء وكأنه جمع وجميعها شئ واحد والثانية بخلافها ولذلك اختلفا . واما الثالثة فهى وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه المعنى والله أعلم جميع جواهر الارض كالذهب والفضة والحديد

(١) ليست هذه الجملة في نسخة الكتبخانة

وغيرها من الفكر والتنبيه على ما جعل فيها من المنافع للخلائق وهى كلها كالشيء الواحد فى انها عروق جارية مختلفة فى شيء واحد هو أمها وهى الارض ولذلك قدم الانعام بالزرع والثمار لعلم الخاصة والعامة بما فيها من قرب النفع وامتساك الخلق ثم عقب ذلك بما هو أصله من الهواء وماء السماء والكواكب التى جعلها قواما لتربية ما به ثبات البرية فلما صرف العقول الى ما نصب من الامارات فى أصناف ما بثه فى البر أتبعه بما سخر له من البحر

﴿ مسئلة ثانية ﴾ فى هذه الآيات .. فان قال قائل فلم قال فى الاولى ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وقال فى الثانية لقوم يعقلون وفى الثالثة لقوم يذكرون

﴿ الجواب ﴾ ان التفكر اعمال النظر لتطلب فائدة وهذه المخلوقات التى تنجم من الارض اذا فكر فيها علم ان معظمها ليس الا الا كل وان الا كل به قوام ذى الروح وان المنعم عليه يحتاج أن يعرف المنعم به ليقصده بشكر احسانه فهذا موضع تفكر بعث الناس عليه ليفضي بهم الى المطلوب منهم وأما تعقيب ذكر الليل والنهار وما سخر فى الهواء من الانواء بقوله لعلكم تعقلون فلأن متدبر ذلك أعلى رتبة من متدبر ما تقدم اذ كانت المنافع المجعولة فيها أخفى وأغمض فمن استدرك الآيات فيها استحق الوصف بما هو أعلى من رتبة المتفكر المتدبر لانه المنزلة الثانية التى تؤدى اليها الفكرة وهو أن يعقل مطلوبه منها ويدرك فائدته منها.. وأما الاية الثالثة وهى لآية لقوم يذكرون فلانه لما نبه فى الاولين على اثبات الصانع نبه فى الثالثة على أنه لا شبه له مما صنع لان من رأى المخلوقات أصنافا مزدوجة مؤتلفة أو مختلفة نفى عنه صفاتها وعلم أن خالقها يخالفها لا يشبهها ولا تشبهه وقال فى سورة ق (والارض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل

عبد منيب) أي فعلنا ذلك لنبصركم ولنريكم آياتنا ولنذكركم بازدواجها مخالفة صانعها كما قال (ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) فيعلم بعد العلم بما تقدم انه لا صاحبة له ولا ولد ولا شبه له فيما أنشأ وبرأ اذا تذكر حاله فيما اتفق فيه واختلف

﴿ الآية الثانية من سورة النحل ﴾

قوله تعالى ﴿ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ وقال فى سورة الملائكة ﴿ وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طرياً وتستخرجون منه حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول أية فائدة خصت فى الآية الاولى أن تقدم فيها مواخر على قوله فيه وأن تدخل فيه الواو على ولتبتغوا وأية فائدة خصت فى الآية الثانية من سورة الملائكة أن يقدم فيها قوله فيه على مواخر وأن تحذف الواو من قوله لتبتغوا ﴿ الجواب ﴾ أن يقال لما ذكر الله تعالى في سورة النحل النعم التي سخر البحر من أجلها فقال وهو الذى سخر البحر لكذا وكذا فعد جملا ثلاثا من نيل سمكه واستخراج حليه وطلب فضله بركوبه كان وجه الكلام أن يعطف الثالثة على ماقبلها بالواو ولان نعمة التسخير نظمها مع ماتقدمها والمشتركات فى فعل حقها أن يعطف بعضها على بعض لتستوى فى تعلقها به واجتماعها فيه فلما ذكر النعمتين فى قوله لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها احتاج ذكر النعمة الثالثة في عطفها على ماتقدم الي وصف ما عليه البحر مما وطأه الله منه ليتمكن منه من الثالثة وهى مايطلب

من فضل الله تعالى بأنواع التجارات في البحر ونقل الامتعة فيه من مصر الى مصر الى سائر ماعلق به مصالح الخلق من الاودية المفترقة على وجه الارض فقال وترى الفلك ، واخر فيه لان الابتغاء من فضل الله بتسهيل السير فيه ولا سبيل اليه الا بالفلك وسيرها بشق الماء يميناً وشمالا لتجرى الى الجهة المقصودة وليس قوله وترى الفلك عطفا على تستخرجون منه لانه خطاب واحد وما قبله وما بعده خطاب جمع فهو مباين لهما فى ذلك وفى العامل والاعراب ولهذه اللفظة اختصاص اذا استعملت يقصد بها كون الشيء على تلك الصفة التى اذا استعمله طالب رآه عليها وليس الضمير لواحد مخصوص معين دون غيره لكنه كقوله يا أيها الرجل وكلكم ذاك الرجل وكما ترى العراقى أرق طبعاً من الجبلى وترى البصرى أفصح من الواسطى وكما قال الشاعر

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفى أثوابه أسد هصور

وعلى هذا الوجه قوله تعالى (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم) وكقوله (وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى) وقوله تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون) وكقوله تعالى (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً) فى سورتى الزمر والحديد) وكقوله (وترى الملائكة حافين من حول العرش) والدليل على ماذكرنا من الآية أن قبل قوله وترى الفلك فعل جماعة وهو لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وبعدها أيضاً فعل جماعة وهو ولتبتغوا من فضله والمعنى فى كل ذلك أنه على هذا الوصف فمن رآه رآه عليه واذا كان الامر فى موقع هذه الجملة من الجملتين المتقدمة والمتأخرة على ما بينا صار ما بعدها محمولا

على ماقبلها فوجب عطف الثالثة عليه بالواو ولان حجزها لايعتد به ولان الفعل الذى هو سخر لكم البحر يقتضى اشراكه فيما دخل فيه ماقبله ولان مواخر قد فصل قوله فيه بينها وبين قوله ولتبتغوا فاجتماع هذه الاسباب أوجب اختيار الواو فى هذا المكان فى قوله ولتبتغوا وأما تقديم مواخر فى هذا المكان على قوله فيه فلقوة حكم الفعل الذى اعتد الله بذكره على عباده فى هذه الآية لانها مصدرة بقوله وهو الذى سخر البحر واذا قوي حكم الفعل فى مكان وجب أن يرتب مايتعدى اليه على مايقتضيه فى الاصل وهو أن يقدم فى الفعل المتعدى الى مفعولين مفعوله الاول الذى أصله أن يكون معرفة ثم مفعوله الثانى الذى أصله أن يكون نكرة ثم الظرف الذى هو كالفضلة فجاء على هذا الاصل . فأما تقديم فيه في الآية الاخرى على مواخر فلان الفعل الذى قدم فيها وعطف هذا عليه بولغ فى تقديم الجار والمجرور فيه مبالغة لامدى وراءها ولا زيادة عليها ألا تراهما قدما على الفعل نفسه وهو ومن كل تأكلون لحما طريا فلما عرض قوله وتري الفلك بعد فعل هذه صفته وقد حصل فيه مفعولان وجار ومجرور قوى تقديم الجار والمجرور فيه على أحد مفعوليه ليعلم أنه من جملة كلام بنى الفعل فيه على تقديم الجار والمجرور عليه . وأما حذف الواو من قوله لتبتغوا فلانه لم تبن الآية على فعل يقتضى استيعاب مايتعلق به كما كان فى قوله وهو الذي سخر البحر لكذا وكذا وذكر بعضه أثر بعض ثم صارت مواخر تلي قوله لتبتغوا وصح تعلق الكلام بمعنى المواخر لان معناها التى تشق الماء وتسير بأهلها والله سخرها على هذه الصفة لتبتغوا من فضله فيما جعل الطريق اليه من المنافع التى لاتنال الا بها وقد ذكرنا نبذا منها فلما اتصلت مواخر بقوله لتبتغوا ولم يحجز بينهما ظرف استغنى عن الواو

لذلك ولانه لم يتقدم فعل بنيت عليه الآية دال علي تعلقه بنعم يجب أن ينسق بعضها على بعض كما كان فى قوله وهو الذى سخر البحر اذ أول هذه الآية (وما يستوى البحر ان هذا عذب فرات سائغ شرابه وهـذا ملح أجاج) فبان الفرق بين الموضعين فيما يختارله اثبات الواو وتركها

(الآية الثالثة منها)

قوله تعالى ﴿فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ وقال فى سورة الزمر ﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ وقال فى سورة المؤمن ﴿ ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول مابال الآية فى سورة النحل خصت وحدها بدخول اللام على قوله لبئس فيها واخلاء الآيتين من السورتين مما فيها قبلهما (الجواب) أن يقال ان الآية من هذه السورة فى ذكر قوم قدضلوا في أنفسهم واضلوا غيرهم وهم الذين أخبر الله تعالى عن اتباعهم انهم سألوهم عن القرآن فقالوا ليس من عند الله وانما هو أساطير الاولين قال تبارك وتعالى(واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الاساء مايزرون) وهؤلاء أكثر الناس آثاماً وأشدهم عقابا ومن هذه صفته اختير عند تغليظ العقاب له الى المبالغة فى تأكيد لفظه فاختيرت اللام هنا لذلك ولان بعدها في ذكر أهل الجنة قوله (ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين) فاللام في لنعم بازاء اللام في لبئس وليس كذلك الآيتان فى سورة الزمر والمؤمن لانهما فى ذكر جملة الكفار قال الله عز من قائل (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً) وقال في سورة المؤمن (الذين كذبوا بالكتاب

وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) الى قوله ادخلوا فلما كان المذكورون في سورة النحل فيمن لزمهم وزران عن ذنوبهم التي أتوها وعن ذنوب غيرهم التي حملوا عليها ولم يذكر من سواهم في الآيتين الأخيرتين يحمل أثقالا مع أثقالهم حسن التوكيد هناك فضل حسن فلذلك خص باللام

﴿ الآية الرابعة من سورة النحل ﴾

قوله تعالى ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ وقال في سورة الروم ﴿ واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ وقال قبلها في سورة العنكبوت ﴿ فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول ما بال الآية في العنكبوت وحدها خصت بقوله وليتمتعوا وجاءت الآيتان الاخريان بلفظ الامر علي معنى التهديد وهو فتمتعوا ﴿ الجواب ﴾ ان يقال ان الآية الاولى افتتحت بخطاب الشاهد فأجرى قوله فتمتعوا على هذا اللفظ والآية الاخيرة افتتحت بالاخبار عن الغائب وهو فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ومر سائر الافعال في في هذه الآية على ذلك ولم يكن لها نظيرة في لفظها ترد اليها فاجري قوله وليتمتعوا عليه والآية التي في سورة الروم وان افتتحت بلفظ الاخبار عن الغائب فان لها في لفظها نظيرة ردت اليها وصارت كالفرع عليها وهي قوله (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي

ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) فهذه الآية مفتتحة بمثل ما افتتحت به تلك الا ان هذه الآية لواحد من الناس وتلك للجمع فصارت كالفرع على الاولى فكان حملها فى هذه اللفظة عليها أولى والسلام

﴿ الاية الخامسة من سورة النحل ﴾

قوله تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى﴾ وقال فى سورة الملائكة ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى﴾ *(للسائل)* أن يسئل عن قوله في الاولى بظلمهم وقوله ما ترك عليها وعن قوله في الثانية بما كسبوا ما ترك على ظهرها *(فالجواب)* ان يقال قد تقدم في العشر التي تليها ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الخبر عن الذين نهوا أن يتخذوا الهين اثنين وان يشركوا الاصنام فى عبادته وان يجعلوا لها نصيباً من مالهم ويدعوا الملائكة بنات ربهم وان يئدوا بناتهم خوف املاقهم وكل ذلك من أفعالهم ظلم منهم لانفسهم مع ظلمهم لغيرهم فقال تعالى ولو يؤاخذهم الله بما ظلموا به غيرهم وأنفسهم واجرى حكمه على معاجلة المذنبين بعقوباتهم لاتى ذلك على نفس كل انسان اذلا أحد يعد آباءه الا ويجد فيهم من عصى ربه فلو اخترم من عند خطيئته لا نقطع نسله ولا طريق الى ولد لا يصح أصله فذكر فى هذه الآية التابعة لما أخبر به عن الظالمين أنواع الظلم التى نسقها في العشر التى تقدمها ثم قال ما ترك عليها من دابة يريد على الارض وذلك من الايجاز الذى يقوم مقام الاكثار والاظهار تقول العرب ما فوقها أصدق من فلان ولا تحتها أكذب من فلان يعنون فوق الارض

وتحت السماء وقوى اضمار هذا الاسم لشهرة الاستعمال فيه ولان المذكور مشاهد لكل متكلم يقدر على الاشارة اليه يجرى مجرى أنا وأنت فى صحة العلم به والامن من لبسه بغيره ٠فأما قوله فى السورة الاخرى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا والمراد ما كسبوا من الآثام وان كان كسب يستعمل فى الخير والشر كقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فلماحذر الانسان بهذه اللفظة ما تجنيه يداه ويكون هو المؤاخذ به دون من عداه وجاء بعده ما ترك على ظهرها والمراد ظهر الارض ولم يذكر الظهر فى الآية الاولى لتقدم الظاء فى المبتدأ بعد لو والظاء تعز فى كلام العرب ألا ترى انها ليست لامة من الامم سوى العرب فلما اختصت بلغتها وتجنبت الا فيها استعملت فى الآية الاولى فى المبتدأ واستعملت فى الآية الثانية في جواب ما بعد لو لهذا ولم تجئ في هذه السورة الا فى سبعة أحرف تكررت نحو الظلم والنظر والظل وظل وجهه والظفر والعظيم والوعظ وأجريت مجرى ما استعمل من الحروف فلم يجمع بينهما فى جملتين معقودتين عقد كلام واحد وهما ما بعد لو وجوابها وحسن التأليف وقصد الحروف مراعى فى الفصاحة لا يخفى على أهل البلاغة

﴿ الآية السادسة منها ﴾

قوله تعالى ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الي النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من

كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ *(للسائل)* أن يسئل في هذه الآي عن ثلاث مسائل .. احداها عن توحيد الآية في جميعها ومنها ما فيه آيات . والثانية عن قوله يسمعون في الاولى ويعقلون في الثانية ويتفكرون في الثالثة . والثالثة عن قوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وقال في سورة المؤمن وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها فأعاد في أحد الموضعين ذكر المذكر وفي الآخر ذكر المؤنث واللفظان سواء فهل كان يجوز ان يكون حيث أعاد المذكر مذكراً يعود مؤنثا وحيث عاد مؤنثا يعود مذكراً ﴿ المسئلة ﴾ الاولى يجاب عنها فيقال لما كان المذكور في كل آية صنفاً واحداً جعل ما دل منه علي الصانع آية واحدة .. فان قال فان في الانعام وثمرات النخيل والاعناب قد جمعت وليس جميعها صنفا واحداً وكان علي نظر قضيتك يجب في الاختيار ان يقال هنا ان في ذلك لآيات .. قيل له ان قوله ان في ذلك اشارة الى ثمرات النخيل والاعناب دون الانعام وذلك صنف واحد فلذلك قال آية وأما الانعام فقد اسند بذكر الآية فيها قوله في ابتداء آيتها وان لكم في الانعام لعبرة فكانه قال لكم فيها آية اذ الاعتبار يؤدي اليها فخلصت ان في ذلك للصنف الواحد من ثمر الشجر . وأما الثالثة فمقصود بها النخل خاصة فلذلك قال ان في ذلك لآية ﴿ والمسئلة ﴾ الثانية يجاب عنها فيقال انما ذكر يسمعون في الاولي توبيخا لمن أنكر البعث واستبعد الحياة الثانية فكانه قيل له ان ذلك قبل التدبر مقرر في أول العقل حتي ان من يسمعه يعترف به وهو ان الارض الميتة يسقيها الله بماء السماء فتعود حية بنباتها فكذلك لا يستنكر ان يحيي الخليقة بعد

موتها وأما اختصاص الثانية بقوله يعقلون فلأنه قال (نسقيكم من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) وقد علمنا ان الفرث لا ينعصر منه ما يسوغ للشارب وان الدم أحمر فيحول بقدرة الله لبناً أبيض طيباً بعد بعده مما استحال عنه في اللون والطيب ففيه عبرة لمن اعتبر ولما قرن اليه ثمرات النخيل والاعناب وما يتحول من عصيرهما الى ما يستلذ ويجلب ما يسر سوى طيب رطبها ويابسها احتاج ذلك الى تدبر يعقل به صنع صانع لا يقدر غيره عليه فلذلك قال في الثانية يعقلون . واما اختصاص الثالثة بقوله يتفكرون فلان التفكر استعمال الفكر حالا بعد حال وفي النحل عجائب من صنع الله تتبع كل اعجوبة أعجوبة من طاعتها لرئيسها ثم اشكال ماتبنى من بيوتها التي لو حاول الانسان مثلها بأمثلة يحتذيها وتقديرات يقدمها لتعذر عليه ثم انها تجنى من أزاهير النبات والاشجار ماهداها اليه الهام الله لها وأرشدها اليه ثم تقلس ما يجتمع في جوفها عسلا فهذه أشياء تقتضي فكراً بعد فكر ونظراً بعد نظر فلذلك عقبت بقوله يتفكرون ..

والمسئلة الثالثة تجاب عنها بأن يقال ان الانعام في سورة النحل وان أطلق لفظ جمعها فان المراد به بعضها ألا ترى ان الدر لا يكون لجميعها وان اللبن لبعض اناثها فكأنه قال وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ولهذا ذهب من ذهب الى انه رد الى النعم لانه يؤدي ما تؤديه الانعام من المعنى والمراد والله أعلم ما ذكرنا بالدلالة التي بينا وليس كذلك ذكرها في سورة المؤمنين لانه قال نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون فاخبر عن النعم التي في أصناف النعم اناثها وذكورها فلم يحتمل أن يراد بها البعض كما كان في الأول ذلك

﴿ الآية السابعة من سورة النحل ﴾

قوله تعالى ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ان الله عليم قدير ﴾ وقال في سورة الحج ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول ما الفرق بين قوله لكيلا يعلم بعد علم شيئاً اذا لم يكن فيه من وبين قوله لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ولأى معنى اختصت الآية من سورة الحج بمن وخلت منها الآية في سورة النحل ﴿ الجواب ﴾ أن يقال ذكر في سورة النحل الجملة التي فصلت في سورة الحج وكانت لفظة بعد لجملة الزمان المتأخر عن الشيء قال والله خلقكم فاجمل ما فصل في السورة الاخرى وبعده ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً اى يعزب عنه في حال الهرم ما كان يعلمه قبل من الحكم ويستدركه من الآراء المصيبة ويرتكبه من المذاهب القويمة كان هذا موضع جمل لا تفصيل معها ولا تحديد ولم يكن كذلك الامر فى سورة الحج لأنه قال (ياأيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب) يعنى أصلكم وهو آدم عليه السلام (ثم من نطفة) أولاده (ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم) فذكر تفصيل الاحوال ومباديها فقال من كذا ومن كذا الابتداء كل حال ينتقل منه الى غيره فبنى ذكر الحال التي ينتقل فيها من العلم الى فقده على الاحوال التي تقدم ذكرها فكما حدد أوائلها بمن كذلك حدد الحال الاخيرة المنتقلة عما قبلها بمن فقال من بعد علم أى فقد العلم من بعد ان كان عالماً فبان الموضع الاول لذلك

﴿ الآية الثامنة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ وقال في سورة العنكبوت ﴿ أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول ما بال الآية من سورة النحل زيد فيها هم وخلت منها الآية من سورة العنكبوت ﴿ الجواب ﴾ أن يقال ان الكلام في سورة النحل قد نقل عن الخطاب الذي يصلح لغير الكفار الى الاخبار عنهم وهو قوله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) ثم انتقل الكلام عن الخطاب العام الى الاخبار الخاص فقال أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون فأكد الكلام بقوله هم لئلا يتوهم أن هذا الاخبار خطاب وهو بالتاء دون الياء اذ لا فرق في الخط بينهما ولم يكن كذلك الامر في سورة العنكبوت لان الاخبار المستمر في الآية التي قبل هذه أغنى عما يحصره للخبر دون غيره وهو قوله (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) فترادف الاخبار عن الغيب أغنى عن توكيده بما يحصره على الخبر وذلك واضح لمن تدبره انقضت سورة النحل عن ثمان آيات واحدى عشرة مسئلة والله الموفق للصواب

﴿ سورة الاسراء ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفوراً ﴾ وقال في هذه السورة ﴿ ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفوراً ﴾ وقال فى سورة الكهف ﴿ ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شىء جدلا ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن اختلاف هذه الآيات في قلة لفظ الاولى والتقديم والتأخير في الثانية والثالثة ﴿ الجواب ﴾ أن يقال ان الأولى جاءت بعد اخبار عن المتمردين من الكفار وعما آل اليه أمرهم من الزمان من مبتدأ السورة ثم عما أقامه من الدلائل النيرة والآيات البينة وما علقه من الحساب بالأهلة وآية النهار المبصرة الى ماحذر من حال الآخرة واشتمال الكتاب على ماقدم من الحسنة والسيئة ومابعد ذلك من الأوامر والنواهى فجاء بعد ذلك كله قوله تعالى (ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا) فأبهم القول ليحيط بأنواع تصاريف الكلام من الخبر والعبر وضرب المثل والأمر والنهى والوعظ والزجر اذ كان فيما قبله كل ذلك وأما الآية الثانية فانها جاءت بعد الأولى وبعد أمثال ضربت نحو (ومن كان فى هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) وبعد تخويف النبي صلى الله عليه وسلم وتحذيره كتحذير الناس كلهم اذ يقول (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره) الى قوله (اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً) فقال بعده وقدم الناس (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) تنبيها

للناس وليهتموا بتفهمه ويعنوا بتدبره ويقفوا عند أوامره وينتهوا عن زواجره فكان موضع الآية يقتضي تقديم الناس على عادة العرب فى تقديم ما عنايتهم بذكره أتم .. وأما الثالثة فانها وقعت فى السورة التى تقدم فيها ذكر أصحاب الكهف وما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخبار به مما لم يقدر عليه الا بأن يوحي اليه وكان جميع ذلك من خبر موسى عليه السلام مع من وعد لقاءه وقصة ذى القرنين بعدهما مما أودع القرآن وتضمنه الكتاب فقال فى هذا المكان (ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل) للدلالة على ما طلبوه من النبي صلى الله عليه وسلم وما قد أوحى الله به اليه فى كتابه فكان تقديم ذلك في هذا المكان أولى والله أعلم

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لاتجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعاً ﴾ وقال بعد ذلك بآيات ﴿ اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً ﴾ ثم قال ﴿ ثم لاتجد لك به علينا وكيلا ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن اختصاص خواتم هذه الآى الأربع ثم لاتجدوا وثم لاتجد بما خصت به وهل كان يجوز أن تكون هذه مكان تلك وتلك مكان هذه ﴿ الجواب ﴾ أن يقال ان الأولي بعد قوله (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) وهو خطاب لمن ينجيهم من ضر البحر ويسلمهم الى البر فيعرضون عن ذكر ما كانوا فيه من المخافة عند الأمن ويكفرون ما أنعم به عليهم من النجاة فقال الذي خفتموه

من عذاب الله فى البحر لا تأمنونه فى البر لان الغرق الذى خفتموه هناك بازائه الخسف وارسال الرياح الحاملة للحصباء فلا يعجزه الآن ما أمكنه اذ ذاك ثم لا تجدوا من يقوم مقامكم ويعصمكم مما يريد انزاله بكم وهذا أول مايطلبه من أشرف على هلكة لينقله الى نجاة وأما قوله (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى) يعنى فى البحر فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا من يتبعنا اذا أهلكناكم بمطالبة بدمائكم أو بانكار ما أنزلناه بكم فالذى يلجأ اليه اذا لم يغن الوكيل فى دفع الضرر ووقوع الهلكة من يتبع ذلك بانكار وانتصار وهذا أيضاً مما لا تجدونه وأما قوله للنبي صلى الله عليه وسلم (اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أى لأنزلنا بك عند قليل الركون الى الكفار ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة ثم لا تجد لك عزاً تمتنع به مما نريد احلاله بك وهذا هو النصير وكذلك قوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) لانسيناكه ولمحوناه من القلوب والكتب ذكره ثم لا تجد من يتوكل لك برد شيء منه اليك لكنى دبرتك بالرحمة لك فأوليتك من النعم والالطاف ما ثبت به على الايمان وسلمت به من الركون الى مادعاك اليه أهل الشرك وكانوا قالوا له لا نتركك تستلم الحجر حتى تلم بآلهتنا فقال في نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم مافى نفسى فاتمكن من استلام الحجر وقيل انهم قالوا له أطرد عنك سقاط الناس ومواليهم والذين رائحتهم رائحة الضأن لانهم كانوا يلبسون الصوف ان كنت قد أرسلت الينا لتجلس معنا ونسمع منك فهم أن يفعل ما يستدعى به اسلامهم فنزل هذا الوعيد لان الله أمره بغير ذلك فى قوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وقال (ولا تدع مع الله الهاً آخر) ولذلك قال (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى

علينا غيره) وهذان البابان اللذان هم بأحدهما من غير عزم منه عليه هما غير ما أوحى الله اليه فقد تبين أن خاتمة كل آية واقعة موقعها لا يصلح سواها مكانها والله أعلم

﴿ سورة الكهف ﴾

﴿ الآية الأولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ بالواو ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن الفرق بين قوله ثلاثة رابعهم كلبهم وخمسة سادسهم كلبهم بلا واو وبين قوله سبعة وثامنهم كلبهم بالواو وقد سوى النحويون بين الجملة التي تجرى صفة للنكرة أو حالا للمعرفة اذا كان فيها ذكر الأول فى أن دخول الواو عليها وحذفها منها جائزان قال الزجاج دخول الواو هاهنا واخراجها من الاول واحد . فان قال السائل هل في اختصاص سبعة وعطف الجملة عليها فائدة تختصها ليست فيما قبلها ﴿ الجواب ﴾ عن ذلك من وجهين . . أحدهما ان يقال ان الفرقة التي قالت كانوا ثلاثة كانت بعدها فرقتان اخريان وكذلك الثانية التي قالت خمسة سادسهم كلبهم وأما السبعة فانتهت عندها العدة وانقطعت بها القصة ولم يكن هناك فرقة رابعة تذكر قولا رابعاً والشيء اذا تم وانتهى وكانت الجملة فيما لم ينته يتصل بالأول اتصال الشيء منه كانت الواو فيها دليلا على انقضائها والآخر فى كلام العرب في حكم المنقطع منها في اللفظ وان كان اتصالها بها فى المعنى كاتصال الأولين . . والثانى ان السبعة لما كانت أصلا للنهاية فى تركيب العدد لان أصل الجمع واحد والواحد فرد والتركيب بعده بأن

تضم فرداً الى فرد فيصيران زوجا فيحصل بضمهما الى الواحد السابق ثلاثة فرد لم يضم اليه شيء وفرد ضم اليه فرد ثم ضما الى فرد فحصل به ضم زوج الى فرد وبلغت عدة المركبات ثلاثة وبقي ان يضم زوج الى زوج وهو اثنان يضمان الى اثنين فتصير أربعة فاذا ضمت الاربعة الى الثلاثة تكاملت التركيبات فلا ترى بعدها تركيباً خارجا عن ذلك فصارت السبعة أصلا للمبالغة في العدد ولهذا خصت السموات بسبع من العدد والأرضون مثلها والكواكب والأسبوع وقال (استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) وقال (في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه) وللمفسرين في ذلك جواب ثالث وهو أن العرب تقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية فاذا بلغت الثمانية لم تجرها مجرى الاخوات التي لا يعطف بعضها على بعض كما يقال في الحروف المقطعة الف با تا ثا واحتجوا بآيات من القرآن كقوله (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) فعطف الناهين على ما قبله ولم تدخل واو العطف على غيره وكذلك قالوا في قوله (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) لان أبواب جهنم سبعة وقال (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) في أبواب الجنة لان أبوابها ثمانية وقالوا مثل ذلك في قوله (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكاراً) وان كان هذا مخالفاً لما تقدم اذ الثيبات لا توصف بالابكار وكانت الواو هنا من جهة أخرى لا يجوز تركها

.. قلت ويمكن انه ينصر هذا القول ويعضد بطريق من القياس يختص بثمانية وهو أن الياء في ثمانية وثماني ياء النسب التي في قولك يمان وشآم وتهام ورباع في الفرس الرباعي وكان الأصل ثماني وشآمي وتهامي ورباعي وثماني فقلبت

احدى اليائين الفاً وقدمت على لام الاسم وبقيت الياء الاخيرة ساكنة وياء النسب من خصائص الاسماء التي لا تكون فى غيرها وهى اذا دخلت على ما خرج من الاسم عن بابه كمدين وطلحة الى باب ما لا ينصرف اعادته الى باب الاسم وأبطلت عنه شبه غيره الموجب لمنع الصرف فتقول مدانى وطلحى فتصرفه وان صار بالياء اثقل مما كان فلما دخل على ثمانية ما يخصصها بباب الاسم اجريت على حكم الاسم وازيل عنها حكم الحروف فعطفت على ماقبلها بالواو .. فان قال ان هذا يلزمك فى ثلاثة لان التأنيث من خصائص الاسم .. قلت هذه العلامة أعنى أمارة التأنيث تتصل بالفعل فى نحو قامت وقعدت وتتصل بالحرف فى نحو ربة وثمة فيزول عنها الاختصاص .. فان قال فالتثنية ليس (١) الا فى الاسم فوجب فى قولك اثنان أن يقول واحد واثنان .. قيل لا يختلف البصريون فى ان الكاف من ذلك ليست اسما وهى تثنى وتجمع فى قولك ذاكما وذلكما مما علمنى ربى وذلكم يوعظ به فيزول بما ذكرناه اختصاص ماعارض به فى المختص بالاسم دون غيره

﴿ الآية الثانية من الكهف ﴾

قوله تعالى ﴿ قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيراً منها منقلباً ﴾ وقال فى سورة حم السجدة ﴿ ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن قوله فى الأولى رددت وقوله فى الثانية رجعت وهل كان يجوز احدى اللفظتين

---

(١) فى نسخة لا تكون الا

مكان الأخرى في الاختيار ﴿ والجواب ﴾ ان يقال ان الاولى بقوله رددت الى ربى أولى وذلك لما تقدم من وصف الجنتين اللتين حوتا مراده واشتملتا على ما أراده وتقديره فيهما انهما يدومان له والرد عن الشيء يتضمن معنى كراهية للمردود تقول قصد فلان فلاناً فرد عنه وقصد فلاناً فرجع عنه فلما كان الأول ينقل عن جنته وهو خلاف محبته كان استعمال اللفظ الذى يدل على الكراهة فيه أولى والثانية لم يتقدمها مثل ما تقدم هذه لان قبلها (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لي عنده للحسنى) وليس فى رجع مافى رد من كراهة وهوان يلحقان المردود ولا يلحقان المرجوع فافترقا لذلك

﴿ الآية الثالثة من سورة الكهف ﴾

قوله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ماقدمت يداه ﴾ وقال فى سورة السجدة ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انامن المجرمين منتقمون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن استعمال الفاء فى سورة الكهف فى قوله فأعرض عنها واستعمال ثم في سورة السجدة ﴿ والجواب ﴾ ان يقال ان الفاء وثم مشتركان فى ان ما بعدها فى اللفظ متأخر عما قبلها في المعنى ومختلفان فى ان الفاء قرب ما بعدها مما قبلها وفى ثم تراخيا عنه وبعداً فكان استعمال الفاء في سورة الكهف أولى واستعمال ثم هنالك أحق وأحرى وذلك ان مافى سورة الكهف فى ذكر قوم يستدعون الى الايمان ولم تختم أعمالهم بالكفر لقوله تعالى (ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق

وَاتخذوا آياتي وما انذروا هزواً) فكأنهم عقبوا التذكير بآيات الله الاعراض وقبولهم للدين واقبالهم عليه مرجوان منهم وليس كذلك قوله ثم أعرض عنها الآية في وصف الكفار بعد موافاتهم القيامة لقوله (ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم) الى قوله (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) اى ذكر مدة عمره بآيات ربه وتطاول الامر بزجره ووعظه ثم ختم ذلك بترك القبول وبالاعراض فكان هذا قولا يقال فيهم عند الانتقام منهم كما حكى فى قولهم (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا موقنون) وقد بان بما ذكرنا ان ثم هنا مكانها والفاء هناك مكانها .

﴿ الآية الرابعة من سورة الكهف ﴾

قوله تعالى في الحكاية عن موسى عليه السلام لما خرق الخضر عليه السلام السفينة ﴿ لقد جئت شيئاً إمراً ﴾ ولما قتل الغلام ﴿ لقد جئت شيئاً نكراً ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن الامر والنكر وهل كان يصلح احدهما فى موضع الآخر ام لكل واحد معنى يخصصه بمكانه ﴿ والجواب ﴾ ان يقال قيل في الامر انه الداهية وقيل انه العجب والنكر ماتنكره العقول ولا تعرفه ولا تجوزه وروى عن قتادة انه قال النكر أعظم من الامر لان الامر ان حمل على الداهية فهى التى تدهى الانسان مما لم يخشه فيحترز من وقوعه والعجب قد يكون غير منكر والنكر لا يستعمل الا فى المذموم الذي يخرج عن المعروف فى العقل أو الدين فاختص الاول بالامر لان خرق السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذى قد هلك وقيل الامر أعظم من

النكر لان تغريق عدد من فى السفينة انكر من قتل نفس واحدة وليس كذلك لان الغرق لم يقع والقتل قد حصل

﴿ الآية الخامسة من سورة الكهف ﴾

قوله تعالى فى الحكاية عن الخضر عليه السلام بعد قوله لقد جئت شيئاً امراً ﴿ألم أقل انك لن تستطيع معى صبراً ﴾ وبعد قوله ﴿ لقد جئت شيئاً نكراً ﴿ ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبراً ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن زيادة لك فى الثانية واخلاء الاولى منها ﴿ والجواب ﴾ ان يقال انه فى الاولى لما قرر موسي صلى الله عليه وسلم وذكره ما كان قد قدم القول فيه من ان الصبر على ما يشاهده منه يثقل عليه فقال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبراً وهذا معناه في غالب ظنى انك تعجز عن احتمال ما ترى حتى تبادر الى الانكار فلما رأى قتل الغلام وعاد الى الانكار أكد التقرير الثانى بقوله لك كما يقول القائل لك أقول واياك أعنى فيقدم لك واياك ولو قال أقول لك وأعنيك بكلامى لاستويا فى المغنى الا في تأكيد الخطاب بالتقديم فكأنه قال ألم يكن خطابي لك دون من سواك وهذا وجب فى الثانى لا في الأول الذى لم تتأكد حجة الخضر فيه عليه السلام كتأكدها فى الثانية

﴿ الآية السادسة من سورة الكهف ﴾

قوله تعالى ﴿ فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقباً ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن اسطاعوا فى الاول لم خصت بحذف التاء دون الثانية فى جل القرآن ﴿ الجواب ﴾ ان يقال الثانية تعدت الى اسم وهو قوله نقباً فخفف متعلقها

فاحتملت ان يتم لفظها فاما الاولى فانها تعلق مكان مفعولها بأن والفعل بعدها وهى أربعة أشياء أن والفعل والفاعل والمفعول الذى هو الهاء فثقل لفظ استطاعوا وكان يجوز تخفيفه حيث لا يقارنه مايزيده ثقلا فلما اجتمع الثقيلان واحتملت الأولي التخفيف الزم فى الاول دون الثانى الذى خف متعلقه واحتمل انقضت سورة الكهف عن ست آيات وست مسائل

﴿ سورة مريم عليها السلام ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ وقال فى سورة الزخرف ﴿ فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل فيقول هل فى اختلاف لفظى كفروا وظلموا من الآيتين ما يخص أحدهما بمكانه والآخر بالموضع الذى جاء فيه ﴿الجواب ﴾ان يقال كلتا الآيتين فى قصة عيسى عليه السلام وتوعد من أثبته لله تعالى ولداً لقوله تعالى في سورة مريم (ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) وقال في سورة الزخرف (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولا بين لكم بعض الذى تختلفون) الى قوله (فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا) والكفر أعظم من الظلم وان كان كل كافر ظالماً لنفسه فلما قالوا فى عيسى عليه السلام انه ابن الله وكفروا بذلك وظلموا أنفسهم أخبر الله تعالى عنهم فى القصة التى شرح فيها ابتداء أمره بالوصف الذي يتضمن لفظ أكبر الذنوب وهو الكفر ولما أجمل فى السورة الثانية ما فصله في الاولي وصفهم

بالوصف الذي يدل على انهم حرموا أنفسهم ما عرّضوا له من الثواب وأوجبو عليها أليم العقاب فبذلك ظلموها أعنى بالكفر الذى كان منهم لما دعوا للرحمن ولدا تقدس الله عنه .

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿فسوف يلقون غياً الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ وقال فى سورة الفرقان ﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول ما بال الفعل فى الآية الاخيرة أكد بذكر المصدر معه من دون الفعل فى الآية الاولى ﴿ الجواب ﴾ ان يقال أما الاول فانه بعد قوله (نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً الا من تاب وآمن وعمل صالحاً) فكان موضع ايجاز لذكر المعاصي فبنى الكلام عند ذكر التوبة على ما بنى عليه عند ذكر المعصية ولم يكن كذلك الموضع الثانى لانه بدئ بقوله (والذين لايدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً) فلما ذكر الكبائر وان أولياء الله يجتنبونها وان من أتاها ضوعف له العذاب الا ان يتوب ويعمل عملا صالحاً كان الموضع موضع توكيد لانه لم يعمل العمل الصالح بعد ارتكاب الكبائر التى عدها فلما أكد الكلام هناك وجب تأكيده هنا أعنى عند محو السيئات المتقدمة بالحسنات المستأنفة فاختلاف الآيتين في التوكيد والله أعلم لما ذكرنا .

﴿ سورة طه عليه السلام ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أوأجد على النار هدى فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لااله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ﴾ الى قوله ﴿ وماتلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى ﴾ وقال فى سورة النمل ﴿ اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أوآتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودى ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم وألق عصاك ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل فيقول قال الله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وهل الاختلاف الا هذا الذى جاء فى سورة في الاخبار عن قصة واحدة مرة انه قال لاهله لعلى آتيكم منها بقبس أوأجد على النار هدى وفي الآية الاخرى سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون وقال في سورة القصص لعلى آتيكم منها بخبر أوجذوة من النار ثم قوله فلما أتاها نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى الى قوله وما تلك بيمينك ياموسى فاخبر عن أشياء قيلت لموسي عليه السلام ثم جاء الي ذكر العصا فقال وما تلك بيمينك ياموسي وفى السورة الثانيـة فلما جاءها نودي ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم وألق عصاك وكذلك جاء في سورة القصص فلما أتاها نودى من شاطئ

الوادي الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة ان ياموسى انى أنا الله رب العالمين وان ألق عصاك فلما رآها تهتز ﴿الجواب﴾ ان يقال ان الله تعالى لم يخبر انه خوطب موسى عليه السلام باللغة العربيـة بألفاظ اذا عدل عنها الى غيرها مما يخالف معناها كان اختلافاً فى القرآن قادحا فيه بل معلوم ان الخطاب كان بغير هذه اللغة وانه تعالى اخبر فى بعض السور ببعض ما جرى وفى أخرى باكثر مما أخـبر به في التى قبلها وليس يدفع بعضها بعضاً فأما قوله تعالى لعـلى آتيكم منها بقبس أو أجد علي النار هدي فهو معنى قوله سآتيكم منها بخبر أوآتيكم بشهاب قبس لان الخبر الذي يأتيهم به هو ان يجد على النار مايهديه وبخبره ان الطريق هو ماعليه أو غيره ووجود الهدى وان يخبر بخبر اهتدائه في طريقه أوغيره شيء واحد لا اختلاف فيه. فأما قوله فلما أتاها نودى ياموسي انى أنا ربك فاخلع نعليك فهو مما جرى ولم يخبر الله تعالى به فى سائر السور واخبر به فى هذه وكذلك القول في العصى وسؤاله وتقريره على ماوصف من حالها حيث يقول وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها الى قوله سنعيدها سيرتها الاولي هو من ذلك

﴿ الآية الثانية من سورة طه ﴾

قوله تعالى ﴿ اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيراً من أهـلي هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه ﴾ الى قوله ﴿ قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ﴾ وقال فى سورة الشـعراء ﴿ واذ نادى ربك موسي ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون قال رب انى أخاف أن يكذبون

ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هارون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون)* وقال في سورة القصص ﴿ اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوماً فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فارسله معى رداء يصدقنى انى أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ *(للسائل)* أن يسأل عما حكى الله تعالى من قول موسى صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى فرعون واختلافه فى السور الثلاث لا نمافى سورة طه سوى مافى سورة الشعراء وما فى سورة القصص *(والجواب)* عن ذلك ان قوله رب اشرح لى صدرى طلب أمان له من أن يقتل بمن قتله وهذا معنى قوله أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى لانهم لو صدقوه ما خاف أن يقتلوه وكذلك قوله فى السورة الثالثة قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وقوله ويسرلى أمرى أى سهله حتى أؤدى رسالتك واذا أمن من القتل فقد فعل ماطلبه وأما قوله واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فهو معنى قوله ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون وكذلك فى سورة القصص وأخى هرون هو أفصح منى لساناً فارسله معى رداء يصدقنى انى أخاف أن يكذبون فطلب أن يحل عقدة من عقد لسانه وأن يؤيد بأخيه فاجيب اليهما ولم يطلب حل كل عقد لسانه لما حكاه الله تعالى من قول فرعون أم انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين وسائر ماذكره فى سورة ولم يذكر فى الاخرى ليس من الاختلاف الذى يعاب ..وأما قوله اذهب الى فرعون انه طغى وقوله فى الشعراء ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون

وقوله في القصص الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين ففى الآية الاولى ذكر فرعون وحده لان قومه تبع له وكانهم مذكورون معه وفي الآية الثانية ذكر قوم فرعون من دونه ومعلوم انه منهم ومخاطب بمثل خطابهم فاذا اتقوا وآمنوا كان فرعون وحده لا يقدر على مخالفتهم فترك ذكره لانه فى هذه الحالة فى حكم التابع لهم وخطابهم خطابه .. وأما الموضع الثالث فان الحكاية أتت على فرعون وملائه فبينت ما انطوت عليه الآيات قبل من ذكر بعض والاكتفاء به عن بعض وهذا كما قال فى موضع لموسى وحده اذهب الى فرعون وفى موضع آخر ان ائت القوم الظالمين لان هارون تابع له وداخل فى حكمه وأبان ذلك فى موضع فقال فأتيا فرعون فقولا انا رسولا رب العالمين وقال بعده فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل

﴿ الآية الثالثة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ﴾ وقال في سورة السجدة ﴿ أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسأل في هذه الآية عن موضعين. أحدهما اختصاص الاولى بالفاء والثانية بالواو . والثانى انه قال في السجدة أولم يهد لهم كم أهلكنا من فادخل من على قبلهم هنا ولم يدخلها هناك مع تساوى المعنيين والمكانين فيقال للسائل عن ذلك لما كانت هذه الآية مفتتحة بقوله أفلم وتلك مفتتحة بقوله أولم اختلفتا من هذه الجهة فكان مادخلته الفاء لانه يتعلق بما قبله تعلق الجواب بالمبتدأ والجزاء بالشرط فتكون جملة تمامها بجملة قبلها يثقل يختار فيه التخفيف وما دخلته الواو لا يقتضى ماتقتضيه الفاء بنفسها بل حقه الانقطاع عما قبله ولذلك يجوز أن يكون المؤخر بعدها فى اللفظ مقدماً فى المعنى . وأما

دخول من وحذفها فقد بيناه فى قوله ولئن اتبعت أهواءهم من بعد وفي موضع آخر بعد ما جاءك وهو ان القائل اذا قال كم أهلكنا قبلهم فكأنه قال فى الزمن المتقدم على زمانهم واذا قال من قبلهم فكأنه قال من مبتدأ الزمان الذى قبل زمانهم والزمان من أوله لآخره ظرف للاهلاك لايختص به بعضه دون بعض . فان قال فلم جاء فى سورة طه أفلم يهد بالفاء . قلت لانه تقدم قوله قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ومعناه فتركت الاهتداء بها ثم قررهم على ما نصبه لهدايتهم واحتج عليهم بتركهم الاهتداء به فقال أفلم يهد لهم والتقدير من تأته آياتنا فعليه الاهتداء بها وأنتم أتتكم آياتنا فلم توفوها حقها فهل فعلتم مالزمكم فيها فالذى أوجب الفاء فى هذا المكان هذا المعنى ولم يكن مثله فى سورة السجدة من تعلق مابعد أو لم بما قبله تعلق هذه الآية بما تقدمها لان هنالك ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم) فلما انفصل جاء بالواو ولما جاء بالواو ولم يكن من شرطها تركيب جملتين يكونان كلاماً واحداً خف وادخل عليه من التى حذفت من الآية الاولى لتحد ابتداء الزمان فيكون أبلغ فى الاستيعاب

﴿ سورة الانبياء عليهم السلام ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالي ﴿ واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون ﴾ وقال فى سورة الفرقان

﴿وإذا رأوك ان يتخذونك الاهزواً أهذا الذي بعث الله رسولا﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن اظهار الفاعلين في رآك الذين كفروا من سورة الانبياء وإضمارهم فى سورة الفرقان ﴿والجواب﴾ أن يقال ان ماقبل الآية فى سورة الانبياء (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) فلم يجر للكفار ذكر في الآية التي قبل هذه فكان الاختيار الاظهار وأما في سورة الفرقان فان قبل الآية (أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا) أى ألم ير الكفار فى زمانك القرية التى أمطرت مطر السوء فيحذروا فلما كان الذكر متقدماً فى أقرب الكلام اليها كان الاختيار الاضمار

﴿الآية الثانية منها﴾

قوله تعالى ﴿اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ وقال فى سورة الشعراء ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قال نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن اختصاص هذا المكان بقوله بل وجدنا وخلو المكان الاول منها ﴿والجواب﴾ أن يقال ان الآية الاولي وقع السؤال فيها على وجه لا يقتضى بل فى الجواب لانه قال ماهذه الاصنام التى نحتموها تماثيل وعكفتم عليها فكأنه سفه آراءهم وقال لهم لم تفعلون ذلك وتعبدون ما تنحتون فقالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فاقتدينا بهم وفى سورة الشعراء تقدم سؤال اضربوا عنه ونفوا ما تضمنه لانه قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون فقالوا مضربين عن هذه الاشياء التى نبخوا عليها من عبادتهم ما لا يسمع ولا ينفع ولا يضر وبما يعلمون انه جماد

لا حياة فيه ولا نفع ولا ضرر عنده فكأنهم قالوا لا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون فلان السؤال هنا يقتضى في جوابهم أن ينفوا مانفاه صلى الله عليه وسلم اضربوا عنه اضراب من ينفى الاول ويثبت الثانى فاختصاص المكان ببل لهذا

﴿ الآية الثالثة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ﴾ وقال في سورة الصافات ﴿ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول هذا فى قصة واحدة جاء فى موضع الاخسرين وفي موضع الاسفلين فهل فى كل من المكانين مايختص باللفظ الذى خص به ﴿ الجواب ﴾ أن يقال مافي سورة الانبياء فان الله تعالى أخبر فيها عن ابراهيم عليه السلام انه قال وتالله لا كيدن أصنامكم ثم أخبر عن الكفار لما ألقوه في النار وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين والكيد سعي فى مضرة ليورد على غفلة فذكر مكايدة بينهم وبين ابراهيم عليه السلام فكادهم ولم يكيدوه فخسرت تجارتهم وعادت عليهم مكايدتهم لانه كسر أصنامهم ولم يبلغوا من احراقه مرادهم فذكر الاخسرين لانهم خسروا فيما عاملهم به وعاملوه من المكايدة التي أضيفت اليهما .. وأما التى في سورة الصافات فان الله تعالى أخبر عن الكفار فيها بما اقتضى من الاسفلين وهو انه قال (قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم) فبنوا له بناء عاليا ورفعوه فوقه ليرموا به من هناك الى النار التى أججوها فلما علوا ذلك البناء وحطوه منه الى أسفل عادواهم الاسفلين لانهم أهلكوا فى الدنيا وسفل أمرهم فى الاخرى والله تعالى نجي نبيه وأعلاه عليهم فانقلب عالي

أمرهم في صعود البناء وسافل أمر ابراهيم عليه السلام لما حط الى النار ان صار ذلك سافلا وأمر النبي صلي الله عليه وسلم عاليا فلذلك اختصت هذه الآية بقوله فجعلناهم الاسفلين

﴿ الآية الرابعة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ وأيوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ وقال في سورة ص (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن الفرق بين موضعي قوله رحمة من عندنا ورحمة منا وقوله وذكرى للعابدين وذكرى لاولى الالباب وهل في كل مكان من المكانين مايختص ذلك دون غيره ﴿ الجواب ﴾ ان يقال اخبر الله تعالى في سورة الانبياء عن ايوب عليه السلام بانه نادى ربه وشكا اليه مامسه من الضر وسوء الحال بالمرض الذى طالت به أيامه حتى تأكل جسمه وتساقط لحمه ثم بالفقر الذى ناله واجتاح ماله وكان الله تعالى ابتلاه بجميع ذلك وأحدث فيه المرض الذى اضعفه عن تمهد حاله حتى زال جميع ماله ليعطيه على صبره الثواب العظيم الجزيل وليعوضه من نعيم الجنة ماهو خير له مما سلبه من ماله وصحة بدنه وكأنه لما قال مسني الضر قال مسني من عندك يارب ماتعلم وانت الاكرم الارحم فقال وآتيناه وأهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا أي كما كان الضر من عندنا كان كشفه والرحمة مكانه من عندنا ومعنى من عندنا أي من حيث لاتناله قدر

العباد وكل مكان اختص بقدرة الله وحده يطلق عليه عند الله .. واما قوله وذكرى للعابدين فالمعنى فعلنا به ما فعلنا رحمة له منا وتذكرة لمن عبد الله وحده باخلاص منه فلا يحول عن حمده وطاعته معما تصرف عليه من شدائد الدنيا ومصائبها التى ينزلها الله به بل يثبت معها على ادامة العبادة وامدادها بالزيادة كما فعله أيوب عليه السلام .. وأما فى سورة ص فان الله تعالى لما أخبر فيها عنه بانه قال(واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب) وشكايته الى الله تعالي مايلحقه من أذى الشيطان بوسوسته اليه وفنون احتياله عليه ليضيق صدره وينقص حمده وشكره فهان عليه المرض الذي ينقص من الابدان في جنب مايؤثر فى الاديان ويخل بالطاعات ويشغل من الزمان بمدافعة الوسواس فلما كان هذا له اهم وخاف من جهته الضرر الاشد اعانه الله برحمة منه مضافة اليه مختصة بارادته اذ كانت افعال الله تعالي منها مايختص به ويضيفها الى نفسه كقوله تعالى (ان تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت)ومنها مايأمر به بعض ملائكته وان أخبرانه من فعله ومختص به كقوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا يقال انه أمر جبريل عليه السلام فنفخ الروح فى فرجها وخلق الله عيسي عليه السلام فى رحمها فلما كانت شكوى أيوب عليه السلام فيما أخبر الله تعالى به فى سورة ص أعظم والبلوى به أكبر أخبر انه رحمه رحمة وأنعم عليه نعمة لا يجرى امثالها علي ايدى خلقه بل هى مما يختص بفعله ولا يوليه مقرباً من ملائكته وان كان مايقدرهم عليه من مثل ذلك مضافا الى قدرة الله تعالى فهذا فرق ما بين قوله رحمة من عندنا ورحمة منا .. وأما قوله وذكرى لأولي الألباب فلان أولى الالباب أعم من العابدين واستدفاع وساوس الشيطان أعم من الاستشفاء الابدان أخص

بكل آية ما اقتضاه صدر الكلام وتعرض أيوب عليه السلام بالسؤال

﴿الآية الخامسة من سورة الأنبياء﴾

قوله تعالى ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا﴾ وقال في سورة التحريم ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسأل فيقول هل كان مختارا ان يعود ضمير المذكور في الآية من سورة الانبياء فيجيء فنفخنا فيه كما جاء في الآية الاخيرة ام لكل مكان ما يختص اللفظ الذي جاء عليه ﴿الجواب﴾ ان يقال لما كان القصد في سورة الانبياء الى الاخبار عن حال مريم وابنها وانهما جعلا آية للناس وكان النفخ فيها مما جعلها حاملا والحامل صفة الجملة فكأنه قال والتي أحصنت فرجها فصيرها النفخ حاملا حتى ولدت والعادة جارية ان لا تحمل المرأة الا من فحل ولا يولد الولد من غير أب فلما كان القصد التعجب من حالها وانها بالنفخ صارت حاملا رد الضمير الي جملتها اذ كان النفخ في فرجها نفخا فيها أوجب القصد الى وصفها بعد النفخ بصفة ترجع الى جملتها دون بعضها كان قوله فنفخنا فيها أولي من قوله فنفخنا فيه . . واما قوله في سورة التحريم ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا فلما لم يكن القصد فيه الى التعجب من حالها بالحمل عن النفخ وولادتها لا عن ضراب الفحل لم يكن ثم من القصد الى وصف جملتها بغير الصفة التي كانت عليه قبلها ما كان في الآية الاولى فجاء اللفظ على أصله والمعنى فنفخنا في فرجها ولم يسق الكلام الى ما سيق اليه في سورة الأنبياء من وصف حالها بعد النفخ فاختلفا لذلك

﴿الآية السادسة من سورة الانبياء﴾

قوله تعالى ﴿وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا

أمرهم بينهم كل الينا راجعون ﴾ وقال في سورة المؤمنين ﴿ وان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن اختلاف فاعبدون وقوله فاتقون في الآيتين وعن الواو والفاء في قوله فتقطعوا أمرهم بينهم ﴿ الجواب ﴾ ان يقال في قوله تعالى وان هذه أمتكم أمة واحدة ثلاثة أقوال. أحدها ان تكون الاشارة بهذه الى أمم الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ويكون المعنى انهم أمتكم في حال كونهم جماعة واحدة وعلى دين واحد في أصول الشرع كالتوحيد وصفات الله تعالى واثبات النبوات والمقام على طاعة الله فمتى تفرقوا في طرق الباطل لم يكن بينكم وبينهم نسبة. والثانى ان يكون المعنى وان هذه أمتكم مقصودا بها دين واحد والامة كل جماعة يسلك بها مقصد واحد من أم اذا قصد أي أممكم وان تفرقت أزمنتها فانها يقصد بها دين واحد فهى أمتكم مقصود بها التوحيد وهو افراد الله تعالي بالعبادة والاخلاص له فيها. والثالث ان تكون[1] الأمة الملة وهى الدين أي هذه ملتكم ملة واحدة لانها الاسلام وقوله وانا ربكم فاعبدون أى وربكم القائم بمصالحكم من ابتداء كونكم الى انتهاء أحوالكم هو انا فاخلصوا الى العبادة وحدى وقوله وتقطعوا أمرهم جاء بالواو لانه لم يكن مابعد الواو كالجواب لما قبلها كما كان ذلك في الفاء لانه يجوز أن يكون تقطعهم أمرهم قبل ان خوطبوا بقوله فاعبدون فلا تصلح الفاء الا ترى ان تفرقهم فرقاً وتقطعهم أمرهم قطعاً فصار بعضهم يعبد الله وحده وبعضهم يعبد معه غيره وبعضهم لا يعبده كان قبل اخبار الله جميع الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ان هذه الأمم أممهم جماعة واحدة غير جماعة متفرقة

---

(١) في المقدسية ان يقال

وهو الذي دعا الى ان نبههم فقال خالقكم واحد والذي يربكم هو فاقصدوه
بالعبادة دون من سواه واذا كان كذلك كان قوله وتقطعوا امرهم بينهم أي
تقطعوا أمر دينهم قطعاً وافترقوا فيه فرقاً خبراً غير متعلق بما قبله تعلق الجواب
بالابتداء بل ذلك هو ما بعد الفاء في عقيب هذه الآية فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا كفران لسعيه أي تفرقوا فرقاً فمن كان من فرقهم يعمل الصالحات
وهو مؤمن فان سعيه مقبول وهو على عمله مثاب ومن عمل صالحاً ولا ايمان
معه مثل معونة الضعيف واغاثة اللهيف وصلة الرحم وافاضة النعم والكف
عن الظلم لم يقبل سعيه وهو في ضمن قوله وحرام على قرية أهلكناها . وأما
قوله في الآية الأولى وانا ربكم فاعبدون واختصاصها بهادون قوله فاتقون
فلانه خطاب للفرق التي تفرقت في طرق الباطل ولم تخلص العبادة لله فنبأهم
الى أن يعبدوه والتي في سورة المؤمنين انما هو خطاب للرسل عليهم السلام
لقوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم.
وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون) وقد جاء في خطاب الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم والمؤمنين والصالحين بعد ثم اتقوا الله قال الله
تعالى (يا أيها النبي اتق الله) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد)
فلما كان أكثر من خوطب في السورة الاخيرة الانبياء والمؤمنين وهم
يعبدون الله جل ذكره وضم اليهم غيرهم من الفرق وغلبوا عليهم فخوطبوا
بما يخاطب به المؤمنون وهو اتقوا الله اذ كان أكثرهم له عابدين ومعنى
اتقوه احترزوا بطاعته مما أعده لاهل معصيته وامتنعوا بموجبات الثواب
عن موجبات العقاب فكان هذا موضع اتقون وفي الاولى موضع اعبدون

وأما الفاء في سورة المؤمنين في قوله فتقطعوا فلانه ذكر الذين صار قوله فتقطعوا كالجواب لما قبله لانهم قطعوا أمر دينهم كتبا منزلة من الله عز اسمه فنهم من دان بالتوراة وكفر بما سواها من الانجيل والقرآن ومنهم من دان بالانجيل وكفر بالتوراة والقرآن فلما كان ما قبل الفاء خطابا للرسل وأممهم وقال كونوا جماعة واحدة ذات دين واحد صار كانه قال أمرتهم بالائتلاف والاتفاق في الدين فتقطعوا أمرهم فيه قطعاً وافترقوا فيه فرقاً وكل يقدر انه على الصواب ومتمسك بما في الكتاب فهو فرح بما لديه ومعول عليه فكان ما بعد الفاء هنا في تعلقه بالأول تعلق الجواب بالمبتدأ كما بعد الفاء في قوله في الآية الاولى وهو فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن في انه متعلق بما قبله تعلق الجواب دون قوله وتقطعوا والله أعلم

﴿ سورة الحج ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴾ وقال في سورة السجدة ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن قوله من غم في سورة الحج وخلو الآية التي في سورة السجدة منه.

﴿ الجواب ﴾ ان يقال انه تعالى لما وصف من أحوال أهل النار في هذه السورة في الآية المتضمنة لهذه اللفظة بقوله (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد)فأخبر ان النار تشتمل عليهم من جوانبهم كاشتمال الثياب وقيل ثياب نحاس من النار وهى النهاية في الاحماء والاحراق ثم خصص

الرؤس بصب الماء المغلي عليها وقيل فى التفسير انه ينفذ الى أجوافهم فيسلت ما فيها ويذوب مافى بطونهم من الشحوم ويتساقط ماعليهم من الجلود مع زبانية بأيديهم عمد من حديد يضربون بها رؤسهم اذا حاولوا الخروج من النار فلما وصفهم بأن العذاب من جميع الجوانب اكتنفهم صاروا باحاطة ذلك بهم وسد أنفاسهم عليهم بمنزلة البعير المغموم بالغمامة التى تسد متنفسه فلا يجد فرجة والطبق المغموم المستور وقال القطامى

اذا رأس رأيت به طماحاً * سددت له الغمائم والصفاعا

وليس الغم هاهنا الحزن وان كان أصله من ذلك لكنه تغطيتهم بالعذاب والاخذ بكظمهم فلما تقدمه وصف ما أحاط بهم ذكر هذا الغم أى كلما أرادوا من الكرب الذى أخذ بكظمهم ان يخرجوا من النار التى جلبت عليهم كل ذلك اقبلت الزبانية نحوهم بما يدق رؤسهم ٠٠ والآية التى فى سورة السجدة لم تشتمل من احاطة العذاب بهم من ذكر الثياب من النار وصب الحميم واذابة الشحوم ماذكر فى هذه الآية قال (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها) فلما لم يتقدم ذكر ما يطيف بهم ويغمهم ويصير كما يسد مخارج انفاسهم لم يذكر انهم يحاولون الخروج من اجل الغم الذى اقتضت الآية في الحج ذكره ولم يقع مثله فى سورة السجدة من مقتض فلم يقع المقتضي لذلك

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ فكأين من قرية اهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها ﴾ وقال بعده بآيات ﴿ وكأين من قرية امليت لها وهى ظالمة ثم اخذتها والى المصير ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن قوله في الاولى اهلكناها

وقوله في الثانية أمليت لها وهل لكل واحد مايوجب اختصاصه بمكانه دون الآخر ﴿ الجواب ﴾ ان يقال ان قوله فكاين من قرية اهلكناها جاء بعد قوله (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح) الى قوله (وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير) فلما جاء عقيب ماوصف من اهلاكهم وصفهم بذلك والثانية بعد قوله (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها) فذكر عقيب استعجالهم العذاب والله يريد غيره من الإملاء لهم وتأكيد الحجة عليهم فكل لفظة فى مكانها الذي تليق به

﴿ الآية الثالثة من سورة الحج ﴾

قوله تعالى ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ وقال بعده بآيات ﴿ الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل فيقول هل كان يجوز فى الاولى في جنات النعيم وفى الثانية لهم مغفرة ورزق كريم وما المعنى الذى خصص كلا من اللفظين بمكانه ﴿ الجواب ﴾ ان الاول خبر عن حال القوم فى الدنيا لقوله (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) ثم قال فالذين آمنوا وعدوا الغفران والرزق الكريم ولم يجز هنا ان يقال هم فى جنات النعيم الا على ضرب من المجاز انهم مستحقون لها فكأنهم فيها وليس كذلك الآية الاخيرة لانها خبر عن الحال فى الآخرة لقوله (الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم) أي يوم القيامة يكونون فى دار الثواب فلما اختلف المقتضيان اختلف المقتضيان فذكر كل واحد فى المكان الذى لاق به

﴿ الآية الرابعة من سورة الحج ﴾

قوله تعالي ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وان مايدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ وقال في سورة لقمان ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وان مايدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن تخصيص الآية من سورة الحج بالتوكيد في قوله وان مايدعون من دونه هو الباطل واخلائه منه في سورة لقمان ﴿ والجواب ﴾ ان الاولي وقعت في مكان تقدمت فيه توكيدات مترادفة في ستة مواضع وهى قوله (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسناً) فاللام والنون مؤكدتان وبعده (وان الله لهو خير الرازقين) واللام مع هو مؤكدان وبعده (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) واللام والنون سبيلهما تلك السبيل وبعده (وان الله لعليم حليم) اللام التي في خبر ان كذلك وبعده (لينصرنه الله ان الله لعفو غفور) فلما ترادفت التوكيدات وجاء في هذا الموضع وجاء بعده خبر بين خبرين أكدا وهو ذلك بأن الله هو الحق وقوله وان الله هو العلي الكبير اقتضت اشباهه مثله فجاء الخبر الثاني الواقع بين الخبرين وبعد الاخبار المؤكدة مؤكداً بقوله هو فقال وان ما تدعون من دونه هو الباطل وليس كذلك ماجاء في سورة لقمان لانه لم تتقدمه التوكيدات التي تستتبع امثالها كما تقدمت في الاولى .

﴿ الآية الخامسة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ له مافي السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد ﴾ وقال في سورة لقمان عليه السلام ﴿ لله مافي السموات والارض وان الله هو الغني الحميد ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن اعادة مافي الآية الاولى في قوله له ما في السموت وما في الارض واخلاء الثانية منها وهو

قوله تعالى لله مافى السموات والارض وعن قوله في الاولى وان الله لهو الغني الحميدفأدخل اللام على هو ولم يدخلها فى سورة لقمان ﴿ والجواب ﴾ عن ذلك نحو الجواب الاول وهوشاهد يحقق ماأجبنا به من اختيار التوكيد حيث يقصد بناؤه على الكلام المتقدم له لان هذه الآية تالية لتلك لايحجزها عنها الا قوله (الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير) فحملت على نظائرها المذكورة قبلها وخالفت التي فى سورة لقمان تلك لموقعها فلم تؤكد كما وكدت الاولى كذلك

﴿سورة المؤمنين﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماهذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ وقال بعد هذه القصة ﴿ وقال الملاء من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم فى الحياة الدنيا ماهذا الا بشر مثلكم ﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسئل عن تقديم من قومه فى الآية الاخيرة وتأخيره فى الآية الاولى وهل كان يصلح احدهما مكان الآخر ﴿ الجواب ﴾ان يقال لما انقطعت صفة الملاء فى الآية الاولى الى المحكى من قولهم قرن الوصف بالذين الى الموصوف ثم جيء بالجار والمجرور فكان منتهى بيان فاعل قال ولم يكن كذلك القصد فى الآية الآخرة لانه عددت افعالهم عطفت على الفعل الذى هو صلة الذى فقدم الجار والمجرور لئلا يحال بين الصفة وما عطف عليها فقال وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا فكان كل ذلك مما أتبع قوله كفروا ولو قال وقال الملأ الذين كفروا من قومه وكذبوا بلقاء الآخرة لم يكن على

النظم المرتضي فيما يستفصح من الكلام وان كان جائزا فلذلك قدم الجار والمجرور في الاخيرة وأخر في الاولى

﴿الاية الثانية من سورة المؤمنين﴾

قوله تعالى ﴿حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين﴾ وقال في سورة هود وكان حق ذلك ان يذكر هناك ﴿حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسئل فيقول لم اختلف في الآيتين قوله قلنا احمل فيها وقوله فاسلك فيها وهل كان يصلح كل واحد منهما مكان الآخر أو هناك معنى يخصص كلا بمكانه ﴿الجواب﴾ ان يقال قوله قلنا احمل إخبار عما كان من الله تعالى الى نوح عليه السلام من الامر بحمل ما يحمله في السفينة ومن يحمله من المؤمنين وتقدم اليه باعدادهم للركوب معه ومنع من حظر عليه استصحابه ثم بعد ذلك أمره بقوله اركبوا فيها فالأول امر بتهيئة ما يستبقى من الحيوان وما يستبقي من المكلفين والثاني أمر بركوب السفينة والثالث أمر بالهبوط منها بقوله (قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك) فالذي جاء في سورة هود جاء على مقتضي أوامر الله المفصلة اعداد من يركب معه ومن الركوب ومن النزول .. واما قوله في سورة المؤمنين فاسلك فيها فانه مجمل على ما فصل في الآية الاولي اذ كان الشرح والبيان مقصورين عليها وكانت الثانية مشتملة على بعض ما اشتملت عليه الاولى وهو قوله أسلك ما يتضمن احمل واركب واعبر ومن ذلك سمي الطريق مسلكا وسلكه ينابيع في الارض أي اجراه وسلك الطريق أي نفذ فيه فكان موضع الاختصار

أولى بالمجمل من الكلام وموضع البيان أولى بالبسط فقصة نوح في سورة هود قد شغلت بها خمس وعشرون آية وهي في سورة المؤمنين واقعة في ثمان آيات فاقترن بكل من المكانين ما اقتضاه القصد من زيادة بيان أو اختصار كلام

﴿ الآية الثالثة من سورة المؤمنين ﴾

قوله تعالى ﴿ فأخذتهم الصيحة فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ﴾ وقال بعده في ذكر القرون ﴿ فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل ما الذى أوجب في الاولى القوم الظالمين وفي الثانية لقوم لا يؤمنون ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان القصة الاولى وان خرجت عن لفظ التنكير فقال ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم فانه معلوم من المراد بالرسول وبالمرسل عليهم فدل على ذلك بان قال أهلكتهم الصيحة وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام فلما كان في أقوام معلومين تى بذكرهم معرفة فقيل بعدا للقوم الظالمين وخص وصفهم بالظلم لانه شئ عاملوا به غيرهم وعاملوا به أنفسهم لتكذيبهم الرسل وظلمهم لهم بنسبتهم الى ماهم منزهون عنه ثم هم ظالمون لانفسهم ان منعوها ما عرضوا له من نعيم الابد والثواب السرمدي . وأما قوله فبعداً لقوم لا يؤمنون فانه جاء بعد خاتمة قوله تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) فلم يبين بالمعنى من المراد كما بين في الاولي وكانوا منكورين للمسلمين فلما أمرهم بلفظ الدعاء عليهم استعمل فيهم ما استعمل فيمن لم يتعين ولم يشتهر فنكر اللفظ فقال لقوم لا يؤمنون أي أهلك الله كل قوم لا يؤمنون عند ظهور آيات الله لهم ووجوب

حجة الله تعالى عليهم والمعنى بعداً لكل قوم اليق بقوله كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاخبر خبرا عاما وأمر أن يدعى عليهم دعاء عاما فوجب فى كل موضع ماجاء فيه دون الآخر

﴿ الآية الرابعة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين ﴾ وقال في سورة النمل ﴿ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن تقديم توكيد المضمر المرفوع بقوله نحن وتأخير المفعول وهو هذا فى الآية الاولي وعكس ذلك فى الآية الثانية وهل لذلك فائدة تقتضي لكل مكان ماخص به ﴿ الجواب ﴾ ان يقال لما كان الاول فى حكاية تظاهرت فيها افعال أسندت الي فاعليها متصلة بها وهى بل قالوا مثل ماقال الأولون فهذان فعلان تعلق بهما هذا المحكي وكل واحد منهما جاء بعده فاعله مواصلا له غير منفصل عنه ثم بعده قالوا ائذا متنا فكل هذه الافعال قصد بها حكاية ماجاء بعدها فلما قال لقد وعدنا وجب فى البناء على الافعال المتقدمة أن يتم حكم الفاعل وهو توكيده والعطف عليه فقدم نحن وآباؤنا علي المفعول الثانى وهو هذا لذلك ولان الاصل اذا جري عليه الشيء أولى من غيره .. وأما الآية الثانية من سورة النمل فان الذى تقدمها وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا فاخر المعطوف علي اسم كان الذى هو كالفاعل لها وهو قوله وآباؤنا عن المنصوب الذى هو كالمفعول لها وهو قوله ترابا

فصار ماهو كالمفعول مقدماً على ماهو معطوف على الفاعل فاقتضى البناء عليه تقديم المفعول ثم العطف على الفاعل المضمر فجاء لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل لذلك

﴿ الآية الخامسة منها ﴾

قوله تعالى ﴿قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن خاتمة الآية الاولى بقوله أفلا تذكرون وخاتمة الآية الثانية بقوله أفلا تتقون وخاتمة الاية الثالثة بقوله فأنى تسحرون وما الذى خص كلا بمكانه ﴿ الجواب ﴾ أن يقال ان هذه الآى جاءت بعد ماأخبر الله عن الكفارمن انكار البعث وهى فى الآية التى تكلمنا فيها واتصلت هذه بهافأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يسألهم لمن الارض ومن فيها أي من يملكها ويملك الناس الذين فيها فانهم يقرون ان جميع ذلك لخالقها وهو الله تعالى واذا أقروا بذلك فقل لهم أفلا تذكرون اذا قلنا لكم أنه ينشىء نشأة ثانية ما كان من النشأة الاولى كما قال (وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) أى عندكم وفى تقديركم الفاعلين منكم فخصت بالتذكرة لانهم اذا اثبتوا الخلق الاول لزمهم الخلق الثانى .. وأما قوله تعالي (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) فانما معناه من الذى به قوام السموات السبع والعرش العظيم ولا يستغنى عنه وهذه الاشياء من أكبر مايرى من خلق الله تعالى

وما ثبت بالصدق من الخبر عندنا فمن كان مالك السموات والارض والعرش العظيم وأقررتم له بذلك فلم لا تجتنبون معصيته ولا تتقون عقوبته اذا كانت هذه الاجرام العظيمة لا تستغنى عنه ساعة فأنتم في ضعفكم أحوج الى أن يربكم وأن تقوموا بحق ربانيته لكم فتمتنعوا بطاعته من موجب عقابه فهذه لائقة بمكانها حالة في موضعها .. واما الثالثة وهى فانى تسحرون فانها جاءت بعد تقرير ثالث وهو قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه أى من الذى ملكه على الاشياء أتم ملك وهو يمنع ولا يمتنع منه أى يمنع من المكروه من شاء ولا يملك أحد منع من اراده بسوء وهذا أعظم ملك وأبلغه فاذا أقروا بذلك فقل لهم كيف تخدعون عن عقولكم حتى تتخذوا الاوثان والاصنام آلهة وهى لا تسمع ولا تبصر مع القادر العليم الذى قد أقررتم له باتم الملك وبكل الخلق الذى يشهدكم والذي يغيب عنكم وقوله فانى تسحرون أي من أين يأتيكم مايغلب على عقولكم فيخيل الباطل الها حقا والقبيح عندها حسناً أمن علمكم بأن الله مالك الارض ومن فيها أم من علمكم بأنه رب السموات السبع ورب العرش العظيم ام من علمكم بأن له الملك الاغلب والعز الاغلب وأنه يمنع ولا يمنع منه ويحمى من عقابه ولا يحمى منه وليس في شيء من ذلك ما يرى الفاسد صحيحاً والمعوج قويماً فهذا الذى ختم به الثالثة ناظم معناه بخواتيم ما قبله وكل فى مكانه اللائق به والله أعلم بالصواب

﴿ سورة النور ﴾

﴿ الآية الاولي منها ﴾

قوله تعالى في آخر العشر من أول السورة ﴿ ولولا فضل الله عليكم

ورحمته وان الله تواب حكيم ﴾ وقال في آخر العشرين من السورة ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن خاتمة العشرين واختلافهما بقوله في الاولى تواب حكيم وفى الثانية رؤف رحيم مع حذف جواب لولا فى الآيتين ﴿ الجواب ﴾ أن يقال لما ذكر فى أول السورة حد الزنا والقذف وختم ذلك بقذف الرجل امرأته والحكم فيه اعتد عليهم بأن أمهلهم ليتوبوا ولم يعاجلهم بالعقوبة على ما قارفوا فقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته وانه يرجع الى من رجع اليه وأن من تاب تاب الله عليه لعجل اهلاككم ورمى بكم الى العقاب الدائم والعذاب الواصب وهذا الجواب المحذوف قد ذكر فى الآية التي في أهل الافك وهى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم فهذا معنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ومعنى حكيم ان أفعاله مبنية على الحكمة ومن الحكمة ان لم يعاجل كل مذنب بعقوبته عند وقوع خطيئته . . واما خاتمة العشرين بقوله اولولا فضل الله عليكم ورحمته فان معناه لولا ان الله أنعم عليكم ورحمكم وقد أجرى حكمه بان يرحم أمثالكم ويرأف بكم لما بقاكم عند هذا الذنب الكبير والافك العظيم فهذا موضع ذكر الرحمة لما تخولهم بالعظة فقال (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً ان كنتم مؤمنين) والاول مطلق غير محصور على قوم باعيانهم وانما المراد من فعل منكم ذلك فحده كذا وحده كذا فى الدنيا وعذاب دائم فى الآخرة ومخاطبة أهل الافك لأقوام معينين أكبر لعظم ذنبهم وانهم لم يهلكوا لرأفته بهم فكان كل موضع من الموضعين مقتضيا لما اختص به من الآيتين

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول لم قال في الاولى كذلك يبين الله لكم الآيات وقال في الثانية كذلك يبين الله لكم آياته ﴿ الجواب ﴾ ان في الاولى اشارة الى ما تقدم ذكره فيما أوله (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم) الى قوله (ثلاث عورات) وجعل الاوقات الثلاثة آيات لهم وعلامات للمنع من دخول المماليك والاطفال على النساء وجوازه فيما سواها وعبر عنها بالآيات لما لم يكن تبيين الاوقات من الافعال التى تتخصص بقدرته ولما كان بلوغ الحلم مما يختص بفعله ولم يقدر فاعل على مثله اضافه الى نفسه فقال كذلك يبين الله لكم آياته وبين ذلك قوله فى العشر الاخير بعد قوله ليس على الاعمى حرج الي قوله أن تأكلوا من بيوتكم بعد القربات التى أجاز تناول طعامها كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون فلم يضفها الى نفسه لانها آيات مثل الاول التى تقدمت في أنها لا تتخصص بقدرته أى يبين لكم العلامات التي ينصبها على مايبيح وما يحظر وما يضيق فيه وما يوسع ومثله قوله تعالى يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم لما أشار الى حد الزانى والقاذف والفرق بين المكانين واضح فاعرفه ان شاء الله

﴿ سورة الفرقان ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا

يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشوراً ﴾ وقال قبله فى سورة الرعد وكان حكم هذه الآية أن تذكر هناك ﴿ قل من رب السموات والارض قل لله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن تقديم نفع على ضر فى سورة الرعد وعكس ذلك في سورة الفرقان وما الذى أوجب هذا الاختلاف ﴿ الجواب ﴾ أن يقال أما فى سورة الرعد فانه قدم فيه الافضل على الانقص لان اجتلاب النفع أشرف من استدفاع الضر وهو رتبة فوقه فمن فاته كل ذلك طلب دفع الضرر فهو على وجهه فى الترتيب وأما فى سورة الفرقان فانه بنى على ما قبله وهو لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وقوله لا يخلقون نفى وهم يخلقون اثبات فتقدم النفى على الاثبات وكان الضر نفيا والنفع اثباتا أى النفع إثبات المصالح وايجادها والضر نفيها فكما قدم فيما قبله ما نفى على ما أثبت حمل المعطوف عليه ليكون مشاكلا له

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا ﴾ وكذلك فى سورة يونس وكان هناك يجب أن تذكر الآيتان ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل في هاتين الآيتين عن مثل ما سأل فى الاولين ﴿ والجواب ﴾ ان يقال أما فى سورة يونس فانه بدأ بما هو أبلغ اذا ابتدئ به لان امتلاك الضر أسهل من امتلاك النفع فالواحد منا يقدر لغيره من الضر على مالا يقدر عليه من نفعه ويتسهل عليه ضره ما لا يتسهل على الفاعلين

فكيف ما يتعذر ثم ذكر بعده ولا ينفعهم لاستيعاب ما في الباب .. وأما في سورة الفرقان فانه تبع لما تقدم فيه الافضل على الانقص لقوله تعالى (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) وقوله بعده (وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهرا) فقدم خلطة النسب على خلطة السبب وهى المصاهرة ثم جاء بعد ذلك ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم فقدم النفع على الضر اتباعا لما تقدم

﴿ سورة الشعراء ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين ﴾ وقال في سورة الانبياء وهو ماوجب ذكره هناك ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل ما الذى خصص ذكر الرحمن بسورة الشعراء وذكر ربهم بسورة الانبياء ﴿ والجواب ﴾ انه انما خص هذين الوصفين من صفات الله تعالى فى هذين الموضعين لان الرب هو القائم بمصالح الخلق من ابتداء التربية الى آخر العمر والرحمن هو المنعم عليهم في الدنيا بما خلق فيها والمعرض للنعيم الدائم بعدها وإيتائهم بالذكر من عنده وهو القرآن العظيم مما يصلحهم فوق ما تصلحهم الاغذية المخلوقة لهم فذكر ان الرب الذى أصلح بانواع ما خلق أجسادهم أصلح بما صرفهم عليه من طاعته أديانهم فهو ما يقتضيه الوصف بالرب والوصف بالرحمن .. وأما اختصاص سورة الشعراء بالرحمن فلأن السورة مقصود بها ذكر الامم الذين بعث اليهم الانبياء عليهم السلام وختم على كل قصة من قصصهم بقوله (ان

في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وأولها قصة موسى عليه السلام واذ نادى ربك موسى فاتصف تعالي بالعزيز الرحيم لمايوجبانه من الخوف والرجاء اللذين بهما لزوم الطاعات والرغبة فيما علا من الدرجات وأراد بالرحمة ان هذه الامة أمهلت لتقلع عن تمردها وتعود الى ربها وتتوب من ذنبها فلما لم تفعل عوقبت في الدنيا سوى ما أعدلها في الآخرة وقال في اول هذه السورة(ان نشأ ننزلْ عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) الا انه اراد ان لا يكونوا كالملجئين في دينهم الى اعتقاد ما يعتقدونه وامهلهم رحمة منه بهم فقال ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث فاختص هذا الوصف هنا لذلك .. وأما قوله في سورة الانبياء ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فلأنه عد اصلاح اديانهم من جملة اصلاح ابدانهم والرب القائم بما يصلح العبد والدين ابلغ في اصلاحه مما يغذوه من طعامه وخص هذا الموضع بذكر ربهم لانه قال اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ولا يغفلون إلا اذا كانوا في رغد من عيشهم ولا سبيل اليه الا بمظاهرة النعمة من الله تعالى وفعله هذا بهم يقتضي وصفه بربهم

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالي ﴿ واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ﴾ وقال في سورة الصافات ﴿ وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن زيادة ذا في قوله في الصافات ماذا تعبدون واخلاء ما في الشعراء

منها ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان قوله ما تعبدون معناه أى شيء تعبدون وقوله ماذا فى كلام العرب على وجهين . احدهما ان تكون ما وحدها اسما وذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي تعبدون وتعبدون صلة لها . والآخر ان تكون ما مع ذا إسما واحداً بمعنى أى شيء وهو فى الحالين أبلغ من ما وحدها اذا قيل ما تفعل فما تعبدون فى سورة الشعراء إخبار عن تنبيهه لهم لانهم أجروا مقاله مجرى مقال المستفهم فأجابوه وقالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين فنبه ثانياً بقوله هل يسمعونكم إذ تدعون واما ماذا تعبدون فى سورة الصافات فانها تقريع وهو حال بعد التنبيه ولعلمهم بأنه يقصد توبيخهم وتبكيتهم لم يجيبوا كاجابتهم فى الأول ثم أضاف تبكيتاً الى تبكيت ولم يستدع منه جواباً فقال ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فلما قصد فى الاول التنبيه كانت ما كافية ولما بالغ وقرع استعمل اللفظ الأبلغ وهو ماذا التى ان جعلت ذا منها بمعنى الذى فهو أبلغ من ما وحدها وان جعلا إسما كان أيضاً أبلغ وأوكد مما اذا خلت من ذا

﴿ الآية الثالثة من سورة الشعراء ﴾

قوله تعالى ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل فيقول ما الذى أوجب ادخال هو فى قوله والذى هو يطعمنى ويسقين وقوله فهو يشفين واخلاء قوله والذى يميتنى منها ولم يقل والذى هو يميتنى كما قال والذى هو يطعمنى ﴿ الجواب ﴾ ان يقال لو جاء والذى يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين لكان معلوماً ان مراده هو الله تعالى وذكر هو

توكيداً لمعنى الكلام وتخصيصاً للفعل به دون غيره واحتاج ذكر الاطعام والشفاء الى هذا التوكيد لانهما مما يدعى الخلق فعله فيقال فلان يطعم فلانا والطبيب يداوى ويسبب الشفاء فكان إضافة هذين الفعلين الى الله تعالى محتاجة الى لفظ التوكيد لما يتوهم من تضيفه الى المخلوق الى مالا يحتاج اليه إضافة الموت والحياة لان أحداً لا يدعى فعلهما كما كان يدعى الاولين فافترقا لهذا الشأن

﴿ الآية الرابعة منها ﴾

قوله تعالى فى قصة صالح عليه السلام ﴿ قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين ﴾ وقال فى قصة شعيب عليه السلام ﴿ واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن الواو فى قصة شعيب فى قوله وما أنت الا بشر مثلنا وحذفها من مثله فى قصة صالح عليه السلام ﴿ الجواب ﴾ ان يقال ان قوم صالح فى حال هذا الخطاب لم يدفعوا أمره كما دفع أمر شعيب قومه فيما حكى الله تعالى من قولهم لصالح عليه السلام انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا ثم لم يطلبوا منه ماليس لهم طلبه لانهم قالوا فأت بآية ان كنت من الصادقين وهذا لا شطط فيه ولا في قولهم انت من المسحرين وقولهم ما أنت الا بشر مثلنا لان الله تعالي يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم قل انما أنا بشر مثلكم يوحي الى والمسحرون فيه أقوال أحدها الذين لهم سحر ورئة وقيل المعللون بالطعام والشراب كما قال امرؤ القيس

أرانا موضعين لحتم غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

وقال لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر

وقيل المسحرون المسحورون كأنه سحر مراراً حتى خبل وفسد عقله واضطرب رأيه عن مجاهد وقتادة وقيل المسحرون المخلوقون عن ابن عباس فالموضع الذي لا واو فيه هو بدل من الجملة التي قبله ثم قال فأت بآية ان كنت من الصادقين ولهم ان يقولوا ذلك وأما قوم شعيب فانهم في خطابهم المحكى عنهم مشطون ومبالغون في رده وتكذيبه فقالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا على خبرين عطف أحدهما على الآخر وقالوا بعده وان نظنك لمن الكاذبين على معنى وانا لنظنك كاذباً أى الغالب فى أمرك عندنا انك كاذب فلم يجعلوا الخبرين خبراً واحداً بل جعلوها اخباراً ثلاثة قولهم انما انت من المسحرين اى لست من الملائكة الذين هم رسل الله الى خلقه فلا يطعمون ولا يشربون بل انت من المغتذين بالطعام والشراب وقولهم وما انت الا بشر مثلنا اى لا فضل لك علينا فهو خبر ثان وقوله وان نظنك لمن الكاذبين خبر ثالث ثم طلبهم اسقاط كسف من السماء تكون أمارة لصدقه خلاف ما طلبته ثمود حين قالت فأت بآية ان كنت من الصادقين ولم تقترح بالحالة التي كانت فيها عند مخاطبة نبيها لها ولم يقارنها من التمرد ما قارن حال قوم شعيب حين ردوا عليه فى خبر بعد خبر فكان موضع الواو في قصتهم لذلك ولم يكن لها موضع في الأول لما بينا من ابدالهم الجملة الثانية من الاولي واقتصارهم علي بعض ما انبسط فيه غيرهم

﴿ سورة النمل ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ولى مدبراً ولم يعقب ياموسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم﴾ وقال فى سورة القصص ﴿فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسي أقبل ولاتخف انك من الآمنين أسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسئل فيقول فى سورة النمل ماليس فى سورة القصص والمحكى شيء واحد والزيادة قوله الا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فانى غفور رحيم وفى سورة القصص أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴿والجواب﴾ ان يقال الحكايات ليس يشترط فيها اذ أديت معانيها دون الفاظها استيعاب جميعها فى مكان واحد بل يجوز ان تفرق في أماكن كثيرة فهذا وجه ويكون معنى انك من الآمنين أى من المرسلين الذين لا يخافون ويجوز ان يكون الا من ظلم خارجا عن الحكاية ويكون خبراً من الله تعالى يخبر به نبينا عليه السلام فيعترض بين جمل مايحكى كما قال الله عز وجل فيما حكى من كلام صاحبة سبأ (ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) فيكون وكذلك يفعلون غير محكى وانما يكون خبرا من الله تعالى معترضا بين ماحكى تصديقا لها ثم قال عائدا الى حكاية قولها وانى مرسلة اليهم بهدية ويجوز في هذا المكان أن يكون معنى وكذلك يفعلون من الحكاية علي معنى أن الملوك تأثيرهم في القرى التي يدخلونها تخريبها وكذلك يفعل هؤلاء يعني سليمان عليه السلام

وخيله ومعنى قوله فى الآية الا من ظلم محمول على وجهين. احدهما أن يكون استثناء من متصل لا من منقطع فيكون مستثنى مما يدل عليه لا يخاف لدى المرسلون وهذا يدل على أن غيرهم يخافون فترك ذكرهم لقوة الدلالة عليه كما قال وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر فحذف البرد لعلم المخاطبين به واذا كان لكن غير المرسلين يخافون مقدرا اثباته كان الاستثناء منهم أى انهم يخافون الا من محى ظلمه بتوبة . والوجه الثانى أن يكون استثناء منقطعا تقديره لكن من ظلم من غير المرسلين ثم بدل سيئة بحسنة ومحى خطيئته بتوبة فالله غفور رحيم

﴿ الاية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون أمن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ءإله مع الله بل هم قوم يعدلون امن جعل الارض قراراً وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً ءإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءإله مع الله قليلا ماتذكرون أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ءإله مع الله تعالى الله عما يشركون امن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ءإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عما ختمت به هذه الآيات بعد قوله ءإله مع الله وهل تقدم مايوجب اختصاص ذلك به دون غيره ﴿ الجواب ﴾ أن يقال قوله تعالى خير اما يشركون بنيت عليه هذه الآيات وتكلم أهل النظر فى قولك هذا أفضل من هذا وهذا خير من هذا فقال بعضهم يقال في الخير الذي لا شر فيه والشر الذى لا خير فيه اذا

كان يتوهم بعض الجهال الامر على خلاف ماهو به هذا الخير خير من الشر وانكر على من خالف هذا وعلم ذلك عند أهل الاعراب وهو أن الاصل فى باب أفعل من كذا التفضيل فاذا قيل هذه الاصطوانة اطول من تلك فقد وصفها بالطول الا أنه يزيد فى طول احداهما على طول الاخرى والزم أفعل من ابتداء الغاية كأن المعنى ابتداء زيادة طولها منتهى الاصطوانة الاخرى فلا يقال أفعل من كذا الا والمفضل عليه فيه ذلك المعنى الذي زاد به المفضل عليه . . فأما قوله تعالى بعد وصف النار اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا الي قوله وادعوا ثبوراً كثيراً قل ذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون ولا خير فى الاول فانما المعنى أن هؤلاء الكفار يحرصون على مايكسبهم النار كانهم يرونها خيرا لهم ثم وصف مايختارونه بصفته واتبعه الخير الذى لا شر فيه فقال فعلكم فعل من يرى النار خيرا له من الجنة فانظر واهل هى كذلك أم لا وكذلك قوله فما أصبرهم على النار أى يتعرضون لها ويكتسبونها ففعلهم فعل من يصبر عليها وكذلك قوله آلله خير أما يشركون أى هم مشغولون بعبادة الاوثان عن عبادة الرحمن وفعلهم ينبيء انها تنفعهم فوق ما ينفعهم خالقهم فكأنهم قالوا إن تلك انفع لهم منه تبارك وتعالى ثم قررهم فقال آلله انفع لكم أم الاوثان وفصل عظم المنافع التى أنعم الله بها ولم يشاركه غيره فيها فقال امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء أى اذا اعترفتم بأن الله سنى لكم المصالح ويسر لكم المنافع وخلق السموات والارض اللتين بهما أمسك الخلق وأنزل المطر من فوق وأنبت به قوام الناس من تحت من بساتين ذوات المناظر الحسنة سوى المآكل الطيبة ثم قال ءإله مع الله أى أيحتاج من يفعل هذا الي عضد ومعين بل الكفار قوم يعدلون عن الحق وقيل

يعدلون بمن يفعل هذا غيره تعالى الله عن ذلك فهذا موضع بل هم قوم يعدلون لان أول الذنوب العدول عن الحق وقوله وان يثبت الها مع الله تعالى الله فيعدله به وقوله أمن جعل الارض قرارا وصف ما أظهره الله من قدرته في البر والبحر مما به امساك الارض ثم قال أءله مع الله أى أمع الله من يفعل مثل فعله بل أكثرهم لا يعلمون مالهم فى عبادة الله تعالى واخلاصها وما عليهم في اشراك غيره فيها أى لو علموا ماتنتهى اليه عواقب هذين لما عدلوا عما هو لهم انفع الى ماهو لهم أضر وهذا مكانه بعد قوله بل هم قوم يعدلون وقوله بعد ذلك أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اءله مع الله قليلا ماتذكرون ذكرهم بما لا يكاد يخلو منه أحد اذا دفع الى شدة واضطر الى الانقطاع الى الله تعالى فدعاه وكشف شدته وقوله ويجعلكم خلفاء الارض أى يقيم المظلوم مقام الظالم فى أرضه ويجعل من في العصر الثانى خلفا ممن في العصر من قبله وهذا موضع ينسى فيه الانسان سالف شدته براهن نعمته فقال قليلا تذكركم مامر فى ذكركم من بلائكم وشركم وهذا موضع يليق به ماجاء فيه وهو قليلا ماتذكرون وقوله أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته اءله مع الله تعالى الله عما يشركون قوله يهديكم فى ظلمات البر والبحر معناه ينجيكم منها بهدايته وما نصب لكم من آياته بالنجوم التى تعولون عليها فى الماء وفي البر اذا لم تهتدوا فى الظلمات وهو مثل قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون فلما كانت هدايته في البر وتسييره جوارى الفلك بالريح ضم اليه الريح الأخرى المبشرة بالقطر فلما ختم الآية التى هى فى معناها

بقوله ثم أنتم تشركون ختم هذه بقوله تعالى الله عما يشركون لان المذكورين في هذه الآية هم المذكورون في تلك . . وأما قوله أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض اءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين أي من لابتداء كونكم وهو خلقكم ومن لانتهائه وهو بعثكم لمجازاتكم ومن للحال المتوسطة بين هذين وهو حفظ حياتكم باقواتكم وارزاقكم من السماء والارض اءله مع الله هاهنا من يعدل رب العالمين هلموا برهانكم وما يظهر في النفوس ان ماتقولونه حق وان ماعداه باطل فانكم لاتقدرون الا على ضده مما يدل على ان ماتقولونه باطل وما عداه مما تخالفونه حق فقد بان ووضح ان كل خاتمة لائقة بمكانها والسلام

﴿ سورة القصص ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ﴾ وقال في حم عسق ﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل في هذا المكان عن مسئلتين . احداهما وما أوتيتم في الاولى بالواو وفي الثانية بالفاء وما الذي خصص كل مكان بما جاء فيه . والثانية قوله تعالى في الاولى فمتاع الحياة الدنيا وزينتها فذكر الزينة في الاولى ولم يذكرها في الأخرى ﴿ الجواب ﴾ عن ذلك ان يقال هذه الآية جاءت بعد قوله وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون ثم خاطب الذين أوعدهم بمثل ما أهلك به من قبلهم وانه ليس لكم فيما تؤتونه في الدنيا عوض مما يفوتكم في الاخرى لان جميع ذلك لاينفك مما تنتفعون به انتفاعا منقطعا وان تطاول أمده أو تتزينون

به فجميع اغراض الدنيا مستوعب بهذين اللفظين اماما لا يستغنى عنه الحى من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ويرى العاقل المتعة بها قليلة وان كانت طويلة لانقطاعها بالموت وانتهائها الى حسرة الفوت واماما لا حاجة به اليه من فضول العيش مما يتزين به من الملابس الفاخرة والآلات الحسنة والدور المزوقة المنجدة والخيل والبغال والحمير ماركب منها للحاجة اليها وما اتخذ زينة يتجمل عند الأكفاء بها فما كان محتاجا اليه فهو متاع ايام قليلة وما فضل عن ذلك فهو مايقتنى لعدة وزينة والدليل علي أن الخطاب خارج علي هؤلاء وان صلح عظة لجميع الناس التفصيل الذى جاء بعده فى قوله (أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أي يحضرون العقاب لتقدم ذكر من يعطى الثواب فلم يكن لعطف هذه الجملة على الجملة المتقدمة غير الواو اذ لا معنى هاهنا من معانى الفاء .. وأما ذكر زينتها فلاستيعاب جميع مابسط فيه الرزق للكفار .. والآية الثانية قبلها (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ولفظ ذلك عام ومعناه خاص اذ كانت المصائب تصيب من لم يذنب ولا عقاب عليه فالمراد به بعض المصايب وبعض المصائب ثم تبعه قوله(ومن آياته الجوار في البحر)ان يشأ يفعل أو لا يفعل أى ان شاء أنجى أهلها وان شاء أهلكهم بذنوبهم وقد لا يهلكهم فيعفو عمن يستحق العفو ويمهل من علم منه الصلاح (والذين يجادلون فى آياتنا)وهم الكفار يعلمون وهم في السفن أنهم لا منجا لهم الا بالله ولطفه ثم خاطبهم فقال وان أوتيتم السلامة ورزقتم بعدها العافية فذلك قليل البقاء وان امتد اياماً فليس القصد فى هذا المكان استيعاب جميع مايتوهم في دنياهم بل هو مطلوبهم في تلك الحال من النجاة والامن فى الحياة فلم يحتج الى ذكر الزينة.

ولم يكن الا موضع الفاء لان تعلق مابعدها بقوله (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص)أي يغلب على ظنونهم ذلك فان انجاهم الله وأعطاهم مرادهم فى تلك الحال فان ذلك سريع الزوال عنهم قليل البقا معهم والذى أعده الله تعالى للمؤمنين خير وأبقى ثم وصف المؤمنين بصفات ترغبهم فى الكون عليها فى قوله (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) الى آخر القصة كما زهدهم في التمسك بالدنيا الفانية فالمراد بما يؤتونه انما هو مطلوبهم من السلامة والنجاة من تلك الهالكة والامن من أمثالها من الورطات وذلك عقيب ماأشرفوا عليه من الغرق ولا موضع لهذا الكلام يحسن غير العطف على ماقبله بالفاء لانه عقب مانالهم من المخافة بما أوتوه من الامنة وحال السلامة الى سائر ماالله من النعمة فقد تضمن ماذكرنا الجواب عن المسئلتين

﴿الآية الثانية منها﴾

قوله تعالى ﴿قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن تقديم الليل علي النهار وانه لو قدم النهار هل كان على مقتضى الحكمة وقوله عقيب هذا أفلا تسمعون وعقيب الآخر أفلا تبصرون ﴿ والجواب ﴾ عن ذلك أن يقال ان نسخ الليل بالنير الاعظم أبلغ في المنافع بما ضمن من المصالح من نسخ النهار بالليل ألا ترى أن الجنة نهارها دائم لا ليل معه لان الليل في دار التكليف للاستراحة والاستعانة بالجمام والراحة علي مايلزم من الكلف المتعبة والمشاق المنصبة ودار النعيم يستغنى فيها عن ذلك

لانها مقصورة على نيل المشتهى وعلى ماتلتذبه النفس وتهوي فتقديم ذكر الليل لانكشافه عن النهار الذى يمكن من التصرف في المعايش والسعى فى المصالح الي مالايحصى كثرة من المنافع المتعلقة بالشمس أحق وأولى .. وقوله أفلا تسمعون أى أفلا تسمعون سماع من يتدبر المسموع ليستدرك منه قصد القائل ويحيط باكثر ماجعل الله فى النهار من المنافع أم أنتم صم عن سماع ماينفعكم وقوله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون أى أفلاتستدركون من ذلك مايجب استداركه فان عقيب السماع استدراك المراد بالمسموع اذا كان هناك تدبر له وتفكر فيه ولم يجعله السامع دبر اذنه

﴿ سورة العنكبوت ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسناً وان جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ وقال فى سورة لقمان ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الي ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ وقال في سورة الاحقاف ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى في ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن اختلاف هذه الآيات الواردة في الوصاة بالاحسان الى الوالدين

والبر بهما الا اذا دعوا الى الشرك وبعثا على الكفر وعن موقعها وهل كان يصلح احداهامكان الاخرى ﴿ الجواب ﴾ أن يقال أما موقع هذه الآية من سورة العنكبوت فمشبه مواقع الآيات التى قبلها والتي بعدها وذلك انه أجمل فيها الاحسان لقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) اشتمل هذا على جميع معاملة المؤمنين في الدنيا والآخرة وهى فى الدنيا ايمانهم وصالحات اعمالهم التى يكفر بها السيئات فلا يؤاخذ بها من ضمن جزائه علي أحسن عمله وهو طاعة الله تعالي التي اخلصها له ولم يقصد أن يعملها خلقه ثم قال (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أي الزمناه حسناً في امر والديه وقياماً بحقوقهما عليه ثم قال وان أراداك على الشرك فلا طاعة عليك لهما فهذه جملة لم تتضمن ذكر السبب الذى أكد الحق بل اقتصر فيها على مالاغنى عن علمه ولا يعذر أحد فى جهله وأما الآية فى سورة لقمان فانها ذكرت بعد ماحكى الله تعالى عن لقمان من وصية ابنه اذ يقول يابني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم فذكر الله تعالى عقيب ذلك وصية الانسان بهما ونبه على السبب الذى له عظم حقهما فقال (حملته أمه وهنا على وهن) أى ضعف حمل مضافاً الى ضعف المرأة وقيل ضعفاً يتزايد علي ضعف كما يتزايد ثقل الجنين وارضعته عامين وهذان وان انفردت بهما الام فان الاب يتحمل الشدائد في القيام بامر الام والولد حتى يقدر على تربيته وربما ضيق على نفسه فيما يصرف اليهما من نفقته فقال ان اشكر لى ولوالديك والمعنى ووصيناه بان اشكر لى ولوالديك وان بمعنى أي وهو تفسير الوصية والتنبيه على عظم النعمة ووجوب شكر الله على قدر ما أولاه اذ كان هو خلقه وسوى اعضاءه ونفخ الروح فيه وأنعم عليه قبل استحقاقه ثم عرضه النعمة الشريفة والدرجة

العلية وشكر بعض ذلك يستغرق الجهد ويفني الطوق فاما شكر الوالدين فهو أن يحسن اليهما ويبرهما ويكرمهما ويطيعهما الا اذا امراه بمعصية الله تعالى فتسقط عنه طاعتهما لانه مع اسقاط حق الخالق لا يثبت حق الوالدين لان الله تعالى عقد شكرهما بشكره فاذا دعواه الى معصيته فقد ابطلا به شكره فانحل شكرهما المعقود معه وقيل ان هـذه الآية نزلت في سعد بن مالك وهو سعد بن أبي وقاص وروى عنه أنه قال كنت براً بأمي فلما أسلمت قالت لي ياسعد ما هذا الدين الذي أراك قد أحدثت والله لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال قاتل أمه فلم تأكل ولم تشرب يوماً وليلة فأصبحت وقد جهدت فلما كانت القابلة لم تأكل ولم تشرب فاصبحت وقد اشتد جهدها فقلت لها يا أمه تعلمين والله لو كان لك سبعون نفسا فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء فلما رأت ذلك أكلت وشربت فأنزل الله هـذه الآية فيّ فهـذه الآية قد تضمنت من البيان والتفصيل مالم تتضمنه الاولى لان تلك مذكورة مع الحمل وهذه مذكورة لقصة مشروحـة فيما بين آيات تضمنت الواجبات والمستحسنات فيما حكى الله عز اسمه في وصية لقمان لابنه ثم كان في ذكر أب وصى ابنه بمجانبة الشرك وقرن اليه ما كان من خلاف ابن لام بعثه جهدها على الكفر ومما روى عن لقمان في معنى الوصية أنه قال يابني ان الله رضيني لك فلم يوصني بك ولم يرضك لي فأوصاك بي وهذا كلام شريف له وقع كبير ذكرناه ليتدبر معناه . . وأما الآية الثالثة فانها وردت فيمن أوصى بوالديه وهما مؤمنان لا يمنعانه عن الايمان وهو من طاب نفساً وأصلا ورغب الى الله أن يطيب فرعاً لانه قال تعالى حكاية عنه (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي) وبعد هذه

الآية ذكر ولد كافر استغاث الله والداه لاصراره على كفره ولما أعياهما من مداراة أمره.. فأما قوله (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) فالمراد أقل حمله وهو ستة أشهر ويروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه أتى بامرأة ولدت لستة أشهر فشاور الناس في رجمها فقال ابن عباس رضى الله عنه ان خاصمتكم الى كتاب الله خصمتكم قال الله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وقال وحمله وفصاله ثلاثون شهراً فالحمل ستة أشهر والفصال عامان فخلى سبيلها وأما معنى قوله وفصاله فى عامين أى فى انقضاء عامين لان الفصال هو الفطام اذا فصل الولد عن الام فكانت الوصية الاولى فى سورة العنكبوت وصية مجملة عامة للناس والثانية فيمن منعه أحد والديه عن الايمان والثالثة فيمن آمن وآمن أبواه وسأل الله أن يصلح أولاده وكان هذا مذكورا مع آية فى ذكر ولد كافر يجتهد والداه فى دعائه الى الايمان والثالث فى مؤمن أبواه مؤمنان والثانى في مؤمن أحد أبويه يمنعه من الايمان فالاول عام كما ترى وقد استوعبت القصة ما يحتاج الى ذكره فى دعاء من يدعو ولده الى كفره

﴿الآيه الثانية من سورة العنكبوت﴾

قوله تعالى ﴿ وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ وقال فى سورة حم عسق ﴿ وما أنتم بمعجزين في الارض ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن فائدة قوله ولا فى السماء في سورة العنكبوت والاقتصار علي ذكر الارض فى هذه وهل كان يصلح احدهما مكان الاخر ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان الاية التى فى سورة العنكبوت تحكى قول ابراهيم عليه السلام لكفار قومه وفيهم نمروذ بن

كنعان الذى حاجه وفي كثير من الاخبار أنه رام الصعود الى الجو يوهم انه يحاول السماء كما قال فرعون لهامان فى بناء الصرح ماحكاه الله تعالى فى كتابه في موضعين فقال لهم ابراهيم عليه السلام لاتفوتون الله فى الارض كنتم أوفى السماء ولا سبيل لكم اليها كما قال الله تعالى (يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان) وأما الآية فى سورة حم عسق فانها بعد قوله (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وهذا عام في المصائب والمراد به الخصوص لانه ليس مصيبة مستحقة باجترام اذ قد يصاب من لاجرم له ومن لم يبلغ حد التكليف فيجب عقابه على ذنب يكون منه والمخاطبون مخصوصون بالمعنى وان عموا باللفظ وقوله ويعفو عن كثير أى عن ذنوب يتجاوز عنها ولا يؤاخذ بها ولا يكون ذلك للكفار لان العفو مبذول لمستحقه واذا صح ان هذا الخطاب متوجه على المسلمين وتبعه قوله (وما أنتم بمعجزين فى الارض ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) علم انه وعيد لهم وليسوا من القوم الذين يخاطبون بقوله ولا فى السماء ومعناه لا تسلكون مسلكا تلتجئون اليه من عقاب الله اذا وجب عليكم وقد جاء هذا بغير لفظ الارض والسماء وهو قوله والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وماهم بمعجزين) فيكون هذا مطلقا فى كل ملجأ ومهرب . وقد قيل فى قوله وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء أى لاتفوتون من فى الارض من الانس والجن ولا من فى السماء يعنى من الملائكة وهم خلق الله فكيف تعجزون الخالق تعالى عن ذلك . وقول ثالث وهو ان يكون المراد لاتفوتون أنفسكم مايحق من عقاب الله عليكم ان هربتم فى الارض كل مهرب وان صعدتم فى السماء

كل مصعد لو استطعتموه كما قال (فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض أوسلما في السماء فتأتيهم بآية) أى لا يكون ذلك أبداً وفى الجواب الاول كفاية فى الفرق بين الموضعين وما يختار لكل واحد منهما .

﴿ الآية الثالثة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوا أوحرقوه فأنجاه الله من النار ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ وقال بعده ﴿ خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل فيقول قال في انجاء ابراهيم عليه السلام من النار ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال فى خلق السموات والارض ان فى ذلك لآية للمؤمنين فوحد الآية هنا وجمعها هناك والآيات فى خلق السموات والارض أكثر منها في تخليص ابراهيم عليه السلام من النار ﴿ والجواب ﴾ ان يقال اذا أخبر الله تعالى عن المؤمنين فى كتابه فهو متناول من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وهم محدودون واذا قال ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون فهو لاقوام لم يتناهوا فكل من يؤمن الى يوم القيامة منهم وداخل فيهم ولكل دلالة وأمارة بينة فجمعت لعدتهم التى لم تتناه ولما قال في خلق السموات والارض آية للمؤمنين وهم جماعة واحدة محصور عددهم والآية الواحدة تجمعهم باين الخبر عنهم الخبر عمن وجد وعمن لم يوجد أكثرهم فاختلفت بهم الدلالات وجمعت لهم الآيات لا نتشار اعدادهم وتباين امدادهم فاختلف الموضعان لذلك

﴿ الاية الرابعة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات

في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن تسمية الجاحدين فى الآية الاولى بالكافرين وفى الثانية بالظالمين وأولئك ظالمون كما ان هؤلاء كافرون فلما ذا اختصاص الاولى بتلك الصفة والثانية بهذه الصفة ﴿والجواب﴾ ان من جحد آيات الله فقد كفر نعمته وهذا أول مايفعله لان ذلك متعلق بما قبله ممن تولى خلقه وانعم عليه بما استوجب به شكره فاول فعله كفر نعم الله ثم انه مسىء الى نفسه ظالم بأن أبد لها من النعيم الذى عرض له عذابا لا يطيقه فكفره أول فى الذكر وظلمه ثان لانه فوت نفسه عظيم الاجر آخرا فى العمل فقدم الكافرين على الظالمين لذلك

﴿ الآية الخامسة منها ﴾

قوله تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ وقال فى سورة آل عمران ﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسئل عن اختصاص ما فى سورة آل عمران بالواو فى قوله ونعم واخلائها فى سورة العنكبوت منها ﴿والجواب﴾ ان يقال ان الآية من سورة آل عمران مبنية على تداخل الاخبار لان أولها أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين فاولئك مبتدأ وجزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبر المبتدأ الثانى وهو مع خبره خبر المبتدأ الاول والجزاء هو الاجر فكأنه قال أولئك أجرهم على أعمالهم محو ذنوبهم وادامة نعيمهم وهذا الاجر مفضل على كل أجر يعطاه عامل على عمله فنسقت الاخبار بعضها على بعض للتنبيه على النعم التى هدفت لرجاء الراجين وا كملت بها منية المتمنين

والخبر اذا جاء بعد خبر فى مثل هذا المكان الذى تفضل فيه المواهب المرغب فيها فحقه ان يعطف على ماقبله بالواو كقولك هذا الجزاء كذا وكذا أى هو ترك المؤاخذة بالذنب والتنعيم فى جنة الخلد وتفضيله على كل جزاء جوزى به عامل وذلك تشريف وكرامة.. وأما الآية التى في سورة العنكبوت فان ماقبلها مبنى على ان يدرج الكلام فيه على جملة واحدة (وهى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) فقوله الذين آمنوا مبتدأ وقوله لنبوئنهم فى موضع خبره فهذا الخبر يتصل به مفعولان الاول هم والثانى قوله غرفا وغرفا نكرة موصوفة بقوله تجرى من تحتها الانهار وقوله خالدين فيها حال من التبوء فلما جعلت هذه الأشياء كلها فى درج كلام واحد وهو جملة ابتداء وخبر واحتمل قوله نعم أجر العاملين ان يجيء بالواو وان يجيء من دونها اختير مجيئها بغير واو ليشبه ماتقدم من عقد بخبر لا على سبيل عطف ونسق ويحتمل أن يكون فى موضع خبر مبتدأ كأنه قال ذلك نعم أجر العاملين ويكون قوله ذلك إشارة الى ماذكر الله تعالى من اسكانهم الجنة فيجري بلا واو مجرى ما هو من تمام الكلام الاول كقوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فقوله ذلك وان انقطع عن الاول فى اللفظ فانه متصل به من طريق المعنى وكأنه قال لهم ما يشاؤن عند ربهم مشار اليه بأنه الفضل الكبير وقوله نعم أجر العاملين أى ذلك نعم أجر العاملين مشار اليه بالتفضيل على أجور العاملين واذا كان الأمر على ماذكرنا فى الآيتين لم يلق بكل واحدة منهما الا ماجاءت به فاعرفه

﴿الآية السادسة من سورة العنكبوت﴾

قوله تعالى ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم﴾ وقال فى سورة القصص ﴿ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا﴾ وقال في سورة حم عسق ﴿له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء انه بكل شئ عليم﴾ وكذلك فى سورة الرعد ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسئل عن الآية الاولى وتخصيصها بالذكر بقوله من عباده ويقدر من دون قوله له عن الأخريين ومجيئهما من اللفظتين عاريتين وهما من عباده وله ﴿والجواب﴾ عن ذلك ان يقال اما الاولي فى سورة العنكبوت فانها جاءت بعد قوله وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم فلما ذكر ان الله تعالى هو رازق جميع الحيوانات ما ادخر منها كالنمل وما لم يدخر كالطير تغد وخماصا وتروح بطانا فبين الله نه كما كان فى غيرنا من الحيوان ماهو موسع عليه وما هو مضيق عليه كذلك الامر فينا ثم قال الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وكان بعد القسمة الاولي من يبسط له الرزق فى حال ويضيق عليه فى أخرى فقال الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له فالهاء فى له ترجع الى ماشاء من عباده ومن يشاء مفعول يبسط فكان من يقدرله هو من يبسط له فى وقتين مختلفين فاقتضى هذا المكان اللفظ الذى جاء فيه بالمعنى الذى هو غير الاول من جمع البسط والقبض لواحد فى حالين وكذلك قوله قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وأما قوله فى سورة القصص واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء

من عباده ويقدر والمعنى انتبهوا لان الله يوسع الرزق لمن يشاء لا لكرامته كما وسع على قارون ويضيقه على من يشاء لا لهوانه كما ضيق على كثير ممن آمن به ثم قال تعالى حكاية عنهم (لولا أن من الله علينا لخسف بنا) أى لولا من الله علينا بان صرف عنا الغنى الذى يقع الكفر معه لكفرنا نحن مثل كفره ولخسف بنا كما خسف به فقوله لمن يشاء من عباده ويقدر أى يبسط الرزق لمن يشاء بسطه له ويقدر لمن يشاء قدره عليه فاضمر الفعل الثانى مثل ماتعدى اليه الفعل الاول وهو من يشاء لعلم المخاطب به وأنه فى المعنى غير الاول وان كان فى اللفظ مثله .. وأما الآيتان في سورة حم عسق وسورة الرعد فانهما مقصورتان على ذكر البسط والقبض بحسب والتى فى الرعد جاءت مع قوله (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا) وفيه دليل على انهم موسع عليهم فى الرزق لقوله وفرحوا بالحياة الدنيا ولما قال لهم سوء الدار أى وسع عليهم فى الدنيا ليس لكرامتهم وان من ضيق عليه فيها ليس ذاك لهوانه فاقتضى المكان هذا لاجل المعنى ووقع اختصار في اللفظ في الفصل الثانى لان ماتعدى اليه مثل ماتعدى اليه المفعول الاول من المذكور بعده .. وكذلك قوله فى سورة حم عسق له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اجمل القول في التوسعة والتضييق لما أخبر انه خلق لنا من أنفسنا أزواجاً أى من أجناسنا اشكالا ذكورا وإناثا ومن الانعام مثلها فانه ينشئنا في هذا الخلق فلا يزال الآخر مخلوقا في الاول فى ظهور الآباء وبطون الامهات الى الوقت المعلوم وهو يملك أرزاق هذا الجمع من السماء بالمطر والنبت *فواد خطا وواد

مطره على مايشاء رب العالمين فتبارك الله أحسن الخالقين

﴿الآية السابعة من سورة العنكبوت﴾

قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله﴾ وقال في سورة الجاثية ﴿واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها﴾ وقوله في سورة البقرة ﴿ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن الآية من سورة العنكبوت لما ذا خصت بمن في قوله من بعد موتها وأخلى الموضعان الآخران منها ﴿والجواب﴾ ان يقال ان التقرير يؤثر فيه من تحقيق الكلام مالا يؤثر في غيره والظروف اذا حدت حققت تقول سرت اليوم فان قلت من أوله الى آخره كان الحد تحقيقا لانه قد يطلق لفظ اليوم وان ذهبت ساعة أو ساعتان من أوله وان بقيت ساعة أو ساعتان من آخره فاذا وقع الحد زال هذا الوهم فقوله من بعد موتها تحقيق لانه محدود بمن وخص به التقرير لانه من اماكنه وقوله تعالى في الآيتين الآخيرتين فأحيا به الارض بعد موتها ليس فيه تقرير كما كانت الاولي وان كان يؤدى معنى المحدود الا أنه ليس له لفظه فاختلف الموضعان بما ذكرت

﴿الآية الثامنة من سورة العنكبوت ﴾

قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ وقال في سورة لقمان ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن اختصاص الاولى بقوله لا يعقلون

والثانية بقوله لا يعلمون ﴿ الجواب ﴾ ان يقال ان الاولى في التنبيه على البعث والاحياء بعد الموت فاستعمل فيه لا يعقلون أي لا يفهمون عن هذا الفعل مثله وفى مثل هذا يقال عقلت من كلامه كذا أي استدركت وفهمت ومن تنبه على الشيء علمه بعد ان لم يكن منتبها عليه يستعمل فيه مثل فطرته وعقله وادراكه وشعوره وان صحب كل ذلك العلم الا انه علم على وصف وكذلك لما فصل الآيات التى أقامها فى السماء والارض وفى أصناف الخلق ذكرها فى سورة الروم وعقب بعضها بقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وان في ذلك لآيات للعالمين وان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون وقال فيما معناه ما ذكرنا ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون فخص ذلك بقوله يعقلون دون ماتقدم من الآيات المختومة بغيره من الالفاظ وليس كذلك الآية من سورة لقمان لان الكفار فيها مقرّون بان الله وحده خالق السموات والارض وهم يعلمون ذلك ويثبتون معه آلهة فكأنهم لا يعلمون فلذلك قال ولكن أكثرهم لا يعلمون فاذا عبدوا الاصنام العبادة التى تحق لمن خلق السموات والارض باقرارهم فكأنهم لم يعلموا ما أقروا به وثبت معلوما لهم

﴿الآية التاسعة منها﴾

انه حضر ذكرها فى سورة العنكبوت بعد الفراغ مما جاء فيها فذكرناها آخرها قوله تعالى في سورة العنكبوت ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن﴾ فأكد لما بأن قرن اليها ان وهي فى سورة هود ﴿ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب﴾ فلم يؤكد لما فيها بأن توكيدها في

سورة العنكبوت وما الفرق بينها وبين ذكرها في سائر القرآن خالية من التوكيد بان ﴿والجواب﴾ أن يقال اقتران أن بها في سورة العنكبوت تكملة لمعناها فى نفسها ليدل بذلك على انه قد قارن جوابها متصلا به ما يكمله ويخلصه لتحقيق أو بطلان فالتي فى سورة العنكبوت قد اتصل بجوابها وهى سيء بهم وضاق بهم ذرعا ما يكمله ويخلصه لبطلان الذرع السابق اليه ومثله فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا فقوله القاه جواب لما وقوله متصلا به فارتد بصيرا تكملة للجواب وكذلك قول الشاعر *ولما أن رأيت بنى سميط*وجوابه فى البيت الثانى *تجلات العصا * وتكملته قوله متصلا به * وعلمت أنى رهين مجلس أن يدركونى . وكذلك قوله *فلما أن تنشي قام خرق*فهذا جواب لما وبعده ما يدل على أنه عرقب ناقة سمينة له فكان تكملة لجواب لما وهى فى قوله فى سورة هود لم يتصل بجوابها ما يخلصه لتحقيق أو بطلان إلا فى الآية الخامسة عند قوله قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا اليك فبعد هذا عن الجواب ولم يتصل به ما يكون من تمامه

سورة الروم

﴿ الآية الأولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها ﴾ وقال فى سورة فاطر ﴿ أو لم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض ﴾ وقال فى سورة المؤمن ﴿ أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف

كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا فى الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ وقال فى آخر هذه السورة ﴿أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسئل عن اختلاف الفاظ هذه الآيات واختصاص كل ما خالف منها الآخر بمكانه ﴿والجواب﴾ عن ذلك أن يقال اما التى فى سورة الروم فانها وقعت فى سورة اجملت فيها القصص فى ذكر الآيات والمواعظ والفرائض فبنيت هذه الآية على ذلك الا ترى ان قبلها (أو لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) وقال (أو لم يسيروا في الارض الى قوله ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوء ان كذبوا بآيات الله) وقال فى تنزيه الله سبحانه وتعالى وتسبيحه فى الصلوات فسبحان الله حين تمسون للصلاتين اذا امسي وحين تصبحون لصلاة الفجر وله الحمد فى السموات والارض وعشياً لصلاة العصر وحين تظهرون لصلاة الظهر فاجمل القول فيما فسره على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فلما كان الموضع موضعا قصد فيه ذكر الجمل قال أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ومعنى من قبلهم وقبلهم واحد والعامل فى الظرف كون محذوف لان الكون المذكور هو لكيفية العاقبة وهذا لكونهم قبلهم وقد أظهر في سورة المؤمن حيث قال كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ثم استأنف الاخبار عنهم بأفعال فعلوها قدم ذكر احدها ونسق الباقى عليه فقال كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها الى آخر أمرهم فكان حذف الواو الاختيار في

هذا المكان لان التقدير لما قال كيف كان عاقبة الذين من قبلهم صار كان سائلا سأل فقال كيف كانوا و بماذا عوملوا فجاء كانوا أشد منهم قوة مجيء الجواب المتضمن لافعالهم ثم ذكر بعده ما تضمن الجزاء علي اعمالهم واذا كان كذلك لم يحتج الى الواو كما احتاج اليها ما فى سورة الملائكة لان تلك تضم ما بعدها الى ما قبلها كأنه قال انظروا كيف اذلوا وكانوا أعز منكم عزة وكيف أضعفوا وكانوا أشد منكم قوة أى لحقهم ذلك فى حال متناهية بهم من أحوال الدنيا فابدلوا بأحوال غيرها وقبل ذلك (فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) أى ليس الكفار ينتظرون الا الهلاك المستأصل لهم كما حكم الله به على الامم قبلهم والله سن ذلك فى أمة كل نبي بعده نبي آخر وحكم فى هذه الامة بأن لا تستأصل كما استؤصل غيرها فلا الامة التى حكم عليها بالهلاك يبدل حكمه فيها ويجعل مكان الاستئصال الاستبقاء ولا التى حكم عليها بغير الاجتياح تجتاح فيحول اليها الحكم الذى سنه فى غيرها وهؤلاء الذين بعث على تدبر حالهم هم الذين أهينوا بعد عزة وأضعفوا بعد قوة فبدلت حالهم فكأنه قال أضعفوا وكانوا أشد منكم قوة فكان وجه الكلام هنا الواو اذ لم يكن في ابتداء خبر ينسق عليه اخبار يخبر بها عن الكفار كما كان فى الآية الاولى.. وأما التى فى سورة المؤمن أولا فانها في موضع بسط وشرح ألا ترى انها افتتاح قصة موسى عليه السلام مع فرعون وفيها نحو ثلاثين آية فاقتضي ذلك فى هذه الآية الشرح الذى لم يكن فى غيرها فقال (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) فاظهر الكون الذى صار من قبلهم ظرفا له ثم قال كانوا هم أشد منهم قوة وهم للفصل توكيد للخبر فاختص التوكيد

والشرح بموضعهما .. وأما التى فى آخر هذه السورة وهى أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف فقد تكلمنا فى الفاء مكان الواو فى أولم وهى انها في موضع جمل كالآية فى سورة الروم لان قبلها (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) فبنيت الآية على الايجاز الذى بنيت عليه تلك فقال (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة) فحذفت الواو من كانوا لانها استئناف اخبار كانه قال كانوا أكثر منهم وكانوا أشد قوة وكانوا أكثر آثارا فى الارض ومثله مما أجمل فيه القول (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) وقوله (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) وكانت لقريش رحل الي الشام يجوزون فيها بديار عاد وثمود فيرون آثارهم ويشاهدون ديارهم فاستدعت هذه الآيات اعتبارهم فما اعتبروا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن

﴿الآية الثانية من سورة الروم﴾

قوله تعالى ﴿ ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ ﴿للسائل﴾

ان يسئل عما ختمت به هذه الآيات فجاء في الاولى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الثانية ان في ذلك لآيات للعالمين وفي الثالثة لقوم يسمعون وفي الرابعة لقوم يعقلون ﴿والجواب﴾ ان يقال أما اختصاص الاولى بقوله يتفكرون فان الاختصاص بما ذكر قبله يؤدي الفكر فيه الى معناه وهو قوله ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها أي خلق لكم من جنسكم وشكلكم نساء وهذا ادعى الي الالفة والمحبة لوجود المشاكلة وقوله لتسكنوا اليها أي جعلها علي حال تعظم المسرة بها ويطمئن القلب اليها فاذا فكر الانسان في خلقها ونعمة الله على الرجال بها سوى أنهن أوعية الاولاد الذين اذا بروا فمن أكبر نعم الله على العباد فالفكر في ذلك وفي المعاني التي لها خلقن يؤدي الى العلم بقادر عليم وصانع حكيم وواحد قديم لايقدر أحد كقدرته ولا يعرف حكيم حدا لحكمته فختنا بالتفكر علي العلم بهذا كله . . وقوله وجعل بينكم مودة ورحمة أي ميل نفس بالمجانسة ورقة قلب تبعث على التعاطف ليتكامل سرور كل منهما بصاحبه وذلك من فضل الله تعالى ونظره لخلقه . . وأما قوله إن في ذلك لآيات للعالمين فلانه جاء بعد قوله ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ولا أحد الا والسماء تظله والارض تقله فلا ينفك منهما ولا يخلو من كونه بينهما يعلم ذلك باضطرار وأما اختلاف الألسنة فالمراد أن آلات الكلام متقاربة واجناس الأصوات والنغم مختلفة حتى يرى كل واحد من الناطقين مختصا بلطيفة من الله في صوته وفي جرس لسانه لا يخفى بها علي من عرفه اذا سمع كلامه والمستمع يميز بينه وبين من سواه قبل ان يراه ويعلم هذا كله من نفسه وممن يحاوره ويعاشره ويناطقه حتى لا يكاد يري اثنين في الدهر العظيم والعدد الكثير يتشابه صوتاهما ويلتبس

كلامهما وهذه اللطيفة لا سبيل الى وصفها حتى يتهيأ وصف كل صوت بما يحصره على صاحبه ويخصه بناطقه تبارك الله أحسن الخالقين وكذلك قوله والوانكم ليس المراد بها السواد والبياض والسمرة والحمرة والادمة والصفرة وانما المعنى اختصاص كل واحد من الناس بخلقة وانفراده بصورة يقارنها لفظ تدبير من الله تعالى بجعله على لون ونوع من التصوير يتميز به عن سائر أمثاله حتى لا يلتبس بواحد من اشكاله فلا تكاد تجد فى بلد تحوى من لا يحصر بعدد اثنين يتشابهان تشابه لبس بل كل مخصوص بخصوصية فى وجهه يعرف بها من غيره وهو ايضا مما يعجز عنه بالنعت ولا يمكن ابانة واحد من الآخر بالوصف حتى يستغنى به عن المشاهدة ويقوم من جهة الواصف له مقام الرؤية فهذه آيات يشترك فى معرفتها الناس كلهم وان استمرت الغفلة بهم ووقع على تأمله سهو منهم فلذلك قال ان فى ذلك لآيات للعالمين اى لجماعات الناس وكل جماعة منهم عالم .. واما قوله ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله فهو من باب لف الخبرين المعنى منامكم بالليل بالسكون وابتغاؤكم من فضله بالنهار كما قال قبله (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) اى لتسكنوا فى الليل ولتبتغوا من فضله بالنهار وكل من سمع هذا علم ان النوم عجيبة من فعل الله تعالى لا يقدر الانسان على اجتلابه اذا امتنع ولا على دفاعه اذا ورد ثم انه بالنهار لا بد له من تصرف لمعاش وطلب قوت وطعام به قوام الاجساد فلذلك قال يسمعون وقيل معنى قوله يسمعون يستجيبون لما تدعوهم اليه الايات ويصرفون أفكارهم اليها .. وأما قوله يعقلون فقد ذكرناه فى سورة العنكبوت حيث قال تعالى (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون)

﴿الاية الثالثة من سورة الروم﴾

قوله تعالى ﴿أو لم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ وقال في سوره الزمر ﴿أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسئل عن الموضع الذى ذكر فيه أولم يعلموا والموضع الذى ذكر فيه أولم يروا وما الذى أوجب اختصاص كل واحد من المكانين باللفظ الذى خص به ﴿والجواب﴾ أن يقال قوله تعالى فى سورة الروم (أولم يروا جاء عقيب قوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون) والمعنى اذا انعمنا عليهم نعمة ترى عليهم وتملأ مسارحهم ومراحهم وتعمر أفنيتهم وآنيتهم ملكهم الفرح واستولي عليهم البطر وان اصابتهم عقوبة علي ما قدموا من معصيته ونالتهم شديدة من جدب وقحط يصفر لها الاناء ويفرغ منهما الفناء حتى لا ترى لهم ثاغية ولا راغية لم يعتبروا ولم يقلعوا عما اتوا مما جر عليهم تلك الشديدة وفعلوا فعل من ييأس من ان يأتيه الله بعد ذلك بنعمة ان تدارك سيئة بتوبة فكان الاليق بهذا المكان أو لم يروا اموال من بسط الله له الرزق فيعلموا انه يوسع لمن يشاء ويضيق علي من يشاء وكلتا الحالتين مرئيتان عندهم مشاهدتان لديهم فان من بسط له الرزق رؤي ماله ولم يخف على المشاهد حاله ومن انقلب أمره وانقطع خيره أدركت العين منه خلاف ما كان قبل فلما جاءت هذه الآية بعد ذكر النعمة اذا وهبت وحال الانسان فيها اذا سلبت والنعمة مرئية لاق بهذا المكان أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر به ولما الاية فى سورة الزمر فان قبلها (واذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته علي علم بل هى فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها

الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق) فقوله واذا مس الانسان ضر دعانا والضر سوء الحال من مرض فى النفس ونقص فى المال وهو الذي شكاه أيوب عليه السلام بقوله مسنى الضر وقوله ثم اذا خولناه نعمة منا اى اذا اعطيناه بعد العلة صحة وبعد القلة ثروة ادعى انه أوتى ما أوتى بعلمه وأنه جلب العافية لنفسه بظنه وأنه لم تعاوده الصحة من قبل ربه ويقول فيما يحسن من حاله انى افتقرت قبل لانى قصرت والان علمت كيف التأتى للاكتساب واستعادة الغنى بعد الافتقار وتلك النعمة من الله وهى فتنة له أى تشديد فى التكليف عليه لانه مطالب بمعرفتها التى ذهب عنها وعن حكمها وغفل عن شكر واهبها والهاه الانغماس فى لذتها عن حمد من تفضل بها وا كثر الناس يعلم بموجبها وكأنه لا يعلمه فهذا معنى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ثم قال قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون أي قد كفر مثل كفرهم من كان من قبلهم فلما نزل عذاب الله بهم لم يملكوا دفعه بعلمهم ولا بمالهم ولكن أصابتهم عقوبات ما ساء من أعمالهم والظالمون فى عصرك يا محمد سيصيبهم عقوبة ماعملوا ثم قال أولم يعلموا ان الله يوسع علي الفقير حتى يستغني ويفتح له أبواب الرزق حتى يثرى وانه يضيق على من يشاء أن يضيق عليه ويسقم من شاء اسقامه ويصح من شاء صحته فقابل ماادعوه من العلم لما قال كافرهم انما أوتيته علي علم فرد عليهم بأن قال هلا علمتم ماهو اوضح من أحوالكم فتعلموا ان الخصب والجدب ليسا بأيديكم وكذلك المرض والشفاء ليسا اليكم وانما ذلك مما تعلمونه من بسط الله الرزق اذا أرسل السماء عليكم مدرارا وما تالمون منه اذا ضن

السحاب بقطره وابتلى أحدكم بفقره فكان أو لم يعلموا أولى بهذا المكان من قوله أو لم يروا كما كانت أو لم يروا في سورة الروم أولى والله أعلم

﴿الآية الرابعة من سورة الروم﴾

قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ وقال في سورة الجاثية ﴿ الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ ﴿فان سأل﴾ سائل عن زيادة قوله فيه في سورة الجاثية وتركها في سورة الروم ﴿ كان الجواب ﴾ قريبا على من له أدنى معرفة وهو ان الهاء في قوله فيه عائدة الى البحر وقد ذكر في سورة الجاثية فعاد اليه الضمير وهو قوله الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولم يتقدم للبحر ذكر فى الآية التي ذكر فيها جرى الفلك فى سورة الروم وانما نبه على النعمة بالرياح واظهار آياته فيها فقال ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات أى باجتلاب السحاب واعتصاره للامطار وهو الذى يذيقنا من رحمته مما يلقح منه الاشجار فى وقته لوقته وقال ولتجرى الفلك بأمره أى بالرياح اذا أذن الله تعالى لها وهذا مما لا اشكال فيه

﴿سورة لقمان﴾

﴿الآية الاولي منها﴾

قوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمي وإن الله بما تعملون خبير ﴾ وقال فى سورة الزمر ﴿ يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسئل عن

اختصاص ما فى سورة لقمان بقوله يجرى الى أجل مسمى وما سواه انما هو يجري لاجل مسمي ﴿والجواب﴾ ان يقال انمعنى قوله يجرى لاجل مسمى يجرى لبلوغ أجل مسمى وقوله يجرى الى أجل معناه لايزال جاريا حتى ينتهى الى آخر وقت جريه المسمى له وانما خص مافى سورة لقمان بالى التى للانتهاء واللام تؤدى نحو معناها لانها تدل على ان جريها لبلوغ الاجل المسمى لان الآيات التى تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والاعادة فقبلها (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) وبعدها (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده) فكان المعنى كل يجرى الى ذلك الوقت وهو الوقت الذى تكور فيه الشمس وتنكدر فيه النجوم كما أخبر الله تعالى وسائر المواضع التى ذكرت فيها اللام انما هى في الاخبار عن ابتداء الخلق وهو قوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) فالآيات التى تكتنفها فى ذكر ابتداء خلق السموات والارض وابتداء جرى الكواكب وهى اذ ذاك تجرى لبلوغ الغاية وكذلك قوله فى سورة الملائكة انما هو فى ذكر النعم التى بدأ بها فى البر والبحر اذ يقول وما يستوى البحران الى قوله ولعلكم تشكرون يولج الليل فى النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير فاختص ماعند ذكر النهاية بحرفها واختص ماعند الابتداء بالحرف الدال على العلة التى يقع الفعل من أجلها .

﴿ سورة السجدة ﴾

﴿الآية الاولى منها﴾

قوله تعالى ﴿يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ وقال في سورة سأل سائل ﴿تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسئل فيقول هذا اليوم جعل مقداره فى السورة الاولى ألف سنة وجعله فى السورة الثانية خمسين ألف سنة وقدقدره بألف سنة فى موضع آخر من سورة الحج فقال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فكيف يجمع بين هذه الاخبار ﴿الجواب﴾ عن ذلك من وجوه . . أحدها ان يكون المعنى ان الله يدبر أمر أهل الارض في السماء من دعائهم الى الطاعات وتكاليفهم أنواع العبادات فينزل به من يامره من ملائكته ليبعث بذلك رسله ويضم اليه آياته وكتبه ثم يصعد الملك الذي جاء به الى المكان الذى نزل منه فى يوم من ايام الدنيا وهذه المسافة التى قطعها الملك فى النزول والصعود مقدارها مسيرة ألف سنة من غيره لان مابين السماء الي الارض مسيرة خمسمائة عام فيقع النزول والصعود فى يوم تستغرق أوقاته سير ألف سنة من السنين التي يعدها أهل الارض في الدنيا وهذا التدبير الذى يدبر فى السماء لاهل الارض هو ما يكلفون من العبادات وما يقدر من مدد أعمارهم وما يحدث فى اللوح المحفوظ مما يدل الملائكة على انهم مأمورون بأن ينزلوا به الى المصطفين من عباده بالرسالة ثم يعودون الى أماكنهم فى يوم بقدر ألف سنة من أيام الدنيا . . وأما قوله فى سورة الحج وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون أى يقع في يوم من تنعيم المطيعين وتعذيب العاصين قدر ما يناله المنعم فى ألف سنة من أيام الدنيا ويعذب

العصاة في يوم مقدار مايعذب به الانسان في ألف سنة لو بقي فيها فهذا به في يوم واحد عذاب ألف سنة وذلك لما يتضاعف عليهما من الآلام واللاذ ويصل اليهما من الغموم والسرور والدليل على ان المراد في هذه الآية ذلك قوله قبله (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) فجهلهم باستعجالهم العذاب الذي هذا وصفه.. وأما قوله في سورة سأل سائل تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أي تصعد الملائكة وجبريل عليهم السلام الى حيث يعطى الله فيه الثواب أهل طاعته ويحل فيه العقاب بأهل معصيته وان ذلك في يوم هو يوم القيامة ويفعل الله تعالى فيه من محاسبة عباده وتبليغ كل منهم حقه مالا يكون مثله في الدنيا الا في خمسين ألف سنة..وجواب ثان وهو أنه يجوز أن يكون يوم القيامة يوماً بلا آخر وفيه أوقات مختلفة طولا وقصرا كما كان في أيام الدنيا كان الوقت بين صلاة الفجر وصلاة الظهر اطول مما بين الظهر وبين العصر وكما كان ذلك بين صلاة العشاء الاولى وعشاء الآخرة فبعضها ألف سنة وبعضها خمسون ألف سنة..وجواب ثالث وهو أن يكون اليوم الذي أخبر الله تعالى عنه في السجدة والذي في الحج هما من الايام التي عند الله وهي التي خلق فيها السموات والارض وكل يوم منها ألف سنة من سني الدنيا .. وأما في سورة سأل سائل فان المراد به انه لثقله على الكافرين واستطالتهم له وصعوبته وهوله عليهم يصير بخمسين ألف سنة وفي كل واحد من الاجوبة التي ذكرنا مايكفي في جواب السائل

﴿ الآية الثانية من سورة السجدة ﴾

قوله تعالى ﴿ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها

اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ﴾ وقال فى سورة سبأ ﴿ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل فيقول ما الذى أوجب في سورة السجدة ان يعود الوصف بالذى الى العذاب الذى هو مذكر ويعود مثله فى سورة سبأ الي النار التى هى مؤنثة وهل كان اختياراً لوجاء هذا على العكس وكان مافى سورة السجدة يرجع الوصف فيه الي النار وما في الاخرى يرجع الوصف فيه الى العذاب ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان النارفى قوله فى سورة السجدة ظاهر موضع المضمر لتقدم ذكره في قوله (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا ان يخرجوا منها) فاضمرت أعيدوا فيها واظهرت وقيل لهم ذوقوا عذاب النارأى عذابها فوقعت مظهرة مكان المضمر والتى فى سورة سبأ لم تجئ هذا المجيء لانها فى مكانها مظهرة فلما كان المضمر لا يوصف بعد عن الوصف ما حل محله لانه سد مسده فوصف ما أضيف اليه وهو العذاب فجاء عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ولما لم يتقدم ما فى سورة سبأ ما منزلته منزلة المضمر صح الوصف له فأجرى غليه وجاء عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ألا ترى ان أوله ويقول الذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون

﴿ الآية الثالثة من سورة السجدة ﴾

قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا موسي الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه ﴾ فأتى بالنون فى تكن وقال تعالى فى سورة هود فى موضعين فلا تك وكان حق ذلك ان يذكر هناك بغير نون وهو قوله ﴿ ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾

وقال فى آخرها ﴿ الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن حذف النون حيث حذفت واثباتها حيث اثبتت وما الذى خصص كلا بمكانه ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان هذه النون فى قوله لاتكن لما أشبهت بسكونها حروف المد واللين ثم كثرت استجيز حذفها للسببين جميعاً فان تحركت خرجت عن شبهها نحو لم يكن الرجل منطلقاً لايجوز لم يك الرجل منطلقا فاما اذا سكنت وتحرك مابعدها فلك أن تأتى بها ولك أن تحذفها كما جاء فى الموضعين ثم انه يختار فيها الحذف اذا تحرك ما بعدها متى تعلقت بالجمل الكثيرة ويختار اثباتها اذا تعلقت بالقليلة لان الكثرة أحد سببي جواز حذفها وهذه الكثرة أعنى انها في ام الافعال التي هى كان ويعبر بها عن كل فعل ألا ترى انه لا يجوز لم يه زيد ولم يص زيد في لم يهن ولم يصن وكثرة الجمل هى التى تثقلها تعلقت بها من قبلها أو من بعدها فقوله في سورة هود فلا تك فى مرية منه انه الحق من ربك جاء بعد أن تعلق بآيات ذوات جمل تقدمته وهى (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك فى مرية منه انه الحق من ربك) فقد تقدمته جمل جاء عقيبها متعلقا بها فثقل من أجلها فاختير تخفيفها بحذف نونها . وكذلك قوله (وقد خلقتك من قبل ولم تلك شيئاً) جاء بعد قوله (قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) وقع فى جواب الله تعالى له بعد الكلام الذى كان منه لما بشر بالولد فطال الكلام جداً وخفف بالحذف فى موضعه اختياراً .

وكذلك قوله تعالى (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) تعلق هذا بقوله (ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حياً أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) فأما قوله (قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً) فانه قلت الجمل قبله ولم يتعلق بما تقدمه تعلق ماذكرنا به فلم يثقل فاختير الاتمام على الاصل . وكذلك قوله (ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه) لم يتقدمه مايثقله من الجمل ما تقدم غيره مماذكرنا وهذه النون حذفها فى حال سكونها لشبهها بحروف المد واللين اذ كانت صوتا جاريا فى هواء الانف كما ان تلك أصوات تجرى فى هواء الفم ثم انضاف الى هذا السبب كثرتها في الكلام وهى أنها تدخل على كل فعل فيقال كان زيد فاعلا ولم يك زيد فاعلا فلما كانت الكثرة احد سببى حذف النون فى الاصل صارت كثرة المتعلقات أحد سببى اختيار حذفها . فان سأل عن قوله فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء وقبله عطاء غير مجذوذ وقد انقطع الكلام ولا تعلق لقوله فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء بما قبله .. قلت لم يثقل بمتعلقات الجمل التى فيها تكن بما قبلها دون مابعدها وهذه وان لم تثقل بتعلقها بما قبلها فانها ثقلت بتعلقها بما بعدها لقوله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص أى لا تشك فيما يعبد هؤلاء الكفار من الاصنام انهم يعبدونها بحجة فانهم لا يعبدونها الا تقليدا لآبائهم الذين كانوا يعبدونها من قبل وكل يجزى بمستحقه وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به هو ومن آمن به فقد تعلقت فلا تك في مرية بهذا الكلام كله

﴿ سورة الاحزاب ﴾

ليس فيها شي من ذلك

﴿ سورة سبأ ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ﴾ وقال بعده في هذه السورة ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ﴾ وقال فى سوة يونس ﴿ اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن تقديم السموات على الارض في الموضعين من سورة سبأ وعن تقديم الارض على السماء في سورة يونس وكان موضع ذكر هذه الآية هناك الا انها تأخرت الى هذا المكان ﴿ والجواب ﴾ عنه أن يقال انما قدم ذكر السموات علي الارض فى سورة سبأ لان هذه الآية مبنية على مفتتح السورة وهو (الحمد لله الذى له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة) فقدم ذكر السموات لان ملكها أعظم شأنا وأكبر سلطانا وكذلك الآية التى بعدها فى سورتها . وأما التى فى سورة يونس فانها جاءت عقيب قوله (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا فى السماء) فكان القصد الى ذكر علمه بما يتصرف فيه العباد من خير أو شر وذلك فى الارض فاتمه بقوله وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض

واستوعب جميع ما في الارض ثم اتبعه ذكر السماء لان الابتداء وقع بما يتعلق بها وما يعمل العباد فيها فلذلك قدمت الارض عليها

﴿الآية الثانية منها﴾

قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض﴾ وقال في سورة بني اسرائيل ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسئل عن اظهار اسم الله تعالى في سورة سبأ في قوله من دون الله واضماره في سورة بني اسرائيل في قوله من دونه وقد جرى الذكر قبل في الموضعين لان قبل هذه الآية (وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ) وهنالك (وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) ﴿والجواب﴾ ان يقال انما اختير الاضمار في سورة بني اسرائيل لقوة الذكر قبل الا ترى أنه يكون في عشرة مواضع مضمراً ومظهراً لقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم فربكم واحد وفي أعلم ضميره وقوله أو ان يشأ فيه ضمير فاعل وما أرسلنا النون والالف ذكر له تعالى وربكم أعلم اسمان ولقد فضلنا قوله نا اسمه وكذلك آتينا داود زبورا فكان الاضمار تلو الاضمارات أولى بهذا المكان فلذلك قال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه .. وأما في سورة سبأ فان الذي تقدمه (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ) فالذكر تقدم في ثلاثة مواضع وهناك في أكثر من عشرة مواضع فحسن الاظهار هنا وقوي الاضمار هنالك فلذلك اختلفا

﴿ سورة الملائكة عليهم السلام ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ﴾ وقال في سورة الانعام وكان حكم هذه الآية ان تذكر هناك ﴿ وهو الذى جعلكم خلائف الارض ﴾ فأضاف خلائف الى الارض بغير واسطة فى وهناك نكرها وأضافها بفى ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن التعريف أولا والتنكير ثانيا وعما خصص كل مكان بما اختص به ﴿ والجواب ﴾ أن الذى فى سورة الانعام أجرى مجرى المعرفة لانه بعد ذكر متكرر وخطاب متردد مبتدأ من مبتدأ قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم فلما خوطبوا بالفاظ المعارف اتبع ما في هذه الآية من ذكرهم في موضع النكرة وهو المفعول الثانى من جعلكم ذكر المعرفة فكسى لفظها فصار التقدير وهو الذى جعل كل واحد منكم الخليفة فى الارض التى ورثها عمن تقدمه فمنكم الاعلى ومنكم الاوسط ومنكم الاسفل وليس كذلك الامر فى سورة الملائكة لان متقدم هذه الآية منها ذكر أهل النار من مبتدأ قوله والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم الى قوله فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور ثم قال هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فأخرج لفظ خلائف مخرج النكرة كانه قال جعلكم خلفاً لمن تقدمكم غير معلوم الا عند الله مايكون من أمركم فأنتم مجهولون عند اشباهكم وأمثالكم فمن كفر منكم فضرر كفره راجع عليه فكان التنكير أولى بهذا المكان لانه لم يتقدمه من الاسماء المضمرة التى للخطاب المعرفة بحكم الاضمار ما تقدم فى سورة الانعام ثم نزلهم منزلة قوم مجهولين يتوقع مايكون من أمرهم من

إيمانهم أو كفرهم فلم يجعلوا فى حكم الخطاب الاول فى قوم بإيمانهم للانقسام الواقع عليهم فهذا فرق ما بين المكانين

﴿ سورة يس ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين﴾ وقال في سورة القصص ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسئل عن تقديم قوله من أقصى المدينة على رجل الذى هو الفاعل في سورة يس وتأخيره فى السورة التى قبلها ﴿والجواب﴾ ان يقال ان الفاعل في الموضعين لما كان نكرة والمعنى جاء جاء وقد دل الفعل على جاء ولا يكون الجائى من أقصى المدينة فى الاعم الاغلب إلا رجلا وكان الذي يفاد المخاطب ان يعرف انه جاء من مكان بعيد الى مجتمع الناس فى القرية وحيث لا يقرب من مجارى القصة ولا يحضر موضع الدعوة ومشهد المعجزة فقدم ما تبكيت القوم به أعظم والتعجب منه أكثر فقال وجاء من أقصى المدينة رجل ينصح لهم مالا ينصحون مثله لانفسهم ولا ينصح لهم أقربوهم مع انه لم يحضر جميع ما يحضرونه ولم يشهد من كلام الانبياء ما يشهدونه فبعثهم على اتباع الرسل المبعوثين اليهم وقبول ما يأتون به من عند مرسلهم . وأما الآية الاولى من سورة القصص فان المراد جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاوراً لمكانه فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به فاستوى حكم الفاعل والمكان الذى جاء منه فقدم ما أصله التقديم وهو الفاعل اذ لم يكن هنا تبكيت للقوم بكونه من أقصى المدينة كما كان ذلك في الآية المتقدمة

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون ﴾ وقال في سورة الفرقان ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسئل عن اظهار اسم الله تعالى في سورة يس وسورة مريم في قوله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا واضماره في سورة الفرقان حيث قال واتخذوا من دونه آلهة ﴿الجواب﴾ عن ذلك ان يقال انه لما قال في سورة الفرقان فاخبر عن نفسه لا كاخبار المتكلم بلفظ التاء والنون والالف في مثل فعلت وفعلنا بل كما يخبر المخبر عن غيره فقال تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الى قوله وخلق كل شئ فقدره تقديرا كان ذكر الله تعالى قد تقدم في الآيتين فأجرى ذكره في الثالثة مجراه في الاوليين على مقتضى كلام العرب في الاضمار بعد الذكر ولم يكن كذلك الامر في الآيتين في سورتي يس ومريم لأن الذكر المتقدم انما هو على لفظ المخبر عن نفسه لقوله كلا سنكتب مايقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه مايقول ويأتينا فرداً ثم قال واتخذوا من دون الله آلهة أى اتخذوا من دون من تحق له العبادة أصناماً يعبدونها ولا تحق عبادتها فاظهر اسمه تعالى اذ كان لم يتقدم ظاهر يقع الاضمار بعده وجهلوا بان أشركوا بالله ماليس باله فقابلوا الحق بباطلهم وأروا أن هذا الفعل من فاعلهم وكذلك كان الامر في سورة يس حيث قال أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون الى قوله واتخذوا من دون الله آلهة

سورة الصافات

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاماً أئنا لمبعوثون ﴾ وقال في هذه السورة ﴿ قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن قوله لمبعوثون أولا وفيما بعده لمدينون ولماذا اختلفا في المكانين وان كانا فيما يراد من تحقيق الاحياء بعد الموت سواء ﴿ والجواب ﴾ أن يقال الأول حكاية ما قاله الكفار من انكار البعث والمبعوث هو الذى يبعث من قبره ويحيا بعد موته والمدين هو المجازي بما كان من كسبه والبعث قبل الجزاء وهو يفعل من أجله وحكاية الآخر الذى قال أئنا لمدينون انما هى عند حصوله في النار وهو الجزاء[1] الذى أنكره لقوله تعالى قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم فهذا المؤمن الذى حكى الله تعالى عنه قوله وانه أخبر عن قرينه في الدنيا بأنه كان ينكر[2] أن يحيا ويدان بما صنع هو الذى رآه فى سواء الجحيم قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين فالتفريع على ما أنكر يقع اذا تحقق وحصل فيه من كفر نعوذ بالله من عقابه

﴿ الآية الثانية من سورة الصافات ﴾

قوله تعالى فى أواخر قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزى المحسنين ﴾ وقال فيما بعدها في قصة موسي وهرون ﴿ وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسي وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين ﴾ وبعدها في قصة الياس ﴿ وتركنا عليه

---

(١) نسخة وهو الخبر الذى الخ (٢) نسختي المقدسيه والكبخانه يستنكر

فى الآخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ فكل ذلك ختم بقوله انا كذلك نجزى المحسنين الا قوله وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام علي ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين فجاء كذلك من دون إنا فى هذا الموضع وحده ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عما أوجب اختصاص هذا المكان بسقوط انا منه واثباتها فيما سواه من الآيات التى انهيت بها قصص الانبياء عليهم السلام ﴿والجواب﴾ عن ذلك ان يقال ان قوله انا كذلك نجزى المحسنين لما جعل امارة لانتهاء كل قصة وكانت قصة ابراهيم عليه السلام متضمنة ذكره وذكر ولده الذى رأى فى المنام ذبحه فقيل له بعد ماتله للجبين قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين فجاء انا كذلك نجزى المحسنين فى هذا المكان وقد بقيت من القصة آيات وهى ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم ثم جاء ماجعل خبراً في آخر كل قصة من قصصهم وتركنا عليه فى الآخرين سلام علي ابراهيم كذلك نجزى المحسنين (١) فلم يذكر انا هنا لشيئين احدهما تقدم ذكرها في هذه القصة حيث قال قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين والآخر ان يخالف بين منتهى هذه الآية لانها من القصة الاولى التى ختمت بانا كذلك نجزى المحسنين و بين منتهى قصة يس لان ماقبلها منها فكأن انا كذلك لما ذكرت في هذه القصة مرة اكتفى بها ولم يكن منقطعا لما خالفت ماتقدمها وما تأخر عنها لذلك

﴿ الآية الثالثة منها ﴾

قوله تعالى ﴿وابصرهم فسوف يبصرون﴾ وقال بعده ﴿ وابصر فسوف

(١) المقدسية ثم لم يذكر إنا هنا الخ

يبصرون ﴿للسائل﴾ ان يسئل عن تعدية الفعل الاول وهو أبصرهم وحذف ما تعدى اليه ابصر في الثانية ثم عن تكرير أبصرهم فسوف يبصرون ﴿والجواب﴾ ان يقال ان هذا بعد مابشر الله به عباده حيث قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ومعناه ان المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين اذا حاربوا أعداء الله بأمر الله فان الله قد حكم لهم بالظفر والنصر في عاقبة أمورهم وان كان بعد مدة فقوله فتول عنهم حتى حين أى أعرض عن محاربتهم الى الحين الذى يعلم الله أنه يظفرك بهم وابصرهم في الوقت الذى تنصر فيه عليهم فسوف يبصرون قهركم لهم وذلهم. فأما حذفهم من أبصر في الثانية فلذكرها في الأولى ولان هناك معانى أخر تنضم الى ذكرهم فيترك ذكر المفعول ليشرع(١) الفعل الى تلك المعانى كلها وبين ذلك في الجواب عن فائدة تكرار العامل وهى ان قوله فتول عنهم حتى حين انما يراد به الحين في الدنيا وهو الوقت الذي ينصر فيه المسلمون عليهم ويقهرون بأيديهم وقوله ثانياً فتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون أى بعد أن تنصر عليهم فيهلكوا في الدنيا توقع مايحل بهم في الاخرى وأبصرهم هناك وأنواع العذاب التى تصب عليهم وعمل النار فيهم ثم مالهم فيها من البقاء والخلود مع تبديل الجلود وسائر ماأعدالله من عذاب النار فقوله أبصر مودع كل ذلك فسوف يبصرون تهدد لهم أى سوف يلقون ما أوعد الله به أهل معصيته من اليم عقوبته.

﴿ سورة ص ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر

---

(١) نسخة لتسريح

كذاب ﴾ وقال في سورة ق ﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن اختصاص وقال الكافرون هذا ساحر كذاب بالواو في سورة ص واختصاصها بالفاء في سورة ق ﴿ والجواب ﴾ أن يقال إن التي في سو ة ق خبر عن عجبهم في أنفسهم واتصال قولهم به فقال بل عجبوا أن جاءهم منذرمنهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب فكان آخر الكلام راجعاً الى أوله الذى هو خبر عن ضمير هم من حصول العجب فيه وقولهم عقيبه هذا شيء عجيب وليس كذلك ما في سورة ص لان قوله هنا وعجبوا أن جاءهم منذر منهم خبر عن عجبهم قولا وفعلا وقولهم بعد ذلك ليس هو راجعاً الي قوله وعجبوا رجوع ما في سورة ق اليه لانه أخبر عنهم انهم قالوا هذا ساحر كذاب فلم يرجع ساحر كذاب الي قوله وعجبوا رجوع قولهم اليه هذا شيء عجيب فيقع عقيبه ويقتضى الفاء اقتضاءه اذ لم يكن قولهم هذا ساحر كذاب من مقتضى عجبوا كما كان قولهم هذا شيء عجيب منه

﴿ الآية الثانية من سورة ص ﴾

قوله تعالى ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب ﴾ وقال في سورة ق ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن اختلاف الترتيب في هاتين الآيتين وعن قوله في خاتمتهما فحق عقاب في سورة ص وقوله فحق وعيد في

آخر سورة ق ﴿ والجواب ﴾ أن يقال أن سورة ق مبنية فواصلها على أن يردف آخر حرف منها بالياء أو بالواو وعلى ذلك جميع آياتها وسورة ص بنيت فواصلها على أن تردف أواخرها بالالف فكانت الآية التى من هذه العشر مختومة الفاصلة بوصف فرعون بذى الأوتاد وبعدها أولئك الأحزاب فحق عقاب وجاء بازاء ذلك فى سورة ق وأصحاب الرس وثمود ومكان فحق عقاب فحق وعيد و كذلك في هذه السورة وعندهم قاصرات الطرف أتراب وفى سورة والصافات وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون لأن فواصل الآيات التى من سورة والصافات مردفة أواخرها بالياء أو بالواو والقصد التوفقة بين الألفاظ مع صحة المعانى كما قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون فى الشعراء وفى سورة طه برب هارون وموسى فاعرف ذلك فانه مما يكثر ان شاء الله تعالى

﴿ سورة الزمر الآية الأولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص ﴾ وقال أيضاً فى هذه السورة ﴿ انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن المكان الذى خص بقوله إنا أنزلنا اليك الكتاب دون قوله انا أنزلنا عليك وما الفائدة المخصصة كل واحد من اللفظين بمكانها التى استعملت فيه ﴿ والجواب ﴾ أن يقال قد تقدم قولنا في الفرق بين أنزلنا اليك وأنزلنا عليك واذ على يتضمن معنى فوق وأن يكون الوحى جاءه من تلك الجهة وأن الى للنهاية فلا تختص بجهة دون جهة وكذلك كان أكثر المواضع الذى ذكر فيها انزال القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم عدى بعلى

كقوله تعالى الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب وكقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده وقال نزل به الروح الأمين على قلبك وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وأكثر ماجاء ذكر انزاله على الناس جاء معدى بالى كقوله ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبينا ثم كل موضع قيل فيه أنزلنا اليك فقد شدد فيه (١) التكليف عليه ونزل منزلة أمته فيما يجب على عالمهم تبيينه لمتعلمهم كقوله فى أول هذه السورة انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين فقد أمر باخلاص العبادة والمراد هو وأمته وكقوله وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم فكان المراد في المواضع التى استعملت فيها الى أنه تناهى الى حيث لا متعدى وراءه من عالم سنة مقصورة عليه فكل موضع عدى فيه الانزال بعلى فان المراد به أنه شرفك وأعلى بذلك ذكرك لتؤدى ماعليك فتنذر وتبشر فمن قبل حظه أصاب ومن أعرض فنفسه أوبق ويكون فيه تهديد لمن ترك القبول لقوله تعالى الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ثم قال لينذر بأسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين وكما قال فى هذه السورة انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل فقد أسقط عنه في ظاهر اللفظ القصد الى الوعيد ما ألزمه عند قوله في الآية التى فى سورة النساء انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما فمن عرف حقيقة اللفظين وتخصيص كل مكان بواحد منهما علم أن ما جاء عليه في أول هذه السورة هو مميز عما جاء عليه فى وسطها ولم يخف عليه الفرقان بينهما والسلام

(١) نسخة فقد كان التكليف

﴿ الآية الثانية من سورة الزمر ﴾

قوله تعالى ﴿ قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل فيقول لأى معنى عدى أمرت الأولى الى قوله أن اعبد الله وعدى أمرت الثانية باللام فقال وأمرت لأن أكون وما فائدة اللام ولو قال وأمرت أن أكون أول المسلمين لكان الكلام مستغنيا عن اللام ﴿ والجواب ﴾ أن يقال إن القصد فى الأمر الثانى غير القصد فى الأمر الاول وذلك أن الأمر الاول يتعدى الى العبادة والثانى معناه وأمرت أن أعبدالله لأن أكون أول المسلمين أى انما أمرت باخلاص العبادة لله وبعثت رسولا لان أكون أول من يبدأ بطاعة الله وعبادته على الاخلاص المطلوب فاللام ليست مقحمة على ما ذهب اليه كثير من النحويين وانما معناه ما ذكرنا من الأمر بالعبادة لاجل أن يفعل أولا ما أمر به ثم يحمل الناس على مثله وهذا واضح فاعرفه ان شاء الله تعالى

﴿ الآية الثالثة من سورة الزمر ﴾

قوله تعالى ﴿ ليكفر الله عنهم أسوء الذى عملوا ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون ﴾ وقال فى سورة النحل ﴿ ماعندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن الموضع الذى استعمل فيه الذى فى قوله أحسن الذى كانوا يعملون ومافى قوله باحسن ما كانوا يعملون ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان كل واحدة من الآيتين تقدم فيها مااقتضى حمل هذين المختلفين عليه أعني الذي وما وهما اذا كانتا موصولتين بمعني الا فى تصور

ماعمايتبع له الذى لأنك اذا قلت رأيت ماعندك لم يدخل تحتها المميزون واذا قلت رأيت الذى عندك دخل فانه يصلح للمميزين والبهائم والجماد ثم إنه يحسن حذف المبتدإ من صلة الذى اذا كان ضميرها كقوله في قراءة من قرأ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن والمعنى على الذى هو أحسن وكما جاء ما أنا بالذى قائل لك شيئا ولا يحسن ذلك فى ماولا فى من لو قلت رأيت ماعامر تريد ماهو عامر ورأيت من عاقل تريد من هو عاقل لم يحسن كحسنه في صلة الذي لمزية الذى على من وما في اللفظ والتصرف ولوقوعها على الجنس كقوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وقوله فى سورة الزمر أسوأ الذى عملوا وباحسن الذى كانوا يعملون انما هو للبناء على ما تقدم وهو قوله والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون فافتتحت الآية التى قبلها بالذى ووصلت بفعل تعلق به قوله ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا وقصد جنس عملهم السيء وجنس عملهم الحسن فكان استعمال الذى فى هذا المكان أولى ليلتئم اللفظان المتعلق أحدهما بالآخر كما التأم معناهما . وأما الآية التى فى سورة النحل فان الأمر فيها على مثل ما في سورة الزمر من حمل اللفظ على نظيره مع مطابقة المعنى له وذلك أن أول الآية هناك ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق فقال فى الذى عند الله ماعند الله ثم قال ما عندكم ينفد والمعنى الذى عندكم فاستعمل مافى قوله وما عند الله باق فلما جاء ذكر الجزاء وهو ما عند الله كان استعمال اللفظ الذى يرجع الى ما تقدم أولى من استعمال غيره فقال ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وأحسن ما كانوا يعملون هو ماعند الله مما أعد الأجر له ثم

قال بعده من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فاستعمل من وهى للمميزين عامة فيهم وبازائها فى غيرهم ما فلما استعملت من هنا شرطا كان استعمال ما التى هى قرينتها فيما يتعلق بجزاء شرطها أولى مما لا يلائمها فلما كانت الذى فى سورة الزمر أحق بمكانها كانت ما في سورة النحل أحق بموضعها والسبب واحد فيهما

﴿ الآية الرابعة ﴾

﴿ من سورة الزمر ﴾

قوله تعالي ﴿ وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ وقال فى سورة الجاثية ﴿ وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسئل عن اختصاص سورة الزمر بقوله كسبوا وسورة الجاثية بقوله عملوا وعن الفائدة فى ذلك ﴿ والجواب ﴾ ان يقال انما جاء قوله كسبو في هذه السورة بناء علي ما وقع الخبر به عن الظالمين فى الآية التى قبل هذه حيث يقول أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم ثم اعترضت آيات تؤكد ما على الظالين من الوعيد وتقوى ما للمصدقين من الوعد الى ان انتهت الى ذكر هؤلاء الظالمين الذين قيل لهم ذوقوا ما كنتم تكسبون فقال تعالى ولو ان للذين ظلموا مافي الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فكان المعنى ولو أن للظالمين الذين تقدم ذكرهم ما فى الارض ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب ثم قال وبدا لهم سيئات ما كسبوا أى الجزاء علي ما كسبوا من سيئاتهم

كما قيل لهم ذوقوا ما كنتم تكسبون أي جزاؤه ثم أتبعه ذكر الكسب في الآيات التي بعدها في قوله قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين وأما الآية التي في سورة الجاثية فالطريق فى اختيار عملوا فيها كالطريق في اختيار كسبوا في سورة الزمر لأن قبلها قوله تعالى وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون وبعده انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتبع ذلك قوله وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن عملوا فبني على ماسبق كما بنى هناك كسبوا على ماتقدمه فاعرفه ان شاء الله تعالى

﴿ الآية الخامسة منها ﴾

قوله تعالى في حال أهل النار ﴿حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم﴾ وقال في أهل الجنة ﴿حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسئل عن الواو فى قوله وفتحت وتركها فى الاول وهل كان يجوز حذفها من الثانى واثباتها فى الاول ﴿والجواب﴾ عن ذلك ماذهب اليه بعض المفسرين ان في ذلك دلالة علي أن ابواب جهنم كانت مغلقة ففتحت لما جاؤها وان أبواب الجنة كانت مفتوحة قبل مجىء المؤمنين اليها وهـذا محتاج الي بيان وهو أن قوله فتحت أبوابها جواب لقوله حتى اذا جاؤها لأن فى اذا معنى الشرط وفى جوابها معنى الجزاء ولا بد لهـا منه وأنت تقول اذا جئت زيداً فتح لى الباب أردت أن الباب كان مغلقا ففتح لمجيئك وتقول اذا جئت زيداً وفتح لي الباب أردت أن الباب كان مغلقا فان مابعد الواو لا يقوم مقام الجزاء

والمخاطب متوقع عند سماع ذلك ما يتم به الكلام فان أراد المتكلم اضمار الجزاء واكتفى بدلالة الشرط عليه وذلك اذا كان لفظاهما واحد جاز حذفه وعطف ما بعده فيكون المعنى حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها فيحذف جاؤها الثانية لدلالة الاولى عليها وعلى هذا قول امرىء القيس

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى ... بنا بطن حقف ذي ركام [1] عقنقل

معناه فلما اجزنا ساحة الحي أجزناها وانتحى بنا.. فان قال وهل يختلف المعنيان اذا حذفت الواو واذا أثبتت قلت يختلفان بان الفتح يقع عند مجيء أهل النار لأن قوله فتحت جزاء للشرط وحقه اذا كان فعلا أن لا يدخله واو ولا فاء ويكون عقيب الشرط واذا حذف الجزاء وعطف فعل عليه فقيل حتى اذا جاؤها وفتحت والتقدير حتى اذا جاؤها وأبوابها مفتحة وهذا حكم اللفظ.. فأما حكم المعنى فان جهنم لما كانت أشد المحابس من عادة الناس اذا شددوا أمرها أن لا يفتحوا أبوابها الا لداخل وخارج وكانت جهنم أهولها أمراً وأبلغها عقابا أخبر عنها الاخبار عما شوهد من أحوال الحبوس التي تضيق على محبوسها فوقع الفتح عقيب مجيئهم ليتطابق لذلك اللفظ والمعنى ولم يكن هنالك حذف وأما الجنة فلان من فيها يتشوقون للقاء أهلها ومن رسم المنازل اذا بشر من فيها باتيان أربابها اليها أن تفتح أبوابها استبشاراً بهم وتطلعاً اليهم ويكون ذلك قبل مجيئهم فأخبر عن المؤمنين وحالهم على ماجرت به عادة الدنيا في أمثالهم فيكون حذف الجزاء وادخال الواو على الفعل المعطوف عليه لذلك فاعرفه

---

[1] (كذا) في النسخة المعتمدة ونسخة الكتبخانة وفي المقدسية قفاف كما في ديوانه فليحرر

﴿ سورة المؤمن ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لايؤمنون ﴾ وقال فى سورة طه ﴿ ان الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسئل عن اللام الداخلة على آتية في سورة المؤمن وخلوها منها فى سورة طه عليه الصلاة والسلام ﴿ والجواب ﴾ أن يقال إن اللام التى تقع فى خبر ان أو اسمها اذا حلت محل الخبر تؤكد الكلام والعرب تحرض على التوكيد فى موضعه وتركه في غير موضعه قال الله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم وقال قبل الآية فى سورة المؤمن لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون . . والمعنى ان القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الناس ومن قدر على خلق الناس أولا قادر على خلقهم ثانيا وهذان من مواضع التوكيد وتحقيق الخبر ان الساعة حق وانها آتية لاريب فيها والخطاب لقوم كفار ينكرونها والتى فى سورة طه خطاب لموسى عليه السلام وهى فى ضمن كلام الله تعالى انى أنا ربك فاخلع نعليك وقال وأقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية أكاد أخفيها ولم يكن موسى عليه السلام ممن ينكر ذلك فيؤكد الكلام عليه توكيده على منكريه والجاحدين له على انه تحميل له ليعلم قومه وهو فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى فاذا كان الامر على ما بينا وضح الفرق بين الموضعين بالذى ذكرناه

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس

لا يشكرون ﴾ وقال فى سورة يونس ﴿ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وما تكون فى شأن ﴾ الآية ﴿ للسائل ﴾ ان يسأل فيقول كيف أظهر الناس فى موضع الاضمار فى سورة المؤمن وقد أضمر فى موضع الاظهار فى سورة يونس وهل كان جائزاً وقوع هذا موقع ذاك ﴿والجواب ﴾ أن يقال ان كل موضع يحتمل الاضمار لقرب الذكر ويحتمل الاظهار لتعظيم الأمر وذكر أخص الاسماء المقصود بالتقريع والتفنيد فانه يحمل علي مايلائم الآيات المتقدمة له ليكون قد جمع الى صحة المعنى واللفظ مشاكلة ماقبله من الاى . . فأما قوله فى سورة المؤمن ولكن أكثر الناس لا يشكرون بعد قوله ان الله لذو فضل على الناس ولو قال ولكن أكثرهم لا يشكرون لقرب الذكر لكان من الجائز الحسن فانه محمول علي الآيات التى قبله وهى قوله لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقال بعده ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ثم جاء ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون. فاظهر ذكر الناس كما أظهر فى الآيتين قبلها للمشاكلة والملائمة وليس كذلك الأمر فى سورة يونس عليه السلام لأن الكلام هناك بنى على الاضمار فى الآية المتقدمة ألا ترى انه قال تعالى مخبراً عمن يدخل من الظالمين النار ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فانقضي هذا الكلام واستؤنف خبر عن القوم الذين بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم اليهم وقال ويستنبؤنك أحق هو قل إى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين فاضمر ذكره في قوله ويستنبؤنك أحق ثم قال بعده ألا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون فاضمر ماأضاف اليه اكثر ثم انتهى الى قوله بعده ان

الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون فاقتضي ما بني عليه الكلام في هذه الآى أن يكون ما بعد الشرط بلفظ الاضمار كما كان ما تقدمه فاختلاف الموضعين في الاظهار والاضمار لما ذكرنا

﴿ الآية الثالثة من سورة المؤمن ﴾

قوله تعالى ﴿ لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان الله لذو فضل علي الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن المواضع الثلاثة التى جاء فيها لا يعلمون وجاء فيها لا يؤمنون وجاء فيها لا يشكرون وعما يخص كلا بمكانه وهل كان يجوز وضع أحدها موضع قرينه أم كل آية اقتضت ما ختمت به ﴿ والجواب ﴾ ان يقال من أقر بخلق السموات والارض وأنكر الاعادة والبعث ثم نبه علي ان يعلم ان من قدر علي الاكبر قادر علي الاصغر وهذا موضع يفتقر الي العلم الذى نفاه عمن لم يقر به فقال ولكن أكثر الناس الناس لا يعلمون فاختص هذا الموضع بنفى العلم والعلم هو المحتاج اليه والمبعوث عليه وقوله ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون فمن أنكر البعث محتاج الى الأيمان به بعد علمه بان القادر على خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم ﴿ أما الآية الأخيرة فقوله ان الله لذوا فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ومن كان له فضل عليه

فهو محتاج الى ان يؤدي حقه بالشكر فقال تعالى ولكن أكثر الناس لا يشكرون أى لا يقابلون نعمة الله عليهم بما يستدعيها لهم من الشكر الذي يربطها لديهم فقد بان ان كل ما ختمت به آية هو في مكانه اللائق به ولا يقتضي سواه وبالله التوفيق

﴿ سورة حم السجدة الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول ذكر فى هذه الآية انه خلق الارض فى يومين ثم قال وجعل فيها رواسى يعنى الجبال مع سائر ما ذكر في أربعة أيام وقضى السموات السبع فى يومين فهذه ثمانية أيام وقد قال خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما أجاب به المفسرون هو ان معنى قوله فى أربعة أيام أى في تتمة أربعة أيام ويكون لخلق الارض يومان ولخلق ما فيها من الجبال والأقوات والشجر وغيرها من عامر وغامر يومان فتكون الاربعة أيام المذكورة معها يوما خلق الارض قالوا وهذا كما يقول سرت من البصرة الي بغداد في عشرة أيام وسرت الى الكوفة فى خمسة عشر يوما وهو يعنى خمسة عشر مع العشرة التى سار فيها من البصرة الى بغداد فيخبر عن جملة الأيام التى وقع السير فيها وكذلك أخبر الله تعالى عند ذكر ما خلقه في الارض عن جملة الأيام التى وقع فيها خلق الارض وما اتصل بها وانما ضم اليومين الى اليومين المتقدمين لاتصال خلق ما فى

الارض بخلق الارض هذا ما أجاب به أهل النظر وأولوا المعرفة بكلام العرب
وبقى بسؤال يحتاج الى جواب وهو ان يقال ما الذى أوجب فى العربية ان
يضم اليومان اللذان أرسيت فيهما الجبال وأخرجت فيهما من الارض المياه
الى اليومين اللذين وقع فيهما خلق الارض وهلا ذكر يوما ذلك مفردين
على اليومين المتقدمين ليزول الاشكال ولا يقع الاعتراض ﴿ والجواب ﴾
عن ذلك سوى ما يقول النظار من رد المتشابه الى المحكم وبنائه عليه بموجب
النظر ليتبين مزية أهل العلم وما خصوا به من الفضل ووعدوه من جزيل الأجر
هو ان يقال ان في الكلام ما أوجب ضم اليومين الي اليومين الأولين فذكر
أربعة أيام في هذا المكان وهو من دقيق الكلام في الاعراب وذلك أنه قال
تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين فتمت الذى بصلتها
وصلتها خلق الارض وانقطعت الصلة بقوله وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين
لان تجعلون معطوف علي قوله لتكفرون فانقطعت الصلة بالعطف علي ما قبل
الموصول والصلة وقوله بعد ذلك وجعل فيها رواسى من فوقها عطف على قوله
خلق الارض فى يومين ولا يصح العطف علي فعل هو صلة الذى وقد حجز بينهما
كلام أجنبي عنهما فلو قلت الذى خرج محمد وركب لم يجز لان قولك ركب معطوف
على خرج وخرج صلة الذى وقد انقطعت بقولك محمد فلا يصح العطف على
الصلة مع حجزه ولو قلت الذى خرج وركب محمد صلح واذا كان كذلك وجاء
قوله وجعل فيها رواسى معطوفا على خلق الارض وامتنع هذا العطف لما ذكرت
لم يكن بد من أحد أمرين إما أن تنوى بهذه الجملة المعطوفة التقديم حتى
تعطف على خلق الارض وتنوى بقوله وتجعلون له أنداداً التأخير وهذا مما
يجوز فى ضرورات الشعر وهو قبيح فيها أيضاً وإما أن يعطف علي فعل

مثل ماوقع فى الصلة بدلالة الاول عليه فيضمر خلق الانسان وهو مما دل
عليه الأول ثم يعطف وجعل فيها رواسى عليها فيصير كأنه قال أئنكم لتكفرون
بالذى خلق الارض وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها
في أربعة أيام فيضم اليومان اللذان يقتضيهما خلق الارض الى اليومين اللذين
هما لخلق مافيها للمعنى الداعى الى اضمار قوله خلق الارض بعد قوله ذلك رب
العالمين فهذا الذى أوجب من طريق اللفظ والمعنى أن يتناول الخبر الثانى
فى المعطوف على الاول جملة الايام التى وقع فيها خلق الارض وما اتصل بها
وهو بين لمن تنبه اليه مفسر فاعرفه

﴿ الآية الثانية من سورة حم السجدة ﴾

قوله تعالى ﴿حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون ﴾ وقال في سورة الزخرف حتى اذا جاءنا قال يا ليت بينى
وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وقال قبله حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها
يعنى أبواب جهنم وقال بعدها حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها يعنى أبواب
الجنة (للسائل) أن يسأل عن زيادة ما بعد اذا فى سورة السجدة وحذفها
من الموضع الاخر (الجواب) أن يقال انه اذا قصد توكيد معنى الشرط الذى
تضمنه اذا لقوة معنى الجزاء استعملت ما بعدها واذا لم يقصد ذلك لقرب
معنى الجزاء من الشرط لم يستعمل ما بعدها فقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها شهد
عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) شهادة السمع وسائر الجوارح من المعانى
القوية التى لا يقتضيها الشرط الذى هو المجئ ألا ترى استنكارهم لما حتى قالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا فأجابوا بأن قالوا أنطقنا الله الذى انطق كل شىء
وليس كذلك حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها لان المجئ يقتضى فتح الأبواب

وان أضمر فى الثانى الجزاء على معنى حتى اذا جاؤها نالوا المنى عندها وادركوا مطلوبهم ومرغوبهم فيها فقد صار المكان مكان اختصار وحذف لما لا بد للكلام منه فكيف يزاد فيه ما يستغنى عنه وكذلك حتى اذا جاءنا قال يا ليت بينى وبينك أى قال الآدمى لقرينه من الجن الذين اشتركا فى الدنيا فى معصية الله ثم اشتركا فى العذاب فى الآخرة ليتنى لم أتبعك وكان بعد ما بين المشرقين بينى وبينك وهذا أيضا مما يتوقع كونه منهما ثم يتبرى بعض من بعض فليس فى الجزاء مايوجب قوة الشرط من المعنى الذى لا يتوقع ولا يستفاد الا به ومنه ولا يكون فى الشرط تنبيه عليه واشارة اليه فيترك التوكيد حيث لا يدعوا داع الى الاتيان به أحسن واذا دعى الداعى اليه فالاتيان به أحرى وأقمن

﴿ الآية الثالثه من سورة حم السجدة ﴾

قوله تعالى ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ﴾ وقال فى سورة الاعراف وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن التوكيد فى سورة حم السجدة فى قوله انه هو السميع العليم وتعريفه الصفتين بالالف واللام وترك التوكيد بقوله وهو وترك التعريف فى سميع عليم من الاعراف ﴿ والجواب ﴾ ان يقال ان الذى فى سورة السجدة لما كان بعد دعاء الى ما يشق على الانسان فعله وهو ان يدفع السيئة بالحسنة ويقابل غلظة عدوه بالملاينة استكفافا لشره وأذاه حتى يعود الى اللطف فى المقال والجميل من الفعل فيصير وان كان عدواً كأنه صديق قريب القربى ثم قال وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم أى ما يوفق لذلك الا من ملك أمر نفسه وصبر على احتمال الأذى من عدوه ولا يوفق لذلك الا من له نصيب وافر من الدين وحظ

جزيل من الاسلام وهذا الذى بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وسائر المؤمنين عليه ما ينتهز الشيطان الفرصة عليه عنده ويبعث على أعداوته من تجاب عداوته ضره ويوسوس الى العصيان بالحمية والأنفة فاذا كان الانسان ثابت القدم ومالكا لنفسه عند الغضب فجاءه من قبل الشيطان مثل ماذكرت مما يحمل على خلاف مارغب الله تعالى فيه ويدعوا الى معصية الله تعالى ووجد في نفسه فسادا يتزين له من جهة شيطانه وهو مأمور عند ذلك بالاستعاذة بالله من الشيطان ومن ضرر مايحمل عليه ليعيذه الله تعالى منه فلما كان الامر الذى بعث الله تعالى عليه أولياءه شاقا عظيما حتى قال وما يلقاها الا ذوحظ عظيم كانت وسوسة الشيطان فى مثله أعظم والمؤمن لها أيقظ. ومن قبولها أبعد وكان الترغيب فى مدافعته أبلغ وتقدير علم الله تعالى بمايلاقى من ذلك أوكد فجاء قوله انه هو السميع العليم أى لاسميعا عليما قديما الا هو فهو لم يزل يعلم مايكون قبل أن يكون فكيف مايتكلف به من المشاق فيما دعاك اليه فهذا وجه التوكيد والتعريف في هذه الآية وأما الآية التى فى سورة الأعراف فان قبلها خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ولم تعظم فيها الافعال التى دعا اليها كما عظمت في سورة السجدة بل كان ماهناك بعثا على أحسن الأخلاق ولم يخص نوعا من المشاق كما خص فى سورة السجدة فلم تقع المبالغة في اللفظ. واقتصر فى الخبر على الاصل وهو انه سميع عليم أى يسمع مايكون منك ويعلمه مع كل مسموع ومعلوم فجعل اسم ان معرفة وخبرها نكرة وذلك الاصل قبل تأكيد الالفاظ لتأكد المعانى فاعرفه ان شاء الله تعالى

﴿الآية الرابعة من سورة حم السجدة﴾

قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت

من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب ﴾وقال فى سورة حم عسق ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن خلو هذه الآية من ذكر النهاية المذكورة في الاخيرة وهو قوله الى أجل مسمى ﴿والجواب ﴾ ان خبر الله تعالى عما آتاه الله لموسى عليه السلام من التوراة يدل على أن أولئك القوم اختلفوا فيه كاختلاف من فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم فى القرآن الذى أنزل عليه ثم قال ولولا كلمة سبقت من ربك أى لولا ان الله تعالي قال انى أوفى كلا من المطيع والعاصى حقه من الثواب والعقاب فى الآخرة لأنزل بكل مايجب له وعليه عند فعله في الدنيا وأخبر ان سبيلهم فى الامهال سبيلهم لما سبق من حكم الله تعالى وقوله فى تأخير المستحق من الثواب والعقاب الى الآخرة فأما اختصاص مافى سورة حم عسق بذكر النهاية في قوله الى أجل مسمى فلأن قبله وما تفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم فأخبر بمبتدإ كفرهم وهو انكارهم بعد مجيء العلم أى القرآن والآيات التى أوجبت العلم بصحة ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم فلما قال الا من بعد ومن لابتداء الغاية وكان ذلك ابتداء كفرهم ذكرت النهاية التى أمهلوا اليها ليكون ابتداء عقابهم فيكون الحد مذكوراً مع الحد ولانه جرى ذلك محدوداً من الطرفين قال بعده ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم أى لولا قوله انى أفصل فى الاخرة لأفصل فى الدنيا وهذا بين واضح فاعرفه

﴿ الاية الخامسة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾ وقال في سورة هود ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب

السيئات عنى ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل فيقول عن قوله فى السجدة ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ولم يكن في سورة هود عليه السلام منا ولا من ﴿ والجواب ﴾ ان يقال ان قوله منا مما بالكلام الى ذكره حاجة وقد استغنى عنها في سورة هود عليه السلام لتقدم ذكرها فى الآية التى قبلها وهى ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور .. وأما قوله من بعد ضراء مسته فلأنه لما حد الرحمة والجهة الواقعة منها حد الطرف الذى بعدها ليتشا كل المقترنان (١) فى التحقيق ولما لم يكن ذلك فى الآية من سورة هود عليه السلام من حد فى الاول لم يحتج اليه فى الثانى

﴿ الآية السادسة من سورة حم السجدة ﴾

قوله تعالى ﴿ قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد ﴾ وقال في سورة الاحقاف ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن قوله ثم كفرتم به فى الاول وقوله وكفرتم به بالثانى وهل يصلح كل واحد منهما مكان الآخر ﴿ والجواب ﴾ ان يقال ان معنى قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله أرأيتم ان كان ما أتيتكم به من كلامه وسائر ما أديته اليكم من أمور دينه وكان قصارا كم وآخر أمركم الكفر به فهل ترون أضل منكم عن الصواب فان لم تحققوه فلا بد من ان تتأملوا فيه فتعلموا بُعدكم عن الهدى وايغالكم فى الضلال فذكر فعلين أحدهما ان كان من عند الله وختمه بقوله ثم كفرتم به على معنى انكم بعد امهالى لكم لتدبره وحثى إيا كم على تأمله

(١) المقدسية ليتشا كل الطرفان

كان عاقبة أمركم الكفر به فلم يحسن في المعنى إلا ثم للمهلة بين الاستدعاء الى الحق وخاتمة أفعالهم بالكفر وهو من مواضع ثم ٠٠ وأما فى سورة الاحقاف فان قوله وكفرتم به لم يجعله آخر ما أخبر به في القصة وخاتمة أمره معهم فى الدعوة بل ذكر وكفرتم به وعطف عليها أفعالا بعدها وهى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم فكأنه قال قابلتم بالكفر ما أتيت به واحتج عليكم من بني اسرائيل من قرأ الكتب وعرف ما أتيت به من الصدق فآمن وتكبرتم عما التزم من التذلل في طاعة الله ألا تكونون ظالمين بذلك والله لا يهدى القوم الظالمين الى ما يهدى اليه المؤمنين فلما لم يجعل قوله وكفرتم به الكفر الذى يوافى به الآخرة لما ذكر بعده من الاحتجاج عليهم وتوقع من ايمانهم وشهادة من كان على دينهم وايمانه واستكبارهم خالف المكان الذى ختمت أفعالهم بالكفر فيه فاستعملت الواو بدل استعمال ثم هناك والسلام والله الموفق

﴿ سورة شورى (١) ﴾

قد مرت منها آيات شابهت الآيات التى في السورة قبلها ومما لم يمر به

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ﴾ وقال قبله فى سورة لقمان ﴿ يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عما اقتضى توكيد الخبر باللام في سورة حم عسق في قوله لمن عزم الامور وتركه فى سورة لقمان ﴿ والجواب ﴾ أن يقال إنما رغب الله تعالى فيه عبده من الصبر

(١) هذا عنوان نسخة الكتبخانه وأما المقدسية والأخرى فعنوانهما سورة حم عسق

على ما آلم قلبه من جناية جان عليه حتى يغفر لمن ظلمه ويهب له من القصاص حقه ترغيب فيما يشق على الانسان فعله الا ان الله تعالى حسنه بما وعد من عفا عما يجب له من الأجر الذى ضمنه ففيه مع جزيل الثواب اصلاح ما بين عشيرته وعشيرة الجانى عليه باطفاء الثائرة عنهما واذا كان هذا من أصعب ما يتحمله الانسان وجب من توكيد الكلام فيه ما لا يجب في غيره فأدخلت اللام على من عزم الامور على معنى انه من الامور التى تحتاج الى توطين النفس عليها وتخير أرفعها وأعلاها وليس كذلك ما فى سورة لقمان لأنه قال واصبر على ما أصابك وليس يختص صبرا على ظلم يلحقه فيرغب فى العفو عن الظالم بل تكون شدائد لا يهيج النفوس الانتصار فيها ولا تدعو دواعى الى الانتقام لها من الرزايا في الانفس والاموال وما يكون من قبل الله تعالى مما تعبدنا فيه بالصبر وليس لنا غيره .. فأما الموضع الذى أبيح فيه الانتصاف فالصبر فيه أحق وكظم الغيظ معه أشد والكلام فيه الى التوكيد أحوج ألا ترى ان صبر من قتل بعض أعزته رغبة فيما وعده الله من مثوبته ليس كصبر من مات له بعض أحبته فافتقر المكان الأول من تقوية الكلام فيما ينبه على الاصل الى ما لم يحتج اليه المكان الآخر

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ومن يضلل الله فماله من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير ﴾ وقال فى سورة الروم ﴿ فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن اختلاف ما انقطع اليه قوله يوم لا مرد له من الله فجاء في هذه السورة ما لكم من

ملجإ يومئذ وفى سورة الروم يومئذ يصدعون ﴿ والجواب ﴾ أن يقال إن قوله فأقم وجهك للدين القيم معناه استقم أنت ومن معك من المؤمنين علي الدين المستقيم من قبل ان يجيء يوم لا ينفع فيه الإيمان فكأنه خاطب الناس بالاجتماع علي الايمان والتألف على الاسلام قبل يوم القيامة الذى تتفرق فيه الجموع ففريق في الجنة وفريق فى السعير يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فلما كان قوله فأقم وجهك للدين القيم أمراً للناس كلهم بالاجتماع علي الحق ورفض الباطل حذرهم من التفرق في الآخرة ومصير المطيع الى دار الثواب والعاصي الى دار العقاب فكان هذا ملائما لما قبله ٠٠ والآية التى فى سورة حم عسق جاءت بعد قوله ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير فلما قال ان الظالمين لا وليّ لهم ينصرهم من دون الله قال عند ذكر اليوم الذى لا مرد له مالكم من ملجإ يومئذ أى لا معقل لكم تعتصمون به من عذاب الله ولا يمكنكم انكار ما يحل بكم بدفعه عن أنفسكم بنصرة ناصر لكم فاقتضى ماتقدم من ذكر انه لا ناصر لهم يدفع عذاب الله تعالى عنهم سد طرق النجاة دونهم بأنه لا ملجأ (١) لهم ولا ذاب عنهم ومن دهمه الخطب العظيم الذى لا يطيق احتماله فلم يجد مهربا ولا ناصراً لم يبق له الا الاستسلام والسلام

﴿ الآية الثالثة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور

(١) نسخة الكتبخانه والاخرى لامزيل لهم

أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير﴾ وقال بعده ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أومن وراء حجاب أويرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء انه على حكيم﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسأل عن مجئ عليم قدير بعد ذكر الذكران والاناث من الأولاد والنعمة بهما على العباد ومجئ على حكيم بعد ذكر الجهة التي منها يرد أمر الله لعباده بطاعته ونهيه لهم عن معصيته واختلاف أحوال الرسل فى خطابه لهم وأمره اياهم وهل للصفتين الاولتين اختصاص بالآية التى ختمت بهما وللصفتين الآخرتين اختصاص بما جاء بعده ﴿والجواب﴾ ان يقال لما نبه الله العباد علي مايشاهدون من خلقه لهم من أولادهم ذكورهم وإناثهم وانه يختص من يشاء بالاناث ويختص من يشاء بالذكور أو يؤلفهم ببنات وبنين فيجمعهما للواحد ومن أراد ان يعقم من الوالدين حتى لا يكون له نسل حرمه الولد والناس فى الاولاد لا ينفكون عن الاحوال الثلاث قال عقيبه انه عليم قدير أى يعلم الغيب ويطلع على العواقب فيفعل ما يصلح دون ما لا يصلح وهو قادر لا قدرة كقدرته فاختلاف الاحوال التى ذكرها هو لعلمه بما يصلح منها وقدرته علي ايجادها فاقتضي الفعل المتقدم هذين الوصفين (١) .. وأما قوله انه على حكيم فالعلي القادر على الشيء القاهر له وكذلك قال الشاعر

اعمد لما تعلو فما لك بالذى لا تستطيع من الامور يدان

فجعل بازاء تعلو لا تستطيع فالقادر على الشيء اتم قدرة يكون عالما به قاهراً له (٢) فذكر هذا الوصف بعد الاشرف من الافعال من بعثة الرسل علي اختلاف

---

(١) النسخة المعتمدة الوصفين والمقدسية الموضعين

(٢) فى النسخة المعتمدة بعد قوله قاهراً له وهذا اصل يعد الاشرف من الافعال من

السبل وانه قاهر لما أراد فعله من ذلك انما أراد فعلا على وجه من الصواب لا مزيد عليه وهو الذى تقتضيه الحكمة ﴿وجواب ثان﴾ فى قوله علي حكيم انه يتعالى عن ان يكون كلامه لمن يكلم ككلام غيره ممن يشاهد المكلم به المكلم له مشاهدة رؤية فهو عليّ عن ذلك وحكيم فى إبلاغهم كلامه من الوجه الذى ذكره والقسم الذى قسمه فقد ثبت ان كل آية اتبعت ما أقتضته .. وقد ذهب بعض أهل النظر الي ان معنى قوله أو يزوجهم ذكرانا وإناثا انه يزوج ذكر ان عبيده باناثهم وهذا لا يكون بأو لانه لا يهب الاناث ولا الذكور الا أن يزوج ذكرانهم باناثهم فليس هو قسما ثالثا تدخله أو حتى يقال فيه هذا أو هذا وانما وجه الكلام ماذكرنا والقسمة التى لا مزيد عليها ماقسمنا فاعرفه

سورة الزخرف

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ﴾ وقال فى سورة الشعراء ﴿قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عما أوجب التوكيد فى قوله هنا لمنقلبون ولم يوجبه فى سورة الشعراء حتى لم تدخل اللام على خبر أن دخولها فى الأول ﴿والجواب﴾ أن يقال ان معنى قوله وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا الى آخر الآية لتذكروا انعام الله عليكم وتشكروه وتخالفوا الكفار بأن تقروا بما انكروه فتؤمنوا بالبعث والحيات بعد الموت وهذا خطاب لكل من كان فى ذلك العصر ومن يكون بعدهم الى انقضاء الدهر فالتوكيد لمثله لازم وفى الكلام الذى للتأييد

بعثه الرسل على اختلاف السبل وانه قاهر لما أراد فعله من ذلك انما أراد فعلا على وجه من الصواب لا مزيد عليه وهو الوجه الذى تقتضيه الحكمة اه

واجب والذى فى سورة الشعراء انما هو خبر عن السحرة لما آمنوا ووصفوا حالهم واستهانتهم بما خوفوا أن ينالهم من عقوبة فرعون إذ كان منقلبهم الى ربهم وكانوا مجازين على إيمانهم وصدقهم وصبرهم فلم يحتج من التوكيد الى ما احتاج اليه ماهو على التأييد

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون﴾ وقال فى سورة الجاثية ﴿وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عما بعد قوله مالهم بذلك من علم فى سورة الزخرف ان هم الا يخرصون وما بعده من سورة الجاثية ان هم الا يظنون وهل لاختصاص كل باللفظة التى تقارنها فائدة تقتضيها ﴿والجواب﴾ ان يقال ان قبل الآية من سورة الزخرف وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون . . وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون فأخبر عنهم أنهم قالوا الملائكة بنات الله تعالي وان الله تعالى أراد أن يعبدوهم وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم وليس ذلك عن علم بل هم كاذبون فيما يدعونه ويخبرون به فابطل خبرهم بالتكذيب لهم وهو الذى يليق بالموضع . . والذى فى سورة الجاثية خبر عن الكفار الذين دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الي الاسلام بأنهم قالوا لا بعث لنا وانما هو ان تموت الاسلاف وتحى الاخلاف فكلما هدم الدهر قوما فأفناهم نشأ فيه آخرون فاحياهم وهؤلاء لم يقولوا ما قالوا بمعرفة بل قالوه علي سبيل الظن فكان ان هم الا يظنون لائقا بهذا المكان كما لاق بالاول ان هم الا يخرصون

﴿ الآية الثالثة منها ﴾

قوله تعالى ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون﴾ ثم قال بعده ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الاقال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسأل عن قوله مهتدون في فاصلة الآية الاولى ومقتدون في فاصلة الآية الثانية وهل كانت تصلح هذه مكان تلك أم هناك معنى يخصصها بمكانها ﴿والجواب﴾ ان يقال ان الاولى حكاية قول الكفار الذين حاجوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال مخبراً عنهم أم آتيناهم كتابا من قبله أي من قبل القرآن فهم به مستمسكون أي كتابا فيه حجة بصحة دعواهم فهم متعلقون به فاعرض عن ذلك وقال تعالى لا حجة لهم لكنهم قالوا وجدنا آباءنا على ملة وطريقة في الدين مقصودة ونحن في اتباع آثارهم على هداية فادعوا الاهتداء بسلوكهم سبيل آباءهم . وأما الآية الثانية فانها خبر عن الامم الكافرة بأنبيائها قال وما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الاقال ذووا النعم والاموال من أهلها قريبا من قول هؤلاء الذين في عصرك يا محمد فكان أقصى ما احتجوا به أن قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة فاقتدينا بهم ولم يؤكد الخبر عنهم بدعواهم الاهتداء كما أكده عمن كان في عصره ممن يدعيه لبطلان قول الجميع وزوال الماضين عن احتجاجهم وثبات هؤلاء في حجاجهم وقوله قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم خطاب لمن قال انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون دون الذين قالوا مقتدون

﴿ سورة الدخان ﴾

ليس فيها من ذلك شيء

سورة الجاثية

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عما ختمت به الآية الأولى وهو لآيات للمؤمنين وماختمت به الثانيـة وهو آيات لقوم يوقنون وماختمت به الثالثة وهي آيات لقوم يعقلون وعن الفائدة في اختصاص هـذه بهـذه دون تلك ﴿والجواب﴾ ان يقال لما قال الله تعالى قبل خلق السموات والارض بالحق ان في ذلك لآيات للمؤمنين وقال في سورة ص وماخلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فاخبر ان في خلقهما بالحق آية للمؤمنين وان خلقهما باطلا لا ليعبد فيهما ويطاع ظن الكافرين كانت الآية الأولى من سورة الجاثية محمولة علي ما تقدم من إثبات الآيات فيها للمؤمنين ومن تلك الآيات انه لا شيء أعظم في الموجودات منها ثم اتساق النجوم فيها وتسخيرها على انتظام مما يدل على مدبرها ثم وقوفها مع عظمها وثقل جرمها بغير دعامة من تحتها ولا علاقة من فوقها تدل علي قدرة قادر لا يشبهه قادر فمن وفي النظر في ذلك وفي سائر مافيها من الآيات الأخر حقه أداه الى الايمان بالله تعـالى فلذلك قال لآيات للمؤمنـين فخصهم لانتفاعهـم بهـا وان كانت الآيات منصوبة لهم ولغيرهم الا انهم لما لم ينتفعوا بها صارت كأنها لم تكن لهم آيات ..وأما قوله وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون فإن العجائب في خلق الحيوان وماله من الاعضاء والحواس التي بها يدرك المحسوسات ثم في باطنه

من جواذب المواد التى بها قوام الحياة ثم الروح التى بها ثبات الأجساد اكثر من أن تحصى وتعد فان عرضت شبهة لملحد بأن كون الولد باحبال الوالد أمه ومن نطفته يأخذ شبهه فانه يطرح ذاك ويرتاح بالآيات التى ليس الى الوالد فعلها ولا جارحة من جوارحه يحيط علمه بنشأتها والحكمة فى تركيبها فكيف أن يكون فاعلها تبارك وتعالى من صنعها وزينها بالعقل الذى هو أكبر نعمة فهذا هو للمتفكر في ذلك ينتقل من ظن الى علم وتيقن بعد شك واليقين علم يحصل بعد تشكك ولذلك لا يوصف الله تعالى بأنه موقن ويوصف بأنه عالم فلهذا قال لآيات لقوم يوقنون ..وأما الآية الاخيرة وهى واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون فقد تقدم من قولنا فى الفرق بين يعقلون ويعلمون مابين الجواب عن الفائدة فى اختصاص هذه الآية بقوله يعقلون كما قال تعالى في سورة البقرة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون فخص هذا المكان أيضاً بقوله يعقلون لأن المعنى انهم يفطنون بمعلوم لمعلوم آخر فيعقلون من إحياء الله الارض بالمطر حتى تكتسي بالنبات والشجر أنه يحيي العظام وهى رميم وهذا موضع يقال فيه عقل من كذا كذا أى استدركه بالعلم بعد أن لم يكن مستدركا له فكأنه في معنى يفطنون ويدرون ويشعرون كما ان أصل الوصف بالعاقل موضوع لحالة ثانية ومعرفة طارئة فلذلك خصت الآية الثالثة بهذه اللفظة

﴿الآية الثانية من سورة الجاثية﴾

قوله تعالى ﴿ ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ﴾ وقال فى سورة لقمان ﴿واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن فائدة قوله كأن فى أذنيه وقراً واستغناء الكلام عنه فى سورة الجاثية مع ان القصتين مشتبهتان ﴿ والجواب ﴾ ان هذا الكافر لما أخبر الله عنه فى سورة لقمان بأنه يعرض عن القرآن اذا سمعه غير منتفع به حتي كأنه لم يسمعه ويستمر به هذا الحال كما يستمر بمن به صمم وقوله فى الجاثية ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها يدل على مادل عليه كأن في أذنيه وقراً لأن الاصرار عزم لا يتهم معه باقلاع فاذا أصر على التصام فهو كمن فى أذنيه وقر فصار أحد اللفظين يغنى عن الآخر ويقوم مقامه ويؤدى من المعنى أداءه فلذلك لم يجمع بينهما وكان الموضع الذي ذكر فيه ولى مستكبراً أحق بقوله كأن فى أذنيه وقراً والموضع الذى ذكر فيه الأصرار علي ترك الاستماع أغنى عن ذكر كأن فى أذنيه وقراً

﴿ الآية الثالثة من سورة الجاثية ﴾

قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ وقال في سورة يونس ﴿ ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضى بينهم

يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن اختلاف ما اختلف من الآيتين وزيادة الفاظ في سورة الجاثية على ما في سورة يونس عليه السلام وابدال ألفاظ مكان ألفاظ ﴿ والجواب ﴾ أن يقال إن سورة الجاثية لم يذكر فيها من قصة بنى اسرائيل غير هاتين الآيتين والتى في سورة يونس عليه السلام انما هى بعد سبع عشر آية قصرت على ذكر موسي عليه السلام وما دار بينه وبين فرعون من حيث قال ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون الى الآية التى ذكر فيها غرق فرعون المختومة بقوله فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وكانت هذه السبع عشرة آية قد اختصر فيها جميع ما بسط فى الآيات الكثيرة من سورة طه عليه الصلاة والسلام ومن سورة الشعراء فكان الموضع موضع اختصار فاختصر قوله ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق عما شرح في الآيتين اللتين في سورة الجاثية فاودعت آية واحدة من سورة يونس عليه السلام ما أودع فى آيتين من سورة الجاثية ..

فقوله ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق اى أنزلناهم منزل اختيار ورفعة وجلالة وتفضيل وكرامة ولا منزلة فى الدنيا أعلى مما تجمع النبوة والكتاب والحكومة بين الناس لفضل العلم فقوله مبوأ صدق مشتمل علي كل ذلك وقوله ورزقناهم من الطيبات فى الآيتين سواء وقوله فما اختلفوا من تمام الآية من سورة يونس وهو في آية مفردة من سورة الجاثية أولها وآتيناهم بينات من الأمر يعنى أمر الدين فما اختلفوا الا من بعدما جاءهم العلم تضمنت أربعة الفاظ منها وهى الأمر بعد ما تضمنه لفظ واحد من الآية في سورة يونس عليه السلام وهى حتى وذلك أن حتى للنهاية أى لم يختلفوا وكانوا متفقين الي ان جاءهم العلم وهو كتاب الله تعالى فحتى لمنتهى الاتفاق وقد دخلت علي

جاءهم العلم . فمجيء العلم منتهى ماتقدم ومبتدأ الاختلاف الذى لم يكن الا بعد وجوده فاحتمل الآيتان من سورة واحدة فى قصة واحدة من بسط الألفاظ وشرح المعانى ما اختير اختصاره حيث شغلت بتلك القصة آيات كثيرة وهى مع كثرتها مبنية على الايجاز فكان من البسط قوله الا من بعد ما بدل قوله حتى وقوله بغياً بينهم بيان مادعاهم الى الاختلاف وهو البغى والحسد عداوة بعضهم لبعض وقوله ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فى المكانين واحد والله أعلم

﴿ سورة الاحقاف ما فيها قد تقدم ذكره فى غيرها ﴾

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ليس فيها شيء من ذلك ﴾

﴿ سورة الفتح ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ﴾ وقال بعد ﴿ وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزاً حكيما ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن قوله في الأولى وكان الله عليما حكيما وقوله فى الثانية وكان الله عزيزاً حكيما ﴿ والجواب ﴾ ان يقال إن قوله انا فتحنا لك فتحا قد فسر على وجهين .. أحدهما أنها نزلت عليه مرجعه من عام الحديبية مبشرة بما يكون من الفتح في قابل ومعناه انا قضينا بفتح مكة عن محاربة منك لأهلها ومغالبتهم على دخولها ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك بما يملكك بعده جميع أرض العرب وقد

علم الله ما يكون قبل كونه وقرن الحكمة بصنعه وهو مبشر لكم بما لم يعجله في وقته لما اقتضت الحكمة من تأخيره فهذا معنى وكان الله عليما حكيما .. والوجه الآخر أن تكون قد نزلت لما فتح الله له مكة وكان وعد الله قد سبق بها وبغيرها من البلدان فلما فتحت مكة ازداد المؤمنون بصيرة الى بصيرتهم لما صدق الله من وعدهم فوثقوا أتم ثقة باعتلاء أمرهم وقوله وكان الله عليما أى بما يكون مما أخبركم به وبسائر المعلومات حكيما في أفعاله المخصوصة بالأوقات فيقدم ويؤخر على مقتضى الحكمة لا علي مقتضى ارادة الخليقة .. وأما قوله ولله جنود السموات والارض أي يملك من فيهما من الملائكة والانس فاذا أراد تسليطهم علي كفار عباده لينتقم منهم فعل وقيل لله أى هم عبيد له وقيل لطاعة الله جنود السموات والارض أى خلقوا لذلك ومنها نصرة دينه .. وأما قوله بعد وكان الله عزيزاً حكيما فانما جاء بعد قوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات فذكر قدرته علي عقابهم وقهره لهم بعذابهم فلما عذبهم بأن أذلهم وأباح للمؤمنين قتلهم وغنمهم أموالهم كان هذا المكان مقتضيا أن يتصف الله تعالى بالقهر والعزة والحكمة فيما يظهر من القدرة فصار كل من خاتمتي الآيتين في موضعه وهذا كما قال في هذه السورة في أهل البيعة تحت الشجرة وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما فاتصف بالعز والحكمة لما كان في موضع القهر والغلبة

﴿ الآية الثانية من سورة الفتح ﴾

قوله تعالى ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعا ﴾ وقال في سورة المائدة ﴿ قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل

عن زيادة لكم فى قوله فمن يملك لكم فى هذه السورة وحذفها في سورة المائدة ﴿والجواب﴾ أن يقال ان هذه الآية فى قوم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير عذر وتأخروا عن الجهاد معه والغزو وقالوا شغلتنا أموالنا واهلونا ثم سألوه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم يكتمون بذلك نفاقهم ويظهرون وفاقهم وأنهم محتاجون الى استغفاره لهم وقصد استمالته وأن لا تضرهم عداوته ثم قال قل فمن يملك لكم من الله شيئا أى من يملك لكم نفعا ان أراد بكم ضراً ومن يملك لكم ضراً ان أراد بكم نفعا ومعناه ان أراد انزال العذاب بكم لم يكن لكم من يدفعه عنكم كما انه ان أراد الانعام عليكم لم تضركم اساءة المسيء اليكم فلما كان في قوم مخصوصين أحتيج الى قوله لكم ليتبين.. فأما الآية التى فى سورة المائدة فانها لم تخرج عن أن تكون مخصوصة في فريق دون فريق بل عم بها أي لا يملك أحد دون الله شيئا فيما يريده من خير وشر فى عباده ويدل عليه قوله ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا فلما سيقت الآية الى العموم لم يحتج الى لكم التى للخصوص

﴿الآية الثالثة من سورة الفتح﴾

قوله تعالى ﴿ان أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيرا﴾ وقال بعده ﴿وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ ﴿للسائل﴾ ان يسأل عن الأولى لماذا ختمت بقوله خبيراً وعن الثانية لماذا ختمت بقوله بصيراً ﴿والجواب﴾ ان يقال لان الأولى فى ذكر ما أسره المنافقون من نفاقهم لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا وطلبوا الاستغفار لهم ولا ارادة فيه منهم فكأنه قال بل كان الله يخبر

باطنكم والآية الثانية بعد قوله كف أيديهم عنكم أى بما قذف في قلوبهم من الرعب وأيديكم عنهم بأن أمركم ان لاتحاربوهم فيفعل كل ماأراده الله منهم والله أبصر فعلكم وهذا ظاهر يوصف بأن الله تعالى يراه والذى في الأولى باطن يوصف بأن الله تعالي يخبره فلذلك خصت الاولى بخبير والثانية ببصير

﴿ سورة الحجرات ليس فيها شيء من ذلك ﴾

سورة ق

﴿ الآية الأولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا مالدى عتيد ﴾ وقال بعدها ﴿ الذى جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن ادخال الواو فى قوله وقال قرينه هذا ما لدى عتيد وحذفها من الثانى حيث قال قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان القرين الاول فيه وجهان .. أحدهما أن يراد به الملك الشهيد عليه وهو المشاهد لما يعمله الانسان فيكتبه عليه فيقول له يوم القيامة هذا ما لدى معد محفوظ عليك .. والوجه الآخر ن يقول قرينه من الشياطين كان فى الدنيا هذا ما عندى من العذاب الحاضر المعدلي ولك وعلى الوجهين هو خطاب للانسان من قرينه .. وأما الآية الثانية فانها منفصلة لأن القول هناك ليس للانسان ولا ما بعده خطابا له فلما لم يكن القائل ولا المقول انقطع واستؤنف ألا ترى أنه للقرين وأنه يخاطب الله تعالي بقوله ربنا ماأطغيته فلما لم يكن القائل المخاطب ولا المقول له المخاطب صار كأنه مستأنف فالآيات التي أجريت هذا المجرى بعده وهي قال لاتختصموا لدى وكقوله مايبدل القول لدى فلما

لم يكن في واحد منهما واو عاطفة كانت الأخرى كذلك

﴿ الآية الثانية من سورة ق ﴾

قوله تعالى﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ وقال في سورة طه﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن الموضعين وأن يقول لم قال في سورة طه عليه الصلاة والسلام وقبل غروبها وفي هذه وقبل الغروب ﴿ والجواب ﴾ قريب وهو ان فواصل أكثر الآيات في سورة طه أواخرها الف فعدل الى غروبها وهو الاصل لان الطلوع مضاف الى الشمس وحق الغروب أن يكون مضافا الي ضميرها وضميرها هاء بعدها ألف .. وأما سورة ق فواصلها مردوفة بواو أو ياء كالسجود والجلود والقعيد والعتيد والمريج والغروب متى ذكر علم انه أريد به غروبها فكان ذلك أشبه بالفواصل التي تقدمتها في المكانين فلذلك اختلفا

﴿ سورة الذاريات ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾ الى قوله ﴿ أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون وقال في﴾ سورة الطور ﴿ ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن اختلاف ما اختلف من الاخبار عن أهل الجنة في هاتين السورتين ﴿والجواب ﴾ أن يقال انه تعالى اخبر عنهم في الذاريات انهم صاروا الى الجنة بأعمال عددها ودعا العباد اليها ليفعلوا فعلهم لها فقال ان المتقين في جنات والمراد بالجنات ما ذكره في سورة الرحمن حيث قال ولمن خاف مقام ربه

جنتان وبعده ومن دونهما جنتان ثم قال وعيون لما كان المعنىّ بالجنات البساتين التي لها ظلال والظل والماء مطلوبان للعرب ولكل ما ذرأ الله من النسم قرن الى الجنات العيون كما قال ان المتقين في ظلال وعيون وجعل ذلك بازاء ما يعذب به أهل النار حيث يقول يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم أي يحرقون ليزال عنهم الخبث وكلهم خبث لايخلص منهم ما يستغنى عن الاحراق ثم قال آخذين ما آتاهم ربهم أى متقبلين عطية ربهم لانهم أحسنوا في هذه الدنيا في فعلهم فاقتدوا بهم لتكونوا كمثلهم وأقلوا الهجوع بالليل لتنالوا مثل نيلهم واستغفروا لتفوزوا كما فازوا باستغفارهم واخرجوا فضلات أموالكم لمن يسئل من الفقراء ومن يحرم نفسه بترك السؤال كما أخرجوها فغنموا بها واعتبروا بالآيات التي نصبها الله في الارض كالراسيات والعيون الجاريات وما يطلع منها من نام وغير نام من جواهر المعادن فانهم به اعتبروا وبه وصلوا الى ما وصلوا وهذه الآية تدل علي أن وصف أهل الجنة في هذه السورة بالاعمال التي قدموها تتضمن أمر المكلفين بمثل ما جعل خبراً عنهم انهم فعلوه لأن طريق قوله وفي أموالهم حق للسائل والمحروم غير طريق وفي الارض آيات للموقنين اذا لم يحمل علي ما ذكرنا فلما كان القصد في هذه السورة الحث على أفعال أهل الجنة بالآيات المتعلقة بوصفهم الخاصة بخطاب من يدعى الي مثل فعلهم استمر الكلام على هذا النظم الى ان انتهى الى ذكر الانبياء عليهم السلام وأممهم الكافرة وما أنزله من العذاب بأمة أمة منهم.. وأما الآية التي في سورة الطور فانه وصف تعالى نعيمهم في الجنة وأصناف ما حصلوا فيه من اللذة فقال فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم الى قوله هو البر الرحيم لانه اذا

ذكرت الافعال التي تستوجب بها الجنة ذكر من الجزاء فيها ما تنتهى اليه اللذة وتقترحه الشهوة وهو مافصله الله تعالى فى سورة الطور ثم ختم الآيات بقوله فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون فاختلاف الآيات فى السورتين لما ذكرنا والله أعلم

﴿ الآية الثانية من سورة الذاريات ﴾

قوله تعالى ﴿ ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله إلها آخر انى لكم منه نذير مبين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن تكرار قوله انى لكم منه نذير مبين وعن موضع الانذار مرة بعد أخرى فى آيتين متواليتين ﴿ والجواب ﴾ ان يقال قوله قبل هاتين الآيتين ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ومعناه خلقنا من الحيوانات ذكرا وأنثى ومن غيرها الشيء ومايزاوجه بما يماثله أو يضاده فيقابله لتذكروا أن خالقكم بعيد عن شبهكم وانه وحده لا نظير له يشاكله ولا ضد له يناصبه ويقابله لأن الخالق بخلاف خلقه لا يجوز ما ذكرنا فى نعته ففروا الي الله عما حذركم من معصيته الى ما حثكم عليه من طاعته فانى أنذركم ما تواعدكم به من عقوبته وهذا تحذير من المعاصى كلها وبعث علي الطاعات جميعها ثم خص ما هو أعظم فقال ولا تجعلوا مع الله إلها آخر أى لاتتخذوا الاصنام آلهة تعبدونها مع عبادة الله تعالي فانى أحذركم ان تجعلوا له مثلا فالنذارة الأولى متعلقة بترك الطاعة الى المعصية والثانية متعلقة بالشرك الذى هو أعظم المعاصى واذا كانت متعلقة بغير ماتعلقت به الأولي لم يكن ذلك تكرارا

﴿ سورة والطور آية واحدة ﴾

وهي قوله تعالي ﴿ أم تسئلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم

يكتبون أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ﴾وقال فى سورة القلم ﴿فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين أم تسئلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾ ﴿ للسائل ﴾أن يسأل عما انقطع اليه أم عندهم الغيب فهم يكتبون فى السورتين فكانت فى سورة الطور تنقطع الى قوله أم عندهم الغيب وفى سورة القلم تنقطع الى قوله فاصبر لحكم ربك ﴿ والجواب ﴾ ان يقال ان عبدة الاوثان من قريش مع ادعائهم انهم أهل الحجى وأولوا النهى الزموا فى سورة الطور الزامات يستنكرونها ولا يقولون بها إذا صدقوا عقولهم عنها وهى خمسة عشر الزاما .أولها أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون بعد قوله فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون والقوم عرفوا الشعر وطريقه وهذا الكلام واسلو به ولو تدبروه علموا انه ليس بشعر وان النبى صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر . والثانى أم تأمرهم أحلامهم بهذا أى تدعوهم عقولهم الى عبادة من هم فوقه لأنهم أحياء وتلك أموات وهم يعقلون وتلك لا تعقل وهذا على سبيل الانكار وما بعده على سبيل الايجاب وهو أم هم قوم طاغون أى طالبون اعتلاء بالباطل والظلم وهذا ثالث . والرابع أم يقولون تقوله أى اختلق القرآن فان كان عندهم كما زعموا فليأتوا بمثله وهو الذى عجزوا عنه فلزمتهم الحجة فيه وهذا رابع . والخامس أم خلقوا من غير شئ أى أم خلقوا من غير خالق ولا يقولون به . والسابع أم هم الخالقون فلا أمر عليهم ولا نهى وهذا أيضا سادس . لا يقولونه أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون وهذا أيضا سابع لا يدعونه وهو أن السموات والارض ليس لهما خالق قديم لا يشبه

المخلوقين وهم خلقوها بل لا يسلكون طريق الفكر في ذلك فيؤديهم الى برد اليقين. والثامن أم عندهم خزائن ربك أي ام يملكون مايخلقه الله لعباده من الارزاق وما فى علمه أن ينعم به عليهم فاذا علموا من أنفسهم عجزهم عنه وجب أن يعلموا ان الله هو المالك لجميع ذلك فيفردوه بالعبادة. والتاسع أم هم المسيطرون أى المسلطون على الناس والمقومون لهم وليس لهم ذلك. والعاشر أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين أى أم لهم مايتسببون به الى السماء وسماع كلام الملائكة ومايتذاكرونه من أخبار ما يجريه الله فى الارض فيعلمون بذلك أنهم علي الحق ومن يدعوهم الي الدين على الباطل فان كان كذلك فليأت مستمعهم بحجة قاهرة وهى أخبار عن غيوب تصح وليس لهم ذلك. والحادى عشر تعجب الخلق مما أدعوه من أن الملائكة بنات الله تعالى فقال يرزقكم البنين ويجعل لنفسه البنات وصاحب البنين أعلى كلمة من صاحب البنات. والثانى عشر أم تسئلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أى أم ثقل عليهم تصديقك لأنك الزمتهم مالاً يغرمونه لك أجرا على ماهديتهم له ولا عذر لهم في ذلك لانك لم تفعله. والثالث عشر أم عندهم الغيب فهم يكتبون أى أم يدعون علم الغيب وما يكون فى مستقبل الدهر فيتصور لهم ان أمرك لا يثبت وانه يضمحل عن قريب خلاف ماوعد الله تعالى في قوله هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقيل أم يعلمون الغيب بوحي من السماء فيكتبونه ويلقونه الي الناس كما تفعله الانبياء عليهم السلام. والرابع عشر أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون أى أم يريدون بالممانعة والمدافعة والانقياد للمتابعة احتيالا عليك لابادة أصحابك

وقتلك وتدبير ذلك سراً منك (١) والكفار هم الذين ينقلب عليهم مايدبرونه على المؤمنين فيكونون هم المقهورون المغلوبون والهالكون المقتولون فانقطعت الآية الثالثة عشر عن الاحتجاجات الى المطالبات بالمكرات لاستيعاب أكثر مافى الباب وختمت هذه . الخامسة عشر (٢) وهى أم لهم إله غير الله أى خالق يحق عليكم عبادته غير الله الذى خلق السموات والارض وذلك يجب أن يكون على صفة الله تعالى من القدرة والعلم والانعام بما يحق له . العبادة سبحان الله عن ذلك . . وأما الآية التى فى سورة ن والقلم فانها الخامسة من الزامات الكفار الذين دلت أفعالهم على ان المسلمين عندهم كالمجرمين فانكره الله تعالى وقال أفنجعل المسلمين كالمجرمين ثم احتج لبطلان دعواهم أنزل عليكم كتابا تعتمدونه وتتركون له ما دونه ولا تلتفتون معه الى ما يخالفه وقد قامت الحجة به لكم فتمسكتم له بدعوا كم وأن لكم في الدنيا والآخرة اختياركم وقد علمتم ان هذا ليس منكم . والثانى أم لكم ان تحجونا بأيمان بالله حلفناها لكم بأنا لا نخالفكم فيما تحكمون به من اتخاذ الآلهة واقامة العبادة لغير الله فتلزموننا تصديق أيمانا لكم وهل أقمنا كفيلا تدلون عليه بضمان ذلك لكم . والثالث أم تنسبون صحة ما تلزمونه الى الآلهة التى جعلتموها شركاء لله وهم يتبرؤن منكم اذا جمعكم واياهم يوم يكشف عن ساق ويشتد الأمر ويستدعي منكم السجود الذى ترتفع فيه أستاهكم علي رؤسكم وهو ما أنفتم منه فى دنياكم فتبكتون وتقرعون بذلك فلا تقدرون عليه فتخسرون به وتعرفون (٣) انكم تركتموه

---

(١) كذا فى القدسية والكتبخانة وأما الثالثه فنصها وتدبيرد إراك سوء منك

(٢) كذا فى القدسية والكتبخانة والنسخة الثالثة لخامسة عشر وبعده وهى أم لهم إله غير الله اي خالق يحق عليهم (٣) فى الثالثة فتجبرون به وتعلمون انكم الخ

حيث ينفعكم حتى فاتكم . ثم الرابع والخامس مانع دنيا لغرامة تثقل عليكم باجر النبي المبعوث اليكم أم نزول كتاب عليكم بأن الحق فيما لديكم وكل ذلك لا حجة فيه لكم فلما بان من هذه الاوجه ان الحق ليس كالمبطل وأن المسلم ليس كالمجرم دعا الله نبيه صلى الله عليه وسلم الى لزوم الصبر وتوقع نزول النصر وترك العجلة فى الأمر ومباينة صاحب الحوت فى التضجر بالكفر فانقطعت الآى هنا الى ذكره ووصف جمل أمره بعد شرح كثير من حاله في السورة المتضمنة له

﴿ سورة النجم آية واحدة ﴾

وهى قوله تعالى ﴿ تلك اذاً قسمة ضيزى إن هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ﴾ وقال بعده ﴿ ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عما انقطعت اليه ان يتبعون الا الظن فى الآيتين واختلافه والفائدة في تقديم ما تقدم وتأخير ما تأخر وهل كان يجوز عكس ذلك ﴿ والجواب ﴾ ان يقال لما قال قبل الأولى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى الكم الذكر وله الأنثى ثم قال ان هى الا أسماء سميتموها أنتم أى سميتم هذه الاصنام آلهة والملائكة بنات الله تسمية باطلة لا حجة لكم بها فلم يحصل لكم الا ألفاظها فأما المعانى فانكم تتبعون فيها الظن وهوى النفس وما في الطبع من حب الالف وقد أتاكم من ربكم ما يثنيكم عنه الى الرشاد ومن جاءه من الله الهدى فتركه لاتباع الهوى فقد ضل وهوى فلما كان الذى يجذبهم الى مقالتهم شيئان ظن وهوى ذكرا معا

ليتبين صارفهم عن الحق ثم قال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً فخص الذين يقولون الملائكة بنات الله بالذكر توكيداً لالزامهم الحجة عليهم وانهم يتبعون الظن في مقالتهم والظن لا يقوم مقام العلم ولا يغني غناه والمراد بالحق هاهنا هو العلم فوصف ان الذى يعتمدونه لا يجوز ان يعتمد لانه ظن وبازائه علم يبطله وهدى من الله تعالى يدفعه ويصرف عنه الى الحق الذى لا مهرب منه ومن لم يقبله بعد وضوح الحجة له فاعرض عنه وهو قوله فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ففي الآية الأولى ذكر صارفهم عن الحق وداعيهم الى الباطل فبين ما هو وفي الثانية طعن على هذا الصارف والداعى الى الباطل واثبات الشيء أولى في العقل ووصفه بانه صحيح أو سقيم ثان في الرتبة فلذلك اختصت الأولى بما اختصت به والثانية بما تبعها

سورة القمر آية واحدة

وهى قوله تعالى ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن قوله فكيف كان عذابي ونذر في ابتداء قصة عاد وتكريره في آخرها وقد سأل عن ذلك بعض أهل النظر فأجاب بأن الاول ليس هو تحقيقا لعاد وان الثانى لها فلا يكون تكريراً اذ جعل كل واحد من الخبرين خبراً عن غير ما أخبر في الآخر وهذا الذى ذهب اليه لاوجه له لانه قال

كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم فلا يصلح أن تدخل الفاء فى قوله فكان عقيب إخباره عن عاد بأنها كذبت ثم يصرف عن أن تتعلق به تعلق الجزاء بالشرط هذا ولم يتقدم فى السورة سوى قصة نوح وقومه وقد عقب بقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وهذا الذى ذهب اليه من ذكرنا قوله لا يصح الا أن يراد كذبت عاد فلم يعتبر كيف كان عذابى ونذر ولمن كذب(١)قبلهم من قوم نوح ويكون ذهابا عن الظاهر الى إضمار لا دلالة عليه ﴿والجواب﴾ عن ذلك من وجهين أحدهما أن يقال ان عاداً أختص ما نزل فيها من كتاب الله بذكر عذابين لها قال الله تعالى لنذيقنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون فكيف الاول لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الآخرة ويكون قوله فى الثانى كيف كان يحتمل وجهين أحدهما أن تجرى مجرى ونادى أصحاب الاعراف هو أن ماحق من وعيد الله هو كالكائن الواقع لصحته فيخبر عن مستقبله كالاخبار عن ماضيه لاستوائهما فى زوال المزية عن وجودها والثانى أن يكون المعنى فى الاول فكيف كان ماقدمت اليها من الوعيد الذى صح شطره وهو وعيد الدنيا ودل على وقوع مافي الأخرى كما وقع فى الأولى . والجواب الثانى أن يكون المعنى فى الاول فكيف كان وعيد عذابى ونذر لما حذرناهم قبل أن أوقعنا بهم ويكون الثانى بعد ارسال الرياح عليهم وايقاع العذاب بهم والمعنى كيف كان عذابى محققا ونذرى مصدقا ويسلم من التكرار

(١) نسختان كذبت وسقط من الثالثة قوله ويكون

﴿ سورة الرحمن آيتان ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن اعادة ذكر الميزان ثلاث مرات في أواخر هذه الآى وقد كان حقها الاضمار وهل في اختيار الكلام أن يتكرر فى موضع السجع في النثر والقافية فى النظم مثله أو في ثلاثة اسجاع متوالية أو ثلاث قواف متواطئة حتى يرتضى فى ثلاث فواصل مترادفة ﴿ والذى أجاب ﴾ به عن ذلك أهل النظر انه أعيد ذكر الميزان لأن هذه الآيات لم تنزل معاً فى وقت واحد ولو نزلت معاً لاضمر ذكر الميزان ولكن لما نزلت متفرقة لم يجز الا اظهار ذكر الميزان لانه لم يجر له ذكر في كل وقت أنزلت فيه احدى هذه الآيات وهذا إن تأتى في الميزان الثالث فانه لا يتأتى فيما قبله لأن الثانى تفسير الاول ان كانت ان بمعنى أى أو علة اذا كانت ان مقدرة معها اللام أى لئلا تطغوا وكان ذلك لايجوز مع انقطاع الثانى عن الاول ولا الاول عن الثانى ﴿ وقد اجيب ﴾ عن ذلك بجواب آخر وهو أن يكون أعيد ذكر الميزان لتكون كل آية مستقلة بنفسها غير مفتقرة الى غيرها إذ الاضمار تضمن الثانى الاول فلا يقوم الثانى بنفسه ولا الثالث لو أضمر فيهما ذكرما في الاول ﴿ والجواب ﴾ الذى يعتمد هو أن يجعل لكل واحد معنى غير معنى الآخر يريد والسماء رفعها ووضع البنية المعدلة وهى بنية الانسان الذى خلق من أمشاج ومن تأليفات مختلفات علي اعتدال من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ومعنى رفع السماء ووضع بنية الاعتدال ما ذكره في قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما أى رفعنا السماء

على الارض وخلقنا الهواء بينهما ولم يكن للحى الذى أراد خلقه بدمن هواء تخترقه الروح وتنساب فيه فخلق عز وجل آدم أبا البشر عليه السلام من طين وفيه مسارب للهواء فجعل فيه الطين الارضى والماء الذى قال الله تعالى فيه وجعلنا من الماء كل شيء حي والهواء الذى تجتذب منه الانفاس من خارج ما برد وتخرج منه من باطن ما حم والنار التى اذا فقدها الحي خمد وبطل فلما دبر الله تعالى خلقه على الاعتدال من هذه الاصول كان هذا الذى جمع ما ذكرنا مركبا من الاشياء التي وصفنا لكل معتدل عنده قبول وله عن كل خارج عن حد الاعتدال نفار ونبوٌ حتى إن رأى مربعا مستوى التربيع وآخر مختلفاً خارجا عن الاعتدال فى الابنية وغيرها يقبل الاول ويتأبى(١) عن الثانى وكما فى الطبع قبول البيت من الشعر اذا اعتدلت أجزاؤه وأتزنت أفعاله التى وضع عليها ورده للمتكسر الذى فقد التعديل فى البناء وهذا انما يضطر الانسان الى علمه كما يضطر فى الاول الى كراهة المعوجات وقبول المستويات فقال تعالى رفع السماء وركب بنية الانسان المعتدلة وكان معنى ذلك أن لا يجاوزوا فى حكم المقابلة حد المعادلة والميزان الثانى الاحكام التي حكم فيها على اعتدال وقدر فى الطبائع كراهية ما خرج منها على اعتداء كقتل نفسين بنفس والجانية احداهما وقطع أذنين باذن وأنفين بأنف وفقإ عينين بعين وأخذ أموال بمال ودواب بدابة الي غير ذلك من مجاوزة الحد في القصاص والارش بما يثبت به حكم الطبع قبل حكم السمع وكأن المعنى عدل خلقة الانسان ليتوخي المعدلة في الاحكام والميزان الاول بنية الاعتدال وهى بنية الانسان على الوصف الذى ذكرنا والميزان الثانى الحكم بالعدل والثالث آلة التعديل وهى التى يقع بها الاخذ والعطاء فتبين بها مقادير

(١) النسخة الثالثة ويتأي عن الثاني

الحقوق ليقتصر كل ذى حق على قدر ما يجب له منها فلا يأخذ أكثر من ماله ولا يعطى أقل من ما يجب عليه وهو القسط الذى أمر الله تعالى به المتبايعين لا رجحان ولا نقصان واذا كان كذلك لم يكن في اعادة لفظ الميزان تكرار اذا كان الاول لمعنى غير معنى الثانى والثانى لمعنى غير معنى الثالث كما تخرج القوافي عن الايطاء اذا اتفقت الفاظا واختلفت معانى

﴿ الآية الثانية من سورة الرحمن ﴾

قوله تعالى ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ وتكريره احدى وثلاثين مرة ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن العدة التي جاءت عليها هذه الآية متكررة وعن فائدتها ﴿ والجواب ﴾ أن يقال نبه الله تعالى على ما خلق من نعم الدنيا المختلفة فى سبع منها وأفرد سبعا للترهيب والانذار والتخويف بالنار وفصل بين السبع الاول والسبع الأخر بواحدة ثلاث آيات سوى فيها بين الناس كلهم فيما كتب الله من الفناء عليهم حيث يقول كل من عليها فان أى من على الارض وهذه الفاصلة للتسوية بين الملائكة وبين الانس والجن في الافتقار الى الله تعالي والى المسئلة والاشفاق من خشية الله وهى قوله يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن وانما كانت الأول سبعا لأن أمهات النعم خلقها الله سبعا سبعا كالسموات والارضين ومعظم الكواكب وكانت الثانية سبعا لانها على قسمة أبواب جهنم لما كانت فى ذكرها وبعد هذه السبع ثمانية فى وصف الجنان وأهلها علي قسمة أبوابها وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دون الجنتين الأولتين لانه قال تعالى فى مفتتح الثمانية المتقدمة ولمن خاف مقام ربه جنتان فلما استكملت هذه الآية ثمانى مرار قال ومن دونهما جنتان فمضت ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما وثمانية في وصف جنتين دونهما للثمانية المتقدمة

اليه فكان الجميع احدى وثلاثين مرة (١) .. فان قال قائل فقد سوى بين الجنة والنار في الاعتدال بالانعام على الثقلين بوصفهما وانما النعمة احداهما دون الاخرى ﴿ والجواب ﴾ ان يقال ان الله تعالى منعم على عباده نعمتين نعمة الدنيا ونعمة الدين وأعظمهما الأخرى واجتهاد الانسان ورهبته مما يؤلمه أكثر من اجتهاده ورغبته فيما ينعمه فالترهيب زجر على المعاصي وبعث على الطاعات وهو سبب النفع الدائم فأية نعمة أكبر اذاً من التخويف بالضرر المؤدى الى أشرف النعم فلما جاز عند ذكر ما أنعم به علينا في الدنيا وعند ذكر ما أعده للمطيعين في الأخرى أن يقول فبأى آلاء ربكما تكذبان جاز أن يقول عند ذكر ما يخوفنا به مما يصرفنا عن معصيته الى طاعته التي تكسبنا نعيم جنته كذلك لأن هذا أشوق الى تلك الكرامة من وصف ما أعد فيهما من النعمة .. فان قال إن السبع الأول قد عرفت من ست منها نعمة الله علينا في البر والبحر والسابعة هي كل من عليها فان وأية نعمة في ذلك حتى تعد من نعمة الدنيا ﴿ والجواب ﴾ أن يقال فيه التسوية بين الصغير والكبير والامير والمأمور والمالك والمملوك والظالم والمظلوم في الفناء المؤدى الى دار البقاء ومجازاة المحسن والمسيء بحقه من الجزاء فالمظلوم يؤخذ حقه والظالم يقرع فيترك الظلم له وسبب الفناء يعلمه الانسان باضطرار فلا نعمة اذاً اكبر من هذه .. فان قال ذكر بعد قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثماني مرات فبأى آلاء ربكما تكذبان الى أن انتهى الى قوله ومن دونهما جنتان وجاءت بعده ثماني مرات قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان كما جاءت بعد الجنتين الأولتين في أثناء الثمانية الأخر من معاني الجنتين ما في أثناء الثمانية الاول فما الجنتان الاوليان وما

(١) من قوله فضت ثمانية الي هنا اضطربت فيه نسختا الكتبخانه والمقدسيه

الجنتان الأخريان حتى يبعث علي طلب هاتين كما بعث على طلب تينك ..
ويجاب عن ذلك إجوبة. أولها أن يقال بأن التثنية هاهنا في الجنتين لاتصال الجنان أى كلما كان الولى في جنة وصلت بأخرى فلا تنقطع غرائب الجنان عنه أبداً كما كان حنانيك دعاء وطلبا لرحمة متصلة معناه نحن بنعمة لا (١) تنقطع اذا كان كذلك وكقولهم لبيك وسعديك وسائر ما جاء مثنى يراد به هذا المعنى ..
فان قال قائل فما معنى الجنتين الأخريين وفي الاوليتين كفاية اذا قصد المعنى الذى ذكرت .. قلت المراد بالجنتين الاوليتين جنتان خارج قصره والمعنى كلما كان فى جنة وصلت بثانية غريبة مستطرفة ثم اذا كان في الثانية كانت حالها فى اتصال أخرى بها كحال الأولى وعلى ذلك أبداً فكأنه قال ولمن خاف مقام ربه جنتان خارج قصره متتابعتان لا تنقطعان .. وأما ومن دونهما جنتان فان المراد بهما على هذا الوجه الى أقرب من هاتين الجنتين جنات داخل قصره وهما فى أن الجنة منهما متصلة بأخرى بعدها فلا يزال المكرم فيها ينتقل من واحدة الى أخرى مثلها .. وجواب ثان وهو ان تكون الجنان الاربع فى الجهات الاربع بين يديه وخلفه ويمينه وشماله وأقربها ما كان نصب عينيه ومرمى طرفه فلا يحتاج ان يلتفت الى خلفه .. وجواب ثالث وهو ماذهب اليه الحسن من أن الجنتين الأوليتين للسابقين وهم الذين سبقوا الى اتباع الانبياء صلوات الله عليهم ووهبوا لطاعة الله حرمة الآباء والأبناء وجاهدوا معه فى توطئة الاسلام وبذلوا ارواحهم في قتال الكفار أولئك أعظم درجة وأعلا رتبة ومن دون جنتيهم جنتان للتابعين ثم على ذلك كما قال الله تعالى أنظر كيف فضلنا بعضهم علي بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

(١) فى غير الثالثة متصلة برحمة فلا تنقطع

سورة الواقعة

﴿ آية واحدة ﴾

وهي قوله تعالى ﴿ أفرأيتم ما تمنون أءنتم تخلقونه ﴾ الآية وبعده ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ﴾ الآية وبعده ﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون ﴾ الآية وبعده ﴿ أفرأيتم النار التى تورون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن ترتيب هذه الاشياء التى تختص بقدرة الله تعالى وتقديم بعضها على بعض وهل كان يجوز تقديم ذكر النار على ذكر الماء ﴿ والجواب ﴾ أن يقال الاول هو خلق الانسان من نطفة والنعمة في ذلك قبل النعمة فى الثلاثة الأخر التى بعده فوجب تقديمه ثم بعده ما به قوام الانسان من فائدة الحرث وهى الطعام الذى لا يستغنى عنه الجسد الحى وذلك الحب الذى يختبز فيحتاج بعد حصوله الى حصول ما يعجن به وهو الماء ثم الى النار التى تعيده خبزاً فالترتيب على حسب الحاجة والنعمة الثانية بعد الأولى .. فان قال فقد قال في الاول فلولا تذكرون وقال في الماء فلولا تشكرون فهل كان يجوز أن يكون احدهما مكان الآخر .. قلت الاولى تنبيه على البعث والاعادة وهى النشأة الثانية كالنشأة الاولى وحمل على أن يتذكر الاول الذى هو الاصل ليثبت به الثانى الذى هو فرع على ان القادر كما كان لم يتغير .. وأما قوله فلولا تشكرون فانه بعد قوله لو نشاء جعلناه أجاجا أى شديد الملوحة كماء البحر كما قال وهذا ملح أجاج فهل لا تشكرون أن جعله عذبا [فكل مكان لاق به ما ذكر فيه]

سورة الحديد ثلاث آيات

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾

وقال فى سورة الحشر ﴿ سبح لله ما في السموات وما فى الارض ﴾ وقال فى سورة الصف ﴿سبح لله مافي السموات وما فى الارض ﴾وقال في سورة الجمعة ﴿ يسبح لله مافى السموات وما في الارض ﴾ وقال في سورة التغابن ﴿ يسبح لله مافى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عما أوجب اختصاص فاتحة سورة الحديد بقوله سبح لله ما فى السموات والارض من غير اعادة ما وقد أعيدت فى فواتح السور الأخر ﴿ والجواب ﴾ أن يقال لما كان هذا الكلام مستوفى الي كلمات ثلاث عقدت في كل واحدة منها السموات والارض في عقدة واحدة جمع المخلوق فيها تحت لفظة واحدة فكان معنى قوله سبح لله مافى السموات والارض سبح لله الخلق فى المكانين فلفظة مافى هذا المكان عامة شاملة للخلق فيهما فاذا أعيدت ما فى قوله فى الارض كانت الاولى خاصة للخلق في السموات دون الارض والكلمات الثلاث التى عقدت السموات والارض فى كل واحدة منها عقدة واحدة قوله له ملك السموات والارض وقوله بعده هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وقوله بعده له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور فلما كان افتتاح السورة ينتهى الى هذه الآيات بعدها وهى تنظم المكانين نظما واحدا اختير أن يجعل الخلق فيهما خلقاً واحداً فلا يفصل بينهما لخلقهما والقصد جمعهما فى نظام واحد ولم يكن هذا المعنى موجودا فى سائر السور فكان الاصل فيه أولى وهو اعادة ما والدليل علي ذلك قوله فى آخر سورة الحشر يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم لانه قال قبله هو الله الخالق البارئ المصور فنظم تحت هذه الصفات مخلوقات السموات والارض وكذلك قبله الملك القدوس كذلك نظم المخلوق فى

السكانين فيما يكون من تسبيحهم وتقديسهم حملا على الاول الذى هو الاصل

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ له ملك السموات والارض يحي ويميت وهو علي كل شيء قدير ﴾ وقال بعده بآيتين ﴿ له ملك السموات والارض والي الله ترجع الامور ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن إعادة هذه اللفظة في المكان القريب من الاول وصلتها في الأولى بقوله يحى ويميت ثم صلتها فى الأخرى بقوله والى الله ترجع الامور ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان المعنى له الملك أولا وآخراً فالاول فى الدنيا وهو وقت الاحياء والاماتة والآخر فى الآخرة حين ترجع الامور اليه ولا يملك أحد سواه لا ملكا ولا ملكا فقرن بالاول يحي ويميت لانهما من امارة الملك وقرن بالآخر ما يكون فى الآخرة من مرجع الخلق وجزائهم بالثواب والعقاب اليه فجاء فى كل مكان ما اقتضاه وما شاكل معناه

﴿ الآية الثالثة منها ﴾

قوله تعالى ﴿ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما ﴾ وقال فيما تقدم من سورة الزمر ﴿ ثم يجعله حطاما ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن قوله في سورة الحديد ثم يكون حطاما وقوله في سورة الزمر ثم يجعله حطاما وهل كان وجه الكلام أن لو جاء أحدهما مكان الآخر ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان الافعال التى نسق هذا الفعل عليها في سورة الزمر هى أفعال الله تعالى لانه قال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفة ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاما فهو معطوف على قوله ثم يخرج به زرعا والذى في سورة الحديد لم يسند الفعل المتقدم فيه الى الله فيستند اليه ما بعده وانما هو كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه

مصغراً ثم يكون فلم يصلح فى كل مكان الا ماجاء فيه من اختيار الكلام

﴿ سورة المجادلة آية واحدة ﴾

وهى قوله تعالى ﴿ وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ﴾ وقال ﴿ ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن خاتمتى الآيتين وهما عذاب أليم وعذاب مهين وعما أوجب اختصاص كل واحدة منهما بما ذكر فيها ﴿ والجواب ﴾ أن يقال لما قال فى الاولى ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله أى يتبين [١] ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله والحدود التى حدها لعباده ثم سمى من لم يؤمن كافراً باسمه وتوعده بالعذاب الموجع المبالغ فيه وهو ما يخوف الله به عباده نعوذ بالله منه .. وأما قوله عذاب مهين فلأن قبله ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا فضمن معنى الفعلين [٢] الشرط والجزاء فجعل الكبت جزاء من آثر حزبا غير حزب الله ورسوله وحداً غير حدهما ـ والكبت ـ الاذلال وقيل الغلب والقهر والتخييب وكل ذلك متقارب فلما أخبر الله تعالى بالكبت عمن حاد الله ورسوله وجانبهما (٣) وصار فى حد غير حدهما وصف العذاب الذى ينزل به الاذلال والاهانة وان كان كل مؤلم مهينا وكل مهين مؤلما .. وما يشهد لذلك قوله تعالى في آخر السورة ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين فقوله هنا أولئك في الأذلين كقوله في الاول ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا فهذا في الكفار وقد توعد المنافقين الذين تولوهم بمثله فى هذه السورة وهو قوله ألم تر الي الذين تولوا قوما غضب الله عليهم

(١) في النسخة الثالثة وذكر الحدود التى حدها الى آخر (٢) في الثالثة اللفظين الشرط والجزا (٣) فى الثالثة وخانهما وصار فى غير حدهما

ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أعد الله لهم عذابا شديداً انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين أى انهم لما أظهروا الايمان وابطنوا النفاق وضعوا فى أنفسهم انه ان اطلع على حالهم حلفوا للنبي صلى الله عليه وسلم بالله ان الأمر بخلافه فيكلهم الى أيمانهم فهم يخرجرن بهذا الظاهر فى الحكم عن دلالة (١) الكفر ولهم عذاب يسلبهم هذا العز ويبدلهم منه الهوان والذل والله تعالى أعلم

﴿ سورة الحشر آيتان ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ﴾ وقال قبله فى سورة الانفال ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ وقال قبله فى سورة النساء ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن الادغام فى قوله ومن يشاق الله فى سورة الحشر وعن تركه فى سورتى الانفال والنساء مع ان مثله فى لغة العرب يصح ادغامه واظهاره كقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه . ومن يرتدد منكم عن دينه ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان الاصل فى ذلك اذا قويت الحركة في القاف ان تدغم ألا ترى أن من جوز أردد مكان رد وكانت لغته الاظهار متى حرك الدال الاخيرة فى قوله للاثنين ردا وقوله للجمع ردوا لم يبق الا الادغام ولم يجز أرددا ولا ارددوا ولا أرددى فقوله تعالى ومن يشاق الله فقد قويت الحركة منه فى القاف الاخيرة لأنها لاقت كلمة قد لزم أولها السكون وهى اللام الأولى من الله

(١) في النسختين المقدسية والكتبخانة ذلة الكفر

وكانت تحرك لملاقاة الساكن بعدها في مثل أعبد الله حيث لا تضعيف يهرب من ثقله الى تخفيف يرفع اللسان عن الحرفين دفعة واحدة فقوله ومن يشاق الله لا يلاقي القاف هنا بها بالتعليق الا ساكنا(١) قد لزم الكلمة فقويت الحركة في القاف التي تلاقي هذا الساكن لانها لا تلاقي سواه مما علق الفعل به وليس كذلك ومن يشاقق الله ورسوله لأن القاف قد تلاقي ما يتعلق بها متحركا وهو رسوله لأن التقدير ومن يشاقق رسول الله فلم يخلص القاف فيما يتعلق بها للحركة كما خلصت له في الاول .. وأما قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فليس الساكن من الرسول الذي يلاقيه القاف كالساكن من لفظة الله تعالى لانه قد يحذف فيصح لملاقاة القاف متحركا منه نحو ومن يشاقق رسول الله فالذي أوجب في سورة الحشر ادغام ومن يشاق الله (٢) هو قوة الحركة في القاف وقوتها أنه لا يصح أن تلاقي الاسم الذي بعدها الا ساكنا لا يقوم مقامه متحرك في حال وما سواه من المواضع ليس على هذا الوصف فبان الفرقان والله أعلم

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ وقال بعده ﴿ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسأل عن اختصاص خاتمة الآية الأولى بقوله لا يفقهون واختصاص الثانية بقوله لا يعقلون ﴿ والجواب ﴾ أن يقال لما قال لأنتم أشد

---

(١) في النسخة المعتمدة لا يلاق القاف هنا مما تعلق به الا ساكنا الى آخره (٢) الذي في النسختين المقدسية والكتبخانة الذي اوجب في سورة الحشر في قوله ومن يشاق الله الله الادغام هو قوة الخ

رهبة في صدورهم من الله أي خوفهم منكم أشد من خوفهم من الله انهم يعلمون ظاهراً ولا يعرفون ما أستتر عنهم منه والفقيه من يستدرك من الكلام ظاهره الجلي وغامضه الخفي بسرعة فطنته وجودة قريحته فلما رهبوا النبي صلى الله عليه وسلم وسننه(١) مالم يرهبوا الله عز وجل صاروا كمن يعرف مايشهده ويجهل ما يغيب عنه ولو فقهوا لعلموا ان لما ظهر من الرسول صلى الله عليه وسلم باطناً خفي عنهم من أمر الله تعالى فلذلك وصفهم بأنهم قوم لا يفقهون .. وقيل لا يفقهون لا يستدركون عظمة الله ويشهدون جلالة المؤمنين بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يعلمون ان ذلك بالله تعالى وقيل لا يفقهون من معنى المرسل والرسول معنى المرسل وعظمته فيتقون الله حق تقاته .. أما قوله ذلك بأنهم قوم لا يعقلون فانه جاء بعد قوله بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ومعناه ليس يجمعهم الحق على طريقة واحدة بل هم أتباع أهوائهم فهم مختلفون باختلاف آرائهم ولو عقلوا الرشد من الغي لاجتمعوا على الحق فاختلافهم لأنهم لا يعقلون مايدعوا الي طاعة الله ويهدى الى ماقال الله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فالحق سبيل واحد مستقيم والباطل سبل كثيرة تحمل عليها أهواء متشعبة فقد بان لك أن كلا من الخاتمتين ختم بما يقتضيه والله أعلم

﴿سورة الممتحنة آية واحدة﴾

وهي قوله ﴿تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم﴾ وقال بعده

(١) كذا وقع في المقدسية وفي نسخة الكتبخانة ماهو قريب من هذا الرسم وسقطت هذه اللفظة من النسخة المعتمدة

﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن المعنى الذى اعيد له قد كانت لكم أسوة حسنة وعن متعلق كل واحد من اللفظين وهل يصلح الاول مكان الثانى أو الثانى مكان الاول ﴿والجواب﴾ أن يقال ان الاسلام بنى أوله على التبرى من الآلهة ومن عبدها ومن الاصنام وعبادتها ألا ترى قول من يشهد بالتوحيد انه ينفى الآلهة أولا بقوله لا إله ويثبت ثانيا بقوله إلا الله الواحد الذى تحق له العبادة فقال فى الآية الاولى المتعلقة بالبراءة من الكفار ومن فعلهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله وأنهم يعادونهم الا أن يؤمنوا فهذه الأسوة تفصل المؤمن من الكافر ليتميز عنه فى الظاهر ويتبرأ من صداقته ويتحقق بعداوته والثانية معناها بهم ايتسوا لتنالوا مثل ثوابهم وتنقلبوا الى الآخرة كانقلابهم مبشرين بالجنة غير خائفين من العقوبة

سورة الصف آية واحدة

وهى قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام﴾ وقال قبله في سورة الانعام ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون﴾ وقال فيها ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء﴾ وقال فى آخر سورة العنكبوت ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين﴾ وقال في سورة الاعراف ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ وقال في سورة يونس ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن هذا الوضع واختصاصه بلفظ التعريف

في الكذب مع أن نظائره فى الآى التى ذكرنا بلفظ التنكير ﴿والجواب﴾ ان يقال ان الكذب مصدر يسمى به الكلام المكذوب فيه وهو فى قوله تعالي أفترى على الله كذبا علي اصله مصدر غير منقول والمصدر اذا عرف قصد به الجنس والفرق بين معرفته ونكرته اذا قال القائل قلت كذبا أى قلت نوعا من انواع الكذب التى هى كثيرة واذا قال قلت الكذب فكأنه قال قلت القول الذى يشهد بالكذب ويشار اليه به وليس يراد به الجنس كله كما لا يراد اذا قال شربت الماء كل الماء وانما يراد بعضه بدلالة العرف وانما يختار التنكير اذا قارنه لفظ يقتضيه أو كلام متقدم عليه يوجب له ذلك .. ومما قارنه لفظ يقتضي له التنكير كل موضع جاء فيه فمن أظلم ممن افترى علي الله كذبا أو كذب فقوله أو كذب يقتضي احد كذبين واذا ضم الى الكذب الاول كذبا ثانيا يثنى به الاول المذكور وما يكون له أمثال يتنكر بعضها ببعض كما كان ذلك فيما يقع على واحد من أمة شائع فيها فيكون فيها نكرة فاذا جاءت بعد كذب قرينة تقتضي له التنكير فأكثر ماجاء منكراً معها وهو أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون أو قال اوحى الى ولم يوح اليه شيء أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون أو كذب بالحق لما جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب فهذه خمسة مواضع تقدمها قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا (١) وكانت مقارنة تقتضي التنكير في لفظها .. وأما قوله فى سورة الانعام فمن اظلم ممن افتري علي الله كذبا

---

(١) اختلفت النسخة الثالثة وهذا نصها .. معناه ومن أظلم لنفسه ممن يخلق كذبا واحداً على الله ليضل الناس فكيف يخلق كثيراً من هذا الجنس ومن اختلق كذبا يقصد به اضلال الناس الي آخره

ليضل الناس بغير علم فانما معناه ومن اظلم لنفسه ممن يختلق كذبا يقصد به الضلال للناس فكل من ضل منهم يكذبه فقد اضله كذب أخلقه ففيه دليل أمثال له يقتضي تنكيره وكذلك قوله تعالى في سورة هود ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم فكانت لفظة من ممن افترى على الله كذبا لفظة واحدة والمعنى كل كاذب كذبافضامه أنواع الكذب لمضامه الكاذبين لهم يقتضي تنكير لفظه اذ صاروا واحدا من جماعة شائعا فيها .. واما تعريفه في سورة الصف فلأن القصد الاشارة الى ذلك الكذب وهو تكذيب اليهود بآيات الله الرسول صلى الله عليه وسلم وتكذيب النصارى بها وقد تقدمت قصتهما في قوله واذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني وبعده واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام أي ومن أظلم ممن يكذب الكذب الذى تشير اليه الامم من المسلمين والنصارى واليهود على اختلاف اعتقاداتهم فقد صح انه الكذب المعروف عند المسلمين وعند علماء الطائفتين من أهل الكتاب [فالتعريف في هذا المكان فائدته التى تخصه ماذكرنا كما أن ما جاء منه منكرا أقتضاه مكانه على ما بينا]

﴿ سورة الجمعة . فيها قد تقدم ذكره في سورة البقرة ﴾

﴿ سورة المنافقين آية واحدة ﴾

وهى قوله تعالى ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله

وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن قوله فى آخر الآية الاولى ولكن المنافقين لا يفقهون وعن قوله ولكن المنافقين لا يعلمون فى آخر الثانية وما أوجب اختصاص كل واحد منهما اختص به من قوله لا يفقهون وقوله لا يعلمون ﴿ والجواب ﴾ أن يقال إن معنى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله أى تأمرونهم بالاضرار بهم وحبس النفقات عنهم ولا يفطنون لانهم اذا فعلوا ذلك أضروا بأنفسهم دون من عند رسول الله لان الله لا يحبس ما قدر من أرزاقهم فلا يضرهم اذا حبسوا إنفاقهم فهم لا يفقهون ذلك ولا يفطنون له . . وقوله فى الثانى لا يعلمون بعد قوله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عندهم لأن الأعز من له القوة والغلبة على ما كانوا عليه فى الجاهلية ولا يعلمون ان هذه القدرة التى يفضل بها الانسان غيره انما هى من الله فهى لله ولمن يخصه بها من عباده والمنافقون لا يعلمون أن الذلة لمن يقدرون فيه العزة وان الله معز اولياءه بطاعتهم له ومذل اعدائه لمخالفتهم أمره فقد اختصت كل آية بما اقتضاه معناها

سورة التغابن آيتان

﴿ الآية الاولى ﴾

قوله تعالى ﴿ يسبح لله ما في السموات وما فى الارض ﴾ وقال بعده ﴿ يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾ ﴿ للسائل ﴾ ان يسأل عن تكرير ما فى افتتاح السورة فى يسبح لله ما في السموات وما في الارض وترك ذلك فى قوله يعلم ما فى السموات والارض ثم تكرير ما فى قوله ويعلم ما تسرون وما تعلنون وهل كانت الفائدة تحصل بعكس ذلك وتكرير ما حيث لم تكرر وحذفها حيث لم تحذف ﴿ والجواب ﴾ إن

يقال لما كان تسبيح ما فى السموات علي خلاف تسبيح ما فى الارض كثرة وقلة وخلوصا من غير مقارنة المعاصي واختلاطها بها اعيدت لفظة ما للاختلاف ولم يكن الأمر فى قوله يعلم ما فى السموات والارض كذلك لأن علمه نظم ما فيهما نظما واحداً على حد واحد فصار علمه بما تحت الارضين كعلمه بما فوقها وعلمه بما في السموات كعلمه بما فى غيرها كما كان علمه بما يكون كعلمه بما كان لا يختلف فلم يتباين فتعاد للمخالفة لفظة ما للتمييز بها عما خالفها .. وأما ما يسرون فانه مخالف لما يعلنون غاية المخالفة فلم يصح الاباعادة ما فقد بان ووضح الفرق بين المواضع الثلاثة

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالي ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ وقال بعده في سورة الطلاق ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عما خصص الآية الأولى بقوله يكفر عنه سيئاته وإخلاء الآية الثانية منه ﴿ والجواب ﴾ أن الأولى جاءت بعد قوله مخبراً عن الكفار فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فهذه سيئات تحتاج الى تكفير اذا آمن بالله بعدها فقال ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا في مستقبل عمره يمسح عنه ما سبق من كفره ثم يوجب له جنات والآية الثانية لم يتقدمها خبر عن كفار بسيئات فيوعدوا بتكفيرها اذا أقلعوا عنها وتابوا منها وعملوا الصالحات مكانها وكان مضمونا تكفير السيئات عند

الايمان وعمل الصالحات فلم يحتج الي ذكره كما كان الامر في غيره والله أعلم

﴿ سورة الطلاق آية واحدة ﴾

وهى قوله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل علي الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾ وقال بعده ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ذلك أمر الله أنزله اليكم ﴾ وقال بعده ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن قوله فى خلال ذكر الطلاق والعدد ومن يتق الله ثلاث مرات يفعل به كذا واختصاص كل جزاء بمكان فأوله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب والثانى يجعل له من أمره يسراً والثالث يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ﴿ والجواب ﴾ أن يقال انما اقترن بالطلاق والعدد هذا الوعظ لأن الطلاق رفض حال متمهدة وقطع آمال متأكدة والعدد باستيفائها يخلص النسب ويصح للزوج الثانى الولد ولو لم يكن هذا الحد الذى حده الله تعالى لكان الفساد متصلا الى انقضاء الدنيا فهو أحق الاشياء بالمراعاة وتأكيد المقال فيه والوصاة قال الله عز وجل بعد ذكر الطلاق ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أى من تمسك بتقوى الله فيما يحل ويعقد ويصدر ويورد فان الله يلقيه فى شدته فرجا ويجعل له مما يكرهه مخرجا ويتيح له محبوبه من حيث لا تقدر ويوجه له رزقه من حيث لا يحتسب وفي ضمنه أنه إذا طلق لكراهة أحد القرينين لصاحبه وقارن ذلك تقوى الله فان الله يسبب له القرينة الصالحة ولها القرين الصالح ويرزق أحدهما على يد الآخر من حيث لا يبلغه تقديره ولا يدركه حسابه وهذا وعد منه في الدنيا ويصح له مثله فى الآخرة لانه يجعل

للمتقين منجى من عذابه وأمنا من مخافته فيخرجهم من الغم الي السرور ومن الفزع الى الأمن ويعد لهم من كرامته وثوابه ونعمته ما يكتفون به ولا يحتاجون معه الى غيره ويكون قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه مراداً به حال الآخرة اذ المتوكل على الله قد يضام فى الدنيا وقد يقتل أيضا هذا قول بعض أهل النظر .. ويجوز أيضا أن يراد بالتوكل أن يكل أمره اليه فيتبعه(١) راضيا بما يصرفه اليه كالدابة المواكل التى تسير بسير غيرها منقاد لحكمه وسيره فاذا كان المتوكل علي الله من هذه صفته فالله حسبه حافظاً له ممن يحاول ظلمه أو ينتقم منه ان رأى ذلك أنفع له فهو يبلغ مراده في الوقت الذى قدره اذ كان قد جعل لكل شئ حينا يقع عنده لا يتعجل قبله ولا يتباطأ بعده .. وأما قوله بعد ذكر عدة الحامل ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا أى من لزم التقى سهل الله عليه الصعب من أمره كما يجعل أمر الولادة سهلا اذا قامت الأم عن ولدها سرحا ثم عقب حال الدنيا بذكر ما يفعله فى الآخرة من تكفير سيئاته وإعظام أجره فكل شرط من تقى الله عز وجل قرن اليه من الجزاء ما لاق بمكانه الذى ذكر فيه والأخير لما كان مقدما على أحوال احتاجت الى غاية الترغيب والى المبالغة فى الترهيب وعد عليه أفضل الجزاء وهو ما يكون في الآخرة من النعماء فتدبره تجده على ماذكرت

سورة التحريم ما فيها قدمر في سورة الانبياء عليهم السلام

سورة الملك آية واحدة

وهى قوله تعالى ﴿ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي

(١) النسخة المعتمدة أن يفوض أمره اليه فيقنعه راضياً الخ

تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾
﴿للسائل﴾ أن يسأل عن تقديم التوعد بالخسف على التوعد بالحاصب وهل كان يختار التوعد بتقديم الحاصب على الخسف أم لم يجز فى الاختيار إلا ماجاء عليه الوعيد فى الآيتين ﴿والجواب﴾ أن يقال لما كانت الارض التى خلقها الله لهم ومهدها لاستقرارهم يعبدون عليها غير خالقها ويعظمون عليها الأصنام التى هى من شجرها أو حجرها خوفهم بما هو أقرب اليهم من الاشياء التى أهلك بها من كان قبلهم والآية الثانية تخويف بالحاصب من السماء وهى التى لا يصعد اليها الطيب من كلامهم ولا الحسن من عملهم الا سيئات أفعالهم ونتائج ما كتب عليهم وتلك حال ثانية فذكر في الثانية

﴿ سورة ن آية واحدة ﴾

وهى قوله تعالى ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين سنسمه على الخرطوم إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ وقال فى سورة المطففين ﴿ الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد أثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عما انقطعت اليه الآية الاولى من الجزاء في الدنيا والآية الثانية من الجزاء فى الآخرة ﴿والجواب﴾ أن يقال إن الموصوف في الآية الاولى موصوف بجامعة لخصال الذم فاضحة وهى الحلف بالكذب الذى يورث الضعة والمهانة والوقيعة في الناس بما ليس فيهم وهو يورث العداوة والنميمة وهى نقل الكلام للتعريف الذى يجلب الضغينة والبخل

الذى لا يدع خيره ينفع غيره والاعتداء وهو تجاوز الحق فى المعاملة وجفاء الطبع والخليقة وغلظهما والدعوة التى تلصقه بقبيلة ليس منها فيكون كالزنمة المتدلية من حلق الجدى فلما وصفه بهذه الاشياء الظاهرة القبح جعل فى مقابلتها نكالا ظاهرا بينا على الوجه فقال سنسمه على الخرطوم أى نشهره بعلامة تنبئ عن قبائحه وفضائحه ..وأما الآية الاخيرة فى المطففين فان قبلها الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد أثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين فاخبر عنهم أنهم لا يؤمنون بالبعث وأن الذنوب الذى قارفوها غلبت علي قلوبهم حتى كأنها تنكرت لها ولذلك قال الحسن الرين الذنب على الذنب حتى يسود القلب فلما لم ينعتهم الا بالكفر أخبر عن جزائهم فى الآخرة وهو أن يحجبوا عما لا يحجب عنه المؤمنون من ثواب الله يوم القيامة وأن يصلوا نار جهنم يلزمونها عقابا لهم على المعصية فأتبع كلا من المكانين مالاق به وصلح فى مقابله ما تقدم عليه

﴿ سورة الحاقة آية واحدة ﴾

وهى قوله تعالى ﴿وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن قوله ماتؤمنون عقيب شاعر وقوله قليلا ما تذكرون عقيب كاهن ﴿ والجواب ﴾ أن يقال من نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى انه شاعر وأن ما أتى به شعر فهو جاحد كافر ولأنه يعلم أن القرآن ليس بشعر لا فى اوزان آياته ولا فى تشاكل مقاطعه إذ منه آية طويلة وأخرى الي جنبها قصيرة كآية الدين في طولها والآية التى قبلها فى قصرها وهى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم

لا يظلمون .. وأما اختلاف المقاطع فانه ينبئ أيضا العرب شاعرها ومفحمها أنه ليس بشعر فمن نسبه الى أنه شاعر فهو لقلة ايمانه . وأما من قال انه كاهن فلأن كلام الكهنة نثر غير نظم وفيه سجع وهو مخالف للشعر أيضا فمن قال انه ككلام الكهان فانه ذاهل عن تذكر ما بنى عليه كلامهم من السجع الذى يتبعون به معانى ألفاظهم وحق اللفظ في البلاغة أن يكون تابعا للمعنى وهو ما عليه القرآن كقوله عز وجل أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً فلو تذكر قائل هذا القول أن هذا النثر مخالف لكلام الكهنة فيما ذكرنا لما قال انه قول كاهن فلذلك عقبه بقوله قليلا ما تذكرون

﴿ سورة سأل سائل آية واحدة ﴾

وهي قوله ﴿والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين على صلاتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون﴾ وقال قبله فى سورة المؤمنين ﴿والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن الآيات المتجاوبة فى السورتين لفظا ومعنى وعن اختصاص سورة سأل سائل بقوله والذين هم بشهاداتهم قائمون وحذفه من سورة المؤمنين ﴿والجواب﴾ فيه عن ذلك أن يقال لما أخبر الله تعالى فى هذه السورة عن طبائع البشر فقال

إن الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وكان معناه انه خلق متسرعا الى مايلتذه غير متماسك عما يشتهيه وان كان مكروهه وكان مفرطا فى ذلك فان مسه شر اشتد له قلقه وان مسه خير شحت به نفسه ثم استثنى من هؤلاء بعد أن وصفهم بحال مذمومة مفرطة في معانيها من يفرط فيما يضادها ويبالغ من طاعة الله فيما يخالفها فقال الا المصلين الذين هم علي صلاتهم دائمون أى الا الذين يؤدون الصلاة ويقيمونها ويديمونها ثم أكد ذلك فى آخر هذه الآيات كراعليها بقوله والذين هم علي صلاتهم يحافظون ومحافظتهم عليها مراعاتهم لأوقاتها وقيامهم بحقوقها المفروضة قبلها والمفروضة عند افتتاحها والمفروضة عند جملة حدودها الي حين اختتامها فهذا فى وصف المصلين وبعدهم المزكون والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم يعطون ما يجب عليهم من زكوات أموالهم من يسألهم ومن يترك المسألة فيحرم مثل ما يعطاه السائل(١) وهذا أيضا مبالغة فى وصف من يستشف أحوال الفقراء فيعطيهم لما يعلمه من حاجتهم لا لما يشاهد من الحاحهم فى مسئلتهم وبعده والذين يصدقون بيوم الدين أى يؤمنون بالبعث والحساب والجزاء ثم اتبع ذلك التوكيد قوله والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ومن صدق بيوم الدين أشفق من عذاب الله له على سيئات أعماله فأراد انهم يصدقون بيوم الدين ويرهبون عذاب الله فيعملون الصالحات طلبا للنجاة منه وبعده والذين هم لفروجهم حافظون الا علي أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين أى لا يطلقون فروجهم على معاصي الله الا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم ثم بالغ فى تحذيرهم بأن

(١) كذا فى نسخة الكتبخانة والذى فى نسخة الاتراك .. من يسألهم ومن يترك مسألتهم مُحرَمٌ يعطاه مثل مايعطاه السائل الخ

قال فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون أى من خرج عن هـذا الحد الى ماوراءه وذلك شامل للجهات كلها فأولئك خارجون عن الحق الى الظلم وهـذه الآية جاءت فى سورة المؤمنين وبعـدها فى السورتين والذين هم لاماناتهم وعهـدهم راعون فوصفهم بأنهم يرعون أمانة الله عندهم وأمانات الناس لديهم وعهودهم قبلهم ثم خص الآية فى سورة سأل سائل بما أجرى عليه الآيات التى قبلها من المبالغة فى الطاعات التى تضمنت ذكرها فقال والذين هم بشهاداتهم قائمون أى يؤدون بعد الامانات التى فى رقابهم وذممهم الامانات التى فى ذمم غيرهم وثباتها بشهاداتهم فوصف من يؤدى الامانات التى فى رقابهم وذممهم الى الامانات التى يثبت بها حقوق تخصه الى مستودعها على غيرهم فكان من المبالغة التى تقتضيها الآيات المتقدمة ذكر الشهادات عقيب اداء الامانات .. وقوله إخباراً والذين هم على صلاتهم يحافظون مردود الى الآيات الأول وقد بينا ذلك أولا .. فان قال قائل كيف يصح أن يقال خلق الانسان هلوعا جزوعا منوعا وهذا يوجب أن يكون الهلع والجزع والمنع موجودة فيه فى حال خلق الله له وليس هو كذلك لانه لا يشعر بهذا للطفولية .. قلت أجيب عن ذلك بأن جعل معناه خلق حيوانا ضعيفا لا يصبر على الشـدائد اذا دامت عليه واجراؤه الصفة عليه فى حال الخلق توسع ومجـاز ﴿ والجواب ﴾ الذى أذهب اليه ان الهلع التسرع والقلق نحو الشيء فالحريص يهلع أى يتسرع الى تمكين الحزن من نفسه وإدخال ألمه على قلبه والحريص يتسرع الى مشتهاه اتباعا لهواه وان كان فيه رداه والانسان فى حال صغره مطبوع على هذه الخلال لانه يتسرع الى الثـدى ويحرص على الرضاع وان مسه ألم جزع وبكا وإن تمسك بثدى فزوحم عليه منع بما فى قدرته من اضطراب وبكاء فلا يزال يفعل

ذلك حتى يرد اليه الخير الذى كان له ثم هو على ذلك الى آخر عمره ـ والهلع ـ فى كلام العرب أصله القلق والتسرع فى الحرص والجزع يقال ناقة هلواع أى مسرعة وظلمان هوالع أى مسرعات واذا كان كذلك لم يكن الهلوع والجزوع والمنوع مجازاً فتبين بالمبالغات التى فى الخصال المذمومة واردا فيها بالمبالغات فى الطاعة المحمودة الآيات التى في هذه السورة من الآيات التى فى سورة المؤمنين التى لم يتقدمها مبالغات في مساوى الاخلاق .. فان قال ما الحكمة فى خلق الانسان على مساوى الاخلاق .. قلت الحكمة فى خلق شهوة القبيح ليمانع نفسه اذا نازعته نحوه ويحارب شيطانه عند تزيينه معصيته فيستحق من الله عقوبته ويستوجب عليه جنته وهذا واضح لمن تدبره فاعرفه تصب ان شاء الله تعالى

﴿ سورة نوح عليه السلام آية واحدة ﴾

وهى قوله تعالى ﴿ ولا تزد الظالمين الا ضلالا ﴾ وقال فى آخر السورة ﴿ ولا تزد الظالمين الا تباراً ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن الاول واختصاصه بالاضلال وعن الثانى واختصاصه بالاهلاك الذى هو التبار ﴿ والجواب ﴾ ان الأول جاء بعد قوله ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً أى لما قالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً فأمروا اتباعهم بالتمسك بعبادة هذه الاصنام وأضلوهم عن طريق الرشاد دعا عليهم نوح عليه السلام بأن يضلهم الثواب بعد استحقاق العقاب ليجاوب قوله وقد أضلوا كثيراً وأما الآخر فان معناه زدهم هلاكا على هلاك وعذابا فوق عذاب بما وافوا عليه القيامة من كفر وضلال وذلك عند دخول النار فاقتضى كل من المكانين ما جاء فيه

﴿ سورة الجن ليس فيها شيء من ذلك ﴾

﴿ سورة المزمل عليه الصلاة والسلام ليس فيها شيء من ذلك ﴾

﴿ سورة المدثر عليه الصلاة والسلام آيتان ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عما تكرر من قوله قدر فى ثلاثة مواضع وعن الفائدة فيها ﴿ والجواب ﴾ أن يقال كان الوليد بن المغيرة لما سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم قدر ما أتى به من القرآن فقال ان قلنا شاعر كذبتنا العرب اذا قدرت ما أتى به على الشعر ولم يكن إياه وكان يقصد فى هذا التقدير تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام بضرب من الاحتيال يمكنه تجويزه على العقلاء فلذلك كان كل تقدير مستحقا لعقوبة من الله تعالى هى كالقتل اهلا كا له فهذا معنى فقتل كيف قدر أى هلك هلاك المقتول كيف قدر أى هو فى تقديره ونظره غير طالب لحق بل هو مثبت باطلا وان كان القرآن ليس بشعر ولا يجوز مثله على من عرف النثر والنظم فهو بالصدق في ذلك قاصد الى تكذيب النبي عليه الصلاة والسلام بوجه آخر يدعيه على ما أتى به .. وقوله ثم قتل كيف قدر أى انه قال وليس ما أتى به من كلام الكهنة فان ادعينا ذلك عليه كذبتنا العرب اذا رأوا هذا الكلام مخالفاً لكلام الكهان فهو فى تقديره له على كلام الكهنة مستحق من العقوبة لما هو كالقتل اهلا كا له فهو فى نفيه عن القرآن الاقسام الفاسدة قاصد الى ابطاله والى اثبات قسم لا يصح اثباته وهو قول الله تعالى حا كيا عنه فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر واذا كان كذلك لم يكن فى اعادة قدر تكرار بل المعنى ما ذكرناه من تعلق كل تقدير

بمقدر غير الاول لفائدة تخصه جديدة

﴿الآية الثانية منها﴾

قوله تعالى ﴿كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ وقال في سورة الانسان ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وماتشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن اختلاف المكانين وقوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وقوله فمن شاء ذكره والهاء ضمير مذكر والعائد يعود على مؤنث ﴿والجواب﴾ أن يقال التذكرة مصدر من ذكرت اذكر تذكيرا وتذكرة كما يقال قدمت تقديما وتقدمة وكرمت تكريما وتكرمة فلما كانت الآيات المتقدمة فواصلها في الوقف هاء كقوله حمر مستنفرة فرت من قسورة وصحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره عادت الهاء الى مذكر دلت التذكرة عليه وهو بمعناها وهو التذكرة والتذكر لتتعادل الفواصل معنى من شاء ذكره أى من شاء انتفع فيكون ذاكرا له واذا لم ينتفع به فيكون كالناسي له .. وأما قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا فهو بمعنى فمن شاء ذكره لأن من انتفع بالذكر سلك سبيل الطاعات التى تؤدى الى ثواب الله فعدل الى قوله اتخذ الى ربه سبيلا للتوفقة بين الفواصل من هذه السورة اذ كانت مردفة بياء أو واو ومنقطعة بالالف فحصل بالمكانين المعنيان متفقين مع ملاءمة الفواصل في الموضعين

﴿سورة القيامة آيتان﴾

﴿الآية الأولى منها﴾

قوله تعالى ﴿فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر﴾

﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عما أعيد من لفظ القمر في الفاصلتين المتواصلتين ﴿والجواب﴾ ان يقال لما قال برق البصر أي تلألأ ولمع لهول ماشاهد وهذا يلحق العيون عند شدة الأمر والقمر يجوزأن يراد به بياض العين وخسوفه غيبته والبياض الذي فوق الحدقة يغيب اذا انقلبت العين حتى يتعلق البياض الذي تحت السواد ويكون قوله وجمع الشمس والقمر يجوز أن يكون المعنى جمعا من مكان يقرب من المكان الذي فيه الناس ويجوز أن يكون المراد جمعا في سلب الضياء وفقد النور فعلى هذا لا يكون القمر مكرراً اذا أريد بالثاني غير الاول ولا يكون معيبا (١) اذا أريد به الاول أيضا لانه أخبر عنه بغير الخبر الاول والاشياء التي ليس خيالها(٢) أمثالها يجوز أن تقام ظاهرها مقام مضمرها كقوله

لا أرى الموت يسبق الموت شيء ... نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

فهذا في كلام واحد في البيت والأول في كلامين وهو أحسن ومثله ولله ما في السموات والارض والي الله ترجع الامور

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن تكرير ذلك وعن الفائدة فيه وعن حقيقة اللفظ واشتقاقه ﴿ والجواب﴾ أن يقال اللفظة مشتقة من ولى يلي اذا قرب منه قرب مجاورة فكأنه قال الهلاك قريب منك قرب مجاور لك بل هو أولى وأقرب.. وأما التكرير لفظا فهو غير معيب اذا لم يتكرر لمعنى فالاول يراد به الهلاك في الدنيا والثاني بعده يراد به الهلاك في الآخرة وعلي هذا يخرج عن التكريرات المعيبة فاعرفه

(١) في النسخة المعتمدة معينا (٢) في النسخة المعتمدة حيالها بالمهملة

سورة الانسان آية واحدة

وهى قوله تعالي ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضةوأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا﴾ وقال بعده ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذارأيتهم حسبتهم لؤلؤامنثوراً﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن قوله ويطاف عليهم وهو فعل مالم يسم فاعله وبعده ويطوف عليهم وهو فعل سمى فاعله وعن اختصاص كل من المكانين بواحدمنهماوعن الفائدة فيه ﴿والجواب﴾ أن يقال ان القصد فى الاولى الى وصف مايطاف بهمن الاوانى دون وصف الطائفين فلماكان المعتمد بالافادةذاك بنى الفعل مقصوداً به ذكرالمفعول لا الفاعل فقال الله تعالى بآنيةمن فضة واكواب كانت قوارير قوارير من فضة أى آلات من فضة صفاؤها كصفاء القوارير لا تمنع أن يرى ماوراءها وقد قدرت على صفة فجاءت على ماقدرت وفقاًلمنيةالمتمنى . . وقيل قدرت تقدير مايسع الرىّ . . وقيل قدرت على ما يريد الشارب ان يكون عليه لا زيادة ولا نقصان ثم قال تعالى ويسقون فيها فوصف بعد الاناء الذى تسبق العين اليه ما يحويه من مشروب وطيبه فلذلك لم يسم فاعله ويطاف ولانه جاء بعد قوله وذللت قطوفها تذليلا . . وأما الموضع الثانى الذي سمي فيه الفاعل وهو قوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون فان القصد فيه الى وصف الفاعلين الذين يطوفون بهذهالآنيةفوجب ذكرهم لتعلق الصفة بهم فقال تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون وفي مخلدون ثلاثة أقوال باقون أبداً دائمون لا يموتون وقيل يبقون على هيئةالوصفاء فلايشيبون وقيل مخلدون محلون ـ والخلدة ـ القرط . . وقوله اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورافي صفاء ألوانهم وضياء وجوههم وحسنهم وإشراقهم وماءالنعيم المترقرق فيهم واذا كان كذلك أوجب ما بنى عليه الكلام أن لا يسمى الفاعل فى الاول

ويسمى فى الثانى كما جاءت عليه الآيتان

سورة المرسلات آية واحدة (١)

وهى قوله تعالى ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ للسائل أن يسأل عن هذه الآية لما كررت عشر مرات وتخصيص ما بعد كل منها بما قرن اليها والفائدة فى تقديم ما بعد الاولى على ما بعد الثانية ثم السؤال فى الجميع على هذه الطريقة ﴿والجواب﴾ أن يقال ان هذه السورة مقصورة على اثبات ما انكره الكفار من البعث والاحياء بعد الموت والحساب والثواب والعقاب وتخويف المكذبين به ليرجعوا عنه ويتمسكوا بالحق دونه فأقسم فى أول السورة بما أقسم إنما توعدون لواقع فى يوم الفصل بين المحسن والمسيء والعاصي والمطيع واحتج على المكذبين فيما بين ثلاثة من المتكررات بما يحجهم بعد قوله وما أدراك مايوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين أى ويل لمن كذب بيوم القيامة وهو اليوم الذى يفصل فيه بين المحسن والمسيء بأعظم المثوبة وأشد العقوبة وبدأ بعد ايجاب الويل في الآخرة لمن كذب بها بذكر من أهلك من أمم الأنبياء الأولين كقوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين الذين أهلكوا من بعدهم قوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وآل فرعون وملئه ثم توعد المجرمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وانهم يلحقون بأمثالهم اذا استمروا في التكذيب على مثالهم فكان ذلك زجراً بالغا بما صح عندهم من أخبارهم كما قال تعالى ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود فخذرهم نكالا يقع بهم كما يقع بمن عمل مثل أعمالهم فقال بعد ذلك ويل يومئذ للمكذبين لمن كذب بالآخرة بعد ان احتج عليه من هذه

---

(١) وقع فى نسختى الكتبخانة والمقدسية هكذا سورة المرسلات سؤال واحد وهو في قوله تعالي ويل يومئذ للمكذبين عشر مرات الخ

الآية باهلاك الأمة بعد الأمة وإنهم على إثرهم في الهلاك ان أقاموا علي
الاشراك ثم احتج عليهم في الثانية بقوله ألم نخلقكم من ماء مهين أى جعلنا
أشرف ماتشاهدون من أقل ماتعرفون وهو النطفة التى أقرها فى الرحم و نقلها
حالا بعد حال حتى بلغ حد التمام والكمال استواء جوارح ووصل مفاصل
وأجرى هذا التقدير فى جميع مايولد من الحيوان وخلق فيهم مجاري أغذيتهم
ومشارب القوة المستفادة من أكلهم فدل بما نبه عليه من النشأة فى الابتداء
علي النشأة الثانية للانتهاء فقال ويل لمن كذب به بعد لزوم الحجة له ثم احتج
عليهم فى الثالثة بقوله ألم نجعل الارض كفاتا أى جعلناها تضم احياءهم وموتاهم
بما تخرج من أقواتها كما قال منها خلقنا كم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى
هذا مع ما أقام فيها من الجبال الثوابت الرفيعة التى هى أوتاد الارض وما أجرى
فيها للحيوان من الماء العذب وفي كل ذلك دليل علي انه قادر عليم وصانع حكيم
لم يخلق الناس عبثا ولم يتركهم سدى وهو كما يبدى يعيد ليحق منه الوعد والوعيد
ثم قصرت ثلاثة على مايكون من تبكيتهم على ما كذبوا به عند مشاهدتهم له وهى
انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون أى يقال لهم يوم القيامة ذلك والثانى من هذه
الثلاثة هذا يوم لا ينطقون والثالث هذا يوم الفصل جمعنا كم والأولين فأمروا
أولا بالانطلاق الى ما كذبوا به وفى الثانى معناه امضوا اليها فلا عذر لكم ولا
حجة فقد أعذر اليكم فى الدار الاولى من مكثكم وفى الثالث هذا يوم الفصل
ومعناه معنى قوله وامتازوا اليوم أيها المجرمون لانكم جمعتم فى يوم يفصل
فيه بين المطيع والعاصي والمحق والمبطل ومعنى قوله فان كان لكم كيد فكيدون
أى إن كنتم تغتاظون وتسخطون لمخالفة ماأمركم به واليوم قد عجزتم عن أنفسكم
فان قدرتم علي ما كنتم تفعلونه قبل مافعلوا كما قال ويدعون الي السجود فلا

يستطيعون وبقيت أربعة بعد أولها وصف أهل الجنة أنهم يجازون بأعمالهم ويصيروا الى ثمرات أفعالهم وبعد الثانى خطاب لمن فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم ومبالغة فى زجرهم وانهم فى إيثارهم العاجلة الفانية على الآجلة الباقية من جملة المجرمين الذين قال فيهم عند مفتتح هذه الآية كذلك نفعل بالمجرمين فرجع عجز الكلام الى صدره كقوله كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون وبعد الثالث خبر عنه بأنهم مكرهون التجبية كما يحكى عن هند بنت عتبة لما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ياهند كيف ترين الاسلام قالت بأبى وأمى ماأحسنه لولا ثلاث خصال فقال وما هن قالت التجبية والخمار ورقى هذا العبد الاسود فوق الكعبة قال صلى الله عليه وسلم اما التجبية فانه لاصلاة الا بركوع وأما قولك الخمار فلا شيء أحسن ولا أستر من الخمار وأما قولك ورقى هذا العبد الاسود فوق الكعبة فنعم عبد الله هو .. يقال جبي الرجل يجبي تجبية اذا ركع ومنه قوله

كأن خصييه اذا ماجبا   دجاجتان يلقطان حبا

فكراهتهم للتجبية من أجل مايحكى عن أحدهم انه قال أكره أن تعلونى أستى .. ومعنى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اذا دعوا الى الصلاة لم يصلوها لا بحجة ولا بشبهة ولكن بباطل نحو ماحكيناه وقيل لم يصلوا لجهلهم بما فى الصلاة من المنافع لصاحبها وقيل لم يصلوا لتكذيبهم بوجوبها وبعد الرابع قوله تعالى فبأى حديث بعده يؤمنون أى اذا كذبوا بالقرآن المتضمن لوجوب الصلاة وبذل غاية الخضوع بالسجود والركوع لمن له غايات الاحسان فلم يصدقوا انه من عند الله مع ماقارنه من واضح البرهان فبأى كلام يسمحون بعده بالايمان .. ومعنى قوله اركعوا أى صلوا ومنه قوله تعالى ويؤتون الزكاة وهم

راكعون أى مصلون واذا كان قوله ويل يومئذ للمكذبين ردف كلام يدل على مايجب تصديقه وترك التكذيب به وكانت المعانى مختلفة سلم من التكرار وعلى الترتيب الذى بينا يتبين ما يختص بالتقديم مما يختص بالتأخير

﴿ سورة النبأ آيتان ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن تكرار ذلك وفائدته ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان الاول وعيد بما يرونه في الدنيا عند فراقها من مقرهم والثانى وعيد بما يلقونه فى الآخرة من عذاب ربهم واذا لم يرد بالثانى ماأريد بالاول لم يكن تكراراً وقيل الاول توعد بالقيامة وهولها والآخر توعد بما بعدها من النار وحرها

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ الا حميا وغساقا جزاء وفاقا ﴾ وقال فى وصف أهل الجنة ﴿ وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغواً ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن الجزائين ووصف الأول منهما بالوفاق ووصف الثانى بأنه حساب وهل كان يصح أن يقال فى العطاء وفاقا وفي العقاب حسابا ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان الله تعالى قال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وقال من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فلما كانت الحسنة باضعافها والسيئة بمثلها استعمل في جزاء السيئة أنه وفاق لها غير زائد عليها ولا قاصر عنها ولما كانت الحسنة بإضعافها استعمل فى جزائها انه عطاء يكفى معطاه ويبلغ من مطلوبه منتهاه فقال عطاء بحسبه أى يكفيه مما يريد ويشتهيه ويغنيه عن طلب زيادة اليه واذا كان كذلك لم يصلح لكل مكان الا مااستعمل فيه

سورة النازعات آية واحدة

وهى قوله تعالى ﴿فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ماسعى﴾ وقال فى سورة عبس ﴿فاذا جاءت الصاخة﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عما سماه الطامة الكبرى وعما سماه الصاخة وهل صلح ان تستعمل الاولى مكان الثانية والثانية مكان الاولى ﴿والجواب﴾ ان يقال إن الطامة تستعمل فى الشديدة التى تنسى عندها الشدائد فتطم على ما تقدمها أى تستره وتغطيه ومنه يقال طم البئر اذا كبسها ـ والطم ـ الكبس والقيامة الطامة الكبرى لأنها تنسى شدتها ما تقدم من شدائد الدنيا حتى يصير الناس فيها كما قال الله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها أى تصير شدائد الدنيا عندها محتقرة بمنزلة ما لم يروه الا ساعة كعشية أو ضحاها . . وانما استعملت الطامة الكبرى فى هذه السورة لأن فيها ذكر ما أوتى به فرعون من الطامة الكبرى فى الكفر حيث قال أنا ربكم الأعلى فهذه فى الكبائر كشديدة الآخرة فى الشدائد فكأنه قرن الى ذكر الكبيرة الموفية على أمثالها ذكر الطامة الكبرى واهوالها . . وأما الصاخة فهى صيحة تطعن الآذان فتصمها يقال صخ الغراب بمنقاره فى دبر البعير أى طعن فالصاخة صيحة شديدة لشدة صوتها تحى لها الناس كالصيحة الشديدة التى يتنبه لها النوام فلما تقدم فى هذه السورة من حالة الانسان ما نطق به قوله ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره كان الانشار بالصاخة التى تطعن الآذان فيقضي الله عندها إحياء الموتى فقارن الآيات التى في السورة الاولى ما شاكلها والآيات فى الآخرة ماشابهها والسلام

﴿ سورة عبس مر ما فيها فيما قبلها ﴾

﴿ سورة التكوير آيتان ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت ﴾ وقال فى سورة انفطرت ﴿ واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن اختصاص الأولى بقوله سجرت واختصاص الثانية بقوله فجرت ﴿والجواب ﴾ أن يقال إن الافعال التى جاءت بعد اذا في السورة الاولى فى جملتها واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت ولم يكن ذلك فى السورة الثانية ومعنى سجرت البحار أوقدت فصارت ناراً كما يسجر التنور وقيل المراد بها بحار فى جهنم تملأ حميا ليعذب بها أهل النار فكان ذكر هذا المعنى حيث وقع التوعد بتسعير الجحيم أشبه وأولى .. وأما قوله واذا البحار فجرت فانما معناه سيب ماؤها فاسيح حتى فاضت على وجه الارض فتساوى بالماء ولجج البحار شعف الجبال فكان هذا أولى بهذا المكان لأن قبلها خبراً عن الاشياء التي يحكم الله تعالى بمزايلتها أماكنها كقوله اذا السماء انفطرت ومعناه انشقت كما قال فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وبعده واذا الكواكب انتثرت وبعده واذا البحار فجرت فبازاء انتثار الكواكب انفجار البحار فكان الاخبار عنها بهذا المعنى أولى بهذا المكان لتقدم مايشبهها من التغيير ومجيء ما هو تزييل عن مكانه من بعثرة القبور

﴿الآية الثانية من سورة التكوير ﴾

قوله تعالى ﴿علمت نفس ماأحضرت ﴾ وقال بعدها في سورة انفطرت ﴿علمت نفس ماقدمت وأخرت ﴾ ﴿للسائل ﴾ أن يسأل فيقول قال الله تعالى

اذا كانت القيامة وغير الله ما به قوام الدنيا لمآ يريد من ابطالها وتجديد أمر الآخرة حينئذ علمت نفس ما أحضرت وقال فى السورة الأخرى علمت نفس ماقدمت وأخرت فهل يصح مكان ماأحضرت ماقدمت وأخرت فيجاب فى سورة التكوير بما أجيب به في سورة الانفطار أم خصوص الفائدة توجب تخصيص اللفظة ﴿ والجواب ﴾ أن يقال أن الاول لماجاء بعد ذكر النار والجنة وهو قوله واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت علمت نفس ماأحضرت أى علمت عملا تستحق به الجنة أحضرت أم عملا تستحق به النار وكذلك اذا نوات الكتاب ورأت الثواب والعقاب .. وأما الثانى فانه بعد قوله واذا القبور بعثرت أي قلب ترابها وجعل أسفلها أعلاها باخراج موتاها فلما كان آخر شرط انقطع الى ذكر الجزاء لفظاً ذا نقيض وهو البعثرة التى تجعل أسفل الشئ أعلاه كان أن يجعل الجزاء ما يتضمن لفظا ذا نقيض أولى من غيره وهو علمت نفس ماقدمت وأخرت .. وقيل معناه ماأقامت من طاعة الله وما تركت وقيل علمت نفس جميع ماعملته مدة عمرها في الدنيا ومافعلته فى أول شبابها وما فعلته آخر أيامها .. وقيل معناه ما قدمت من عملها الذى انقطع بانقطاع حياتها وما أخرت من سنة سنتها فعمل بها بعده و اذا كان كذلك فقد قرن الى كل شيء شرط جوابه الذى هو أشبه بما قاربه وأولى لما قارنه

﴿ سورة انفطرت مر ما فيها في السورة التى قبلها ﴾

﴿ سورة المطففين آيتان ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ كلا ان كتاب الفجار لفى سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين ﴾ وقال تعالى فى كتاب الابرار ﴿ كلا

ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن قوله كتاب مرقوم وانقطاعه الي قوله ويل يومئذ للمكذبين وانقطاع الثاني الى قوله يشهده المقربون ﴿والجواب﴾ أن يقال قوله في سجين فسر علي وجوه قال أبو عبيدة سجين شديد ومنه قول ابن مقبل * ضربا تواصوا به الابطال سجينا * أي شديد وهذا يحمل على وجهين في حبس شديد كشدة السجن ليدل به على خساسة منزلتهم وقيل سجين أى أمر عظيم شديد عذابه وغمه .. وقيل في سجين فى الارض السابعة وقيل فى سجين أى فى سجن والياء للمبالغة أى كتاب سيئاتهم فوجب تخليد حبسهم وقيل كتابهم لما دام التقريع به دام عقابهم له .. ومعنى قوله وما أدراك ماسجين أي ليس هذا مما كنت تعلمه أنت ولا قومك لولا ماأتاك به الوحى من عندنا ثم فسر فقال كتاب مرقوم أي كتاب معلم بعلامات تدل علي دوام خزيهم واتصال عذابهم بما فيه من سيئاتهم ثم قال ويل لهم لانهم كذبوا رسل الله .. وأما قوله كلا ان كتاب الابرار لفى عليين أى في مراتب عالية مكنوفة بجلالة فلما فضلت الرتب دلت على عظم شأنها بجمعها بالواو والنون تشبيها بما يميز ويخاطب .. وقيل عليون السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين وقيل عليون غرف الجنة وقيل سدرة المنتهى وهى التى ينتهى اليها كل شيء من أمر الله وهى فى السماء السابعة وقيل عليون علو على علو مضاعف والواحد عليّ كشريب وسكير وخمير فكأنه لأعلى الامكنة ثم جمع بالواو والنون لتفخيم شأنه وقيل هذا جمع لما لا يحد واحده كثلاثين وأربعين فثلاثون كأن لفظه لفظ جمع ثلاث قال الزجاج وهو كما قال الشاعر

قد شربت إلاّ الدهيدهينا قليصات وأبيكرينا

فكان ـ دهيدهين ـ وهى حاشية الابل وصغارها ـ وابيكرين ـ جمع ليس واحده معلوم العدد .. وقوله في كتاب الابرار كتاب مرقوم يشهده المقربون أى كتاب معلم بعلامات تدل على مايقرأعينهم ويوجب دوام سرورهم لما أودع من حسناتهم المفضية بهم الى جناتهم فكان رقم كتاب الفجار مايوجب المصير الى النار فانقطع الى مايوجب الويل لهم ورقم كتاب الابرار مايوجب المصير الي غرف الجنان ورضى الرحمن فانقطع الى ذكر مشاهدة المقربين وتبشيره بدوام نعيم صاحبه

﴿ الآية الثانية من سورة المطففين ﴾

قوله تعالى ﴿ ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين ﴾ ﴿للسائل ﴾ أن يسأل عن افراد هذا فى هذه السورة مع تكراره فى سورة المرسلات عشر مرات ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان قوله ويل لهم كلمة تقال فى كل من وقع في هلكة لا يرجى خلاصه منها وهى فى سورة والمرسلات قدبينا وجه الفائدة فيما أعيد منها وهي فى هذه السورة مذكورة مرة واحدة لانها مقصورة على الترهيب من النار ووصفها ومعاقبة أهلها وعلى الترغيب فى الجنة ونعيم أهلها ليس فى السورة غير هذين المعنيين فلما جردت لهما ذكرت الكلمة عند ذكر ما كتب علي المكذبين واعلم به كتابهم بما يكون اليه مآلهم ثم شرع فى وصف كتاب الابرار ومحله وتبعيد ما بين جزائهم وجزاء غيرهم فاكتفى بذكر الكلمة مرة لما بنى على اختصار السورة والله أعلم

سورة انشقت آيتان

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت واذا الارض مدت

وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن تكرير قوله وأذنت لربها وحقت ﴿ والجواب ﴾ أن يقال ان الاول للسماء والثانى للارض أمرت بالانصداع فسمعت وانقادت لأمر الله تعالى وانصدعت وحق لها أن تسمع وتطيع .. ومعنى أذنت سمعت لأنها سمعت باذن قال عدى

في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ما ذى مشار

وقوله واذا الارض مدت أى بسطت بانتساف جبالها وتطأطأ آكامها وتلالها وألقت ما حوته من الموتى والمعادن والكنوز وتخلت منها كما تتخلى المرأة الحاملة من حملها اذا ألقت ما في بطنها وسمعت وأطاعت وحق لها ذلك يقال حقت فهى محقوقة وحقيق بكذا ويقال لها أيضاً حق لها ذلك فالاول لغير ماله الثانى فلا يكون تكراراً

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون ﴾ وقال فى سورة البروج ﴿ بل الذين كفروا فى تكذيب والله من ورائهم محيط ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن اختصاص الاولى بقوله يكذبون والثانية بقوله فى تكذيب ﴿ والجواب ﴾ أن يقال معنى قوله يكذبون وهم في تكذيب واحد واختلف اللفظان لاختلاف الفواصل فى السورتين الا ترى ان قبل الاولى فما لهم لا يؤمنون واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون فكانت الفواصل التى تقدمتها على يفعلون فجعلت هذه تابعة لها مع صحة المعنى واللفظ والثانية فى فواصل مردفة بياء أو واو وهي قوله هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا فى تكذيب والله من ورائهم محيط وعلى ذلك بنيت السورة فكان حملها على نظائرها من السور أولى مع

صحة اللفظ والمعنى

﴿ سورة البروج ليس فيها الا ماذكرناه ﴾

﴿ سورة الطارق الي البلد ليس فيهن شئ من ذلك ﴾

﴿ سورة البلد آيتان ﴾

﴿ الآية الاولى منها ﴾

قوله تعالى ﴿ لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن تكرير البلد وجعله فاصلة بين الآيتين وهل ذلك مما يرتضى فى البلاغة ويعد من جملة الفصاحة ﴿ والجواب ﴾ أن يقال اذا عنى بالثانى غير المقصود بالأول من وصف يوجب له حكماً غير حكم الاول كان من مختار الكلام فالبلد الاول قصد به وصف لم يحصل فى الثانى وهو مكة لأن معنى أقسم بالبلد المحرم الذى جبلت علي تعظيمه قلوب العرب فلا يحل فيه لاحد ما أحل للنبي صلى الله عليه وسلم .. فقوله وأنت حل أى محل أحل لك منه ماحرم على غيرك فصار المعنى أقسم بالبلد المحرم تعظيما له وهو مع انه محرم على غيرك محل لك اكراما لمنزلتك فالبلد فى الاول محرم وفي الثانى محلل وكان النبي عليه الصلاة والسلام أحل له قتل من رأى قتله حين أذن فى قتال المشركين فأمر بقتل ابن خطل صبراً وهو متعلق باستار الكعبة ولم يحل لاحد قبله ولا يحل لاحد بعده ما أحل له واذا كان كذلك صار الثانى معنيا به غير ما عنى بالاول فكأنه ذكر وصفا غير وصفه المتقدم فجمع فوائد من تعظيم البلد وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم حين أبيح له ماحظر منه علي سواه وقيل أحلت له ساعة من نهار ولم تحل لغيره

﴿ الآية الثانية منها ﴾

قوله تعالى ﴿ ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد ﴾ وقال بعده في والتين ﴿ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن اختلاف مابعد لقد خلقنا الانسان في الموضعين وصلة الاول بقوله فى كبد والثانى بقوله فى أحسن تقويم ﴿ والجواب ﴾ أن يقال قوله لقد خلقنا الانسان فى كبد أقوال .. أولها فى شدة ونصب يكابد أمر الدنيا وأمر الآخرة . والثانى في انتصاب قامته وسائر الحيوان كالمنكب على وجهه غير منتصب . والثالث هو مخلوق فى شدة أمر تكونه أولا فى الرحم فى ظلمات ثلاث ثم ينتقل الى القماط والرباط ثم هو عند البلوغ على الخطر العظيم مما يقوده اليه عمله من جنة أو نار فالدنيا له دار كد ومشقة والآخرة له دار راحة ونعمة ان وافاها بما كلف من طاعته . والرابع انه خلق فى بطن أمه ورأسه قبل رأسها منتصبا كانتصابها فاذا أرادت الولادة انقلب الرأس الى أسفل فيخرج رأسه قبل رجليه وقد تخرج رجلاه قبل رأسه وذلك نادر والاول عام شائع فهذه الاوجه الاربعة تعم جميع الناس لا يستثنى أحد منهم ثم خص بعض الكفار بالذكر عن هذا العموم فقال أيحسب أن لن يقدر عليه أحد فلما تقدم القسم بوالد وما ولد وفيه قولان أحدهما آدم وولده والقول الثانى كل والد وكل مولود قرن الى القسم العام بما يشبهه من الجواب العام .. وأما قوله والتين والزيتون فقد قيل فيهما ان التين دمشق والزيتون بيت المقدس وقيل جبل عليه دمشق وجبل عليه بيت المقدس وقيل مسجدان فالتين مسجد نوح عليه السلام والزيتون مسجد دمشق وقيل التين الذى يؤكل والزيتون الذى يعصر فالقسم واقع بأشياء مخصوصة من بقاع أو غيرها فعلق بجواب وقع فيه تخصيص

بالاستثناء وهو لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أى خلقناه فى أحسن صورة ثم رددناه يعنى الكافر الى أقبح صورة حين حط من الخلق الاول الى المحط الاسفل فصار في أوحش منظر بعد أن كان فى أحسن صورة . . وقيل فى أحسن تقويم أى فى خلقة قويمة ودلالة علي طريقة مستقيمة ثم رددناه أسفل سافلين الى أرذل العمر وهو الضعف الذى يفقد معه العلم ولا يملك فيه اقامة الطاعات والثبات على العبادات الا المؤمنين فانهم(١) يوفون أوقات العبادات التى كانوا يقيمونها اذا لم يقدروا مع الضعف الذى تقلهم الله اليه أجرهم يدل على ذلك قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون واذا كان معنى الآيتين ما ذكرنا لاق بكل من القسمين الجواب الذى جاءله . . ويمكن أن يجاب عن الفرق بين الموضعين بالفواصل لأن القسم في سورة البلد بهذا اللفظ وهو قوله ووالد وما ولد

﴿ليس في الشمس والليل والضحى شيء من ذلك﴾

﴿سورة الانشراح آية واحدة﴾

وهى قوله تعالى ﴿فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً﴾ ﴿للسائل﴾ أن يسأل عن فائدة تكراره ﴿والجواب﴾ ان الله تعالى وعد فى عسر ان يعقبه يسرين وان من كان فى شدة قطعها عنه الى نعمة بعد نعمة ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين لأن العسر لما اعيد لفظه معرفا كالأول لم يكن الا اياه ويسر لما أعيد لفظه نكرة كان غير الاول واذا لم يكن ذاك لم يكن تكراراً

---

(١) فى النسخة المعتمدة بعد قوله فانهم اذا ردوا الى أرذل العمر لم يكونوا أسفل سافلين فانهم يوفون الخ

﴿ سورة التين قد تقدم ما فيها ﴾

﴿ سورة القلم آية واحدة ﴾

وهى قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن تكرير خلق ﴿ والجواب ﴾ أن يقال قوله خلق بعد الذى عام فى المخلوقات كلها سماءها وأرضها ثم استأنف التنبيه على خلق المخاطبين أنفسهم فقال خلق الانسان من علق أى اعرف انقلابه من حال الدم الي ما يشاهد لتعرف حاله الثانية التى ليست بابعد فى نفسك من هذه الناشئة وان كان كذلك سلم من التكرار والله أعلم

﴿ ليس فى القدر ولم تكن الى التكاثر شيء من ذلك ﴾

﴿ سورة الهاكم آية واحدة ﴾

وهى قوله تعالي ﴿ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ﴾ ﴿ للسائل ﴾ أن يسأل عن تكرير اللفظين ﴿ والجواب ﴾ ان أحدهما توعد غير ماتوعد به الآخر فالاول توعد بما ينالهم فى الدنيا والثانى توعد بما أعد لهم في الاخرى .. وقيل الاول ما يلقونه عند الفراق اذا بشروا بالمصير الى النار والثانى ما يرونه من عذاب القبر فكلاهما عذاب فى الدنيا إلا ان أحدهما غير الآخر وهو مثله فى الشدة فذلك أعيدت تلك اللفظة واذا حمل علي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لم يكن تكرارا

﴿ ليس في العصر الى الكافرين شيء من ذلك ﴾

﴿ سورة الكافرين ﴾

﴿ إن سأل سائل ﴾ عن التكرار فى هذه السورة ﴿ فالجواب ﴾ أن يقال انا قد أجبنا فى جامع التفسير عن ذلك بأجوبة كثيرة فنذكر منها

واحداً فى هذا الموضع وهو أن يقال معناه لا أعبد الاصنام لعلمى بفساد ذلك
ولا أنتم تعبدون الله لجهلكم ما يوجب عليكم ولا أعبد آلهتكم لتعبدوا الله
مناوبة بيننا ولا أنتم تعبدون الله من أجل أن يكون سبقت منى عبادة آلهتكم
وذلك ان المشركين قالوا له عليه الصلاة والسلام أعبد سنة مانعبد ونعبد سنة
ماتعبد ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله فقال فى الاول لا يكون منى عبادة
الاصنام لعلمى ببطلانها ولا تكون منكم عبادة الله لجهلكم بانه وحده هو
الذى تحق له العبادة وقال في الثانى مانفى العبادة التى دعوا اليها مناوبة منهم فلم
يقع تكراراً علي هذا الوجه ولا على الوجه الآخر التى ذكرنا فى جامع التفسير

﴿ليس فيما بعدها الى سورة الناس شيء من ذلك﴾

﴿سورة الناس﴾

﴿للسائل﴾ ان يسأل عن تكرير الناس في قوله فى فواصل هذه السورة
فى خمسة مواضع وهى ست آيات قد ختمت أواخر خمس منها بالناس وواحدة
بالخناس ﴿والجواب﴾ عن ذلك أن يقال انما اتصف الله تعالى أولا برب الناس
ثم بملك الناس ثم باله الناس لحكمة دعت الى ذلك وأوجبت تقديم الاول
وتعقيبه بالثانى والثالث على الترتيب الذى جاء لأن رب الشيء هو القائم
باصلاحه وتدبير أمره فنبه بتقديمه على ماترتب من نعمه علي الانسان لما أنشاه
ورباه وهذه أولى أحواله والثانية انعامه عليه بالعقل الذى ثبتت عليه ملكته
له فعلم انه عبد مملوك وان الذى بلغ به تلك الحال من حد الطفولية هو الذى
يملكه وامثاله فجعل الوصف الثانى ملك الناس ولما كان بعد ذلك تكليف
العبادات التى هى حق الله تعالى علي من عرّفه نفسه انه عبد مملوك وعرفه
انه عز وجل خالقه وتلزمه طاعته ليلتزم غاية التذلل لمن له أكبر الانعام والتطول

جمل الوصف الثالث إله الناس فصار الناس الذين أضيف اليهم رب كأنهم غير الناس الذين أضيف اليهم ملك والذين أضيف اليهم ملك غير الذين أضيف اليهم إله واذا أريد بالثانى غير الاول لم يكن تكراراً بل يكون كأنه قال قل أعوذ برب الاجنة والاطفال الذين ربهم ورباهم وقت الانشاء والتربية وحين لم يقدر آباؤهم لهم على التغذية وبمن بلغ بالوالدين حداً عرفوه فيه بالملكة وأنفسهم بالعبودية ثم إله المكلفين المرضين لا كبر النعم وهم الذين بلغوا وقاموا باداء ما كلفوا فترتيب الصفات تنبيه على ان المراد بالناس ذووا الاحوال المختلفة في الصغر والترعرع والبلوغ فسلم على ذلك من التكرار ويتضمن هذا المعنى اللطيف الذى دل عليه ترتيب الصفات تعالى الله وكلامه عن المعاب ..

وقوله الذى يوسوس فى صدور الناس فالمراد بالناس الاول الابرار وبالناس الثانى الاشرار فكان المعنى الذى يوسوس فى صدور الناس الاخيار من الجن واشرار الناس فقد صار المعنى بكل واحد على صفة غير الصفة المعنى بالآخر فكأنه غيره وان كان الجنس قد جمع هذا كله ؟

هذا آخر ما تكلمنا عليه من الآيات التى يقصد الملحدون التطرق منها الى عيبها والحمد لله وحده وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم



اعلان

﴿ من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه ﴾

﴿ عن الكتب المتعلقه بالتفسير الشريف المطبوعة على نفقتهم ﴾

(١) (القرآن الكريم) بخط الحافظ عثمان .. بهامشه تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوى طبعناه على نسخة المطبعة العثمانية مجلد التجليد الاستانة بالجلد المحلي بالفضه

(٢) (تفسير القرآن العظيم) لابي محمد سهل بن عبد الله التسترى المتوفى سنة ٢٨٣ يذكر فيه معانى الآيات التى تتعلق بترقيق القلوب على طريقة أهل الحقيقة مرتبا على ترتيب المنزل من أول القرآن الى آخره

(٣) (غريب القرآن) المسمى بنزهة القلوب للامام أبي بكر محمد بن عزيز السجستانى المتوفى سنة ٣٣٠ وهو أخصر قاموس لتفسير الفاظ غريب القرآن مع الوثوق بجلالة مؤلفه وقد طبعناه على شكل تسهل المراجعة فيه بقطع صغير بحيث يوضع فى الجيب

(٤) (التبيان في أقسام القرآن) لشيخ الاسلام شمس الدين أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزيه المتوفى سنة ٧٥١ أورد فيه أقسام القرآن وتكلم عليها مطولا وراعى فيه اختلاف المفسرين

(٥) (كتاب الفوائد) المشوق الي علوم القرآن وعلم البيان لابن قيم الجوزيه المذكور تكلم فيه على العلوم المتعلقة ببلاغة القرآن وقسمها أنواعا واستشهد فى جميع ذلك بأمثلة من القرآن الكريم مردفا لها بشواهد من كلام فصحاء العرب

(٦) (تفسير سورة الاخلاص) لشيخ الاسلام تقى الدين احمد بن تيمة الحرانى المتوفى سنة ٧٢٨ بسط الكلام فيه علي تفسير هذه السورة الكريم بعبارات سهلة مراعياً فى ذلك أقوال سلف الامة من علماء التفسير

(٧) (جواب أهل العلم والايمان) فى أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، لشيخ الاسلام ابن تيمة المذكور ذكر فيه معنى المفاضلة فى آى القرآن وبسط أقوال العلماء بذلك وبين الصحيح منها من الضعيف

(٨) (الكهف والرقيم) فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم .. لسيدى عبد الكريم الجيلى المتوفى سنة ٧٩٩ صاحب كتاب انسان الكامل تكلم على البسملة مقتضى نظام القوم ومكانة موءلفه وشهرته كافية عن التعريف بكتابه

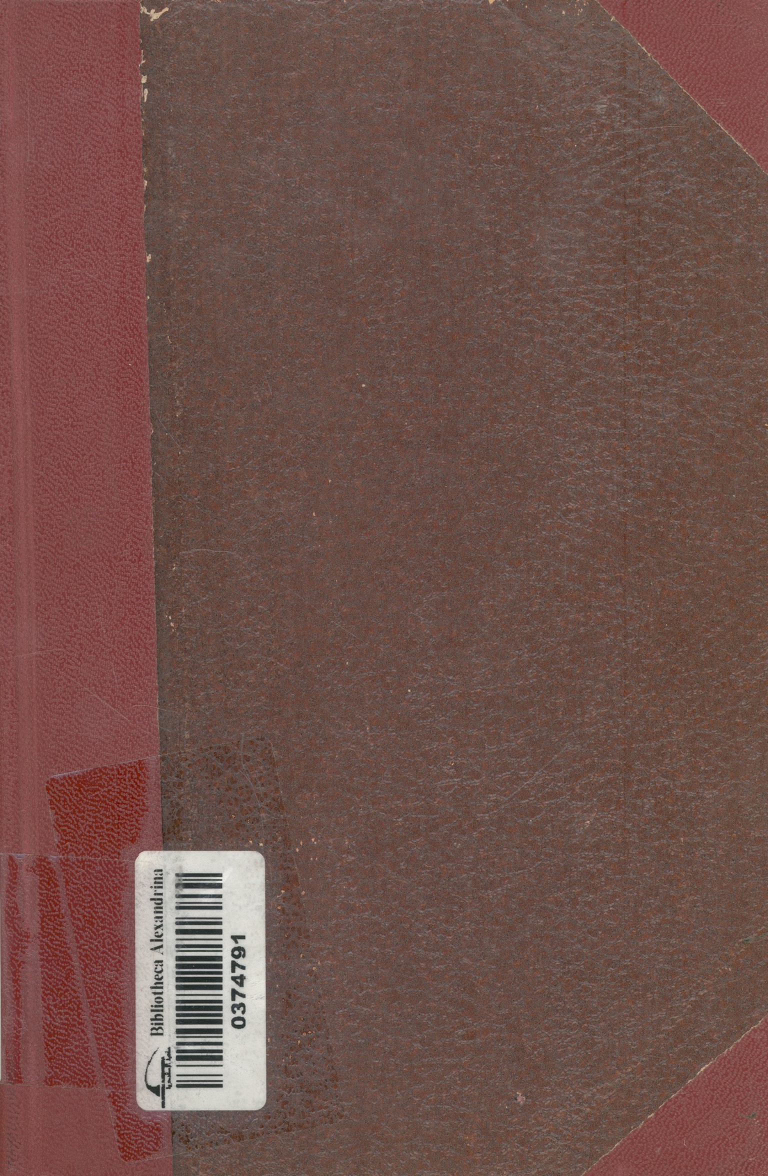
(٩) (مدارك التنزيل) وحقائق التأويل .. لأبى البركات حافظ الدين عبد الله بن احمد النسفى المتوفى سنة ٧٠١ وهو التفسير الوحيد الذى جمع بين وجازة اللفظ جزالة المعنى وتوسط بين مآخذ تأويلات المتقدمين وتدقيقات المتأخرين

(١٠) (مفحمات الاقران) فى مبهمات القرآن .. للحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ ذكر فيه الاعلام المبهم فى القرآن مرتباً على سور القرآن مسنداً جميع ما فيه لمخرجيه وفى آخره فتح المنان فى بيان الرسل التي وردت فى القرآن للشيخ احمد السجاعى

(١١) حاشية العلامة أحمد الصاوى المالكي المتوفي سنة ١٢٤١ على تفسير الجلالين جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى وهو احسن من كتب على التفسير المذكور لتأخره عن من تقدمه ممن تعرض لذلك

(١٢) (الاشارة والايجاز) الى ما فى القرآن الكريم من أنواع المجاز . لعز الدين أبى محمد عبد العزيز بن عبد السلام المتوفي سنة ٦٦٠ بسط الكلام فيه على المجازات القرآنية واستقرأ جميع ماورد فيه آية آية مراعياً فى ذلك ترتيب السور مشيرا الى خلافات القراء والمفسرين

(١٣) الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم .. مما اجتمع عليه واختلف فيه عن علماء الصحابة والتابعين وفقهاء الامصار وشرح ماذكروه بينا وما فيه من اللغة والنظر تأليف الامام الحجة أبى جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ وفى آخره الموجز فى الناسخ والمنسوخ لمظفر الدين ابن خزيمة الفارسى


Bibliotheca Alexandrina
03374791